

مجلة عربية ثقافية مصورة شهرية
ملتقى الإبداع العربي والمعرفة الإنسانية

أجمل لغة في الدنيا.. لغة الزهور!

- المعالم الأولى في عظمة محمد
  بقلم: محمد الغزالي
- من المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية؟
  بقلم: د. [illegible]
- قصة جديدة: بقلم [illegible]

بمناسبة النزعة العثمانية الجديدة



بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

شهدت الثقافة العربية فى الآونة الأخيرة محاولات عدة لاعادة الاعتبار للتاريخ العثماني ولسياسة السلاطين الأتراك فى البلاد العربية ..

وقبل ذلك شهدنا محاولات من نوع آخر لاعادة الاعتبار لتاريخ الفرق والحركات المعارضة فى الاسلام من باطنية وخوارج وقرامطة ..

وقبل هذه وتلك شهد تاريخنا الفكرى المعاصر محاولات لاعادة الاعتبار للتاريخ الأموى ولسياسة الخلفاء الأمويين ردا على روايات خصومهم عنهم فى كتب التاريخ الموالية للعباسيين وغيرهم .

وقد نشهد فى القريب محاولات لاعادة الاعتبار للتاريخ المغولي والتترى ولحروب جنكيزخان وتخريبه لمراكز الحضارة العربية !

ونحن لا نقول ذلك من قبيل الافتراض او التندر والمبالغة .. فموجة اعادة الاعتبار للتاريخ المغولي والتترى قد بدات على يد المستشرق اليهودى الصهيوني « برنارد لويس » فى كتابه الجديد (الاسلام فى التاريخ) الذى اعلن فيه ان ما قيل عن الدمار المغولي فى العالم العربى امر مبالغ فيه جداً وان العرب المعاصرين هم الذين يبالغون فى التهويل من امر الخراب المغولي فى بلادهم لتبرير عجزهم وقصورهم وفشلهم ! .. وذلك بالقاء اللوم كله على ما فعله المغول وما اقترفوه فى حق الحضارة العربية ومسارها ، وما وجهوه من ضربة مزعومة قاتلة لمستقبلها . (راجع كتـــابه Islam In History الصفحات ١٧٩ ـ ١٩٨) .

ونحن لا يهمنا امر هذه المحاولة الاخيرة على يد برنارد لويس وامثاله من اعلام الموجة الجديدة المعادية للوجود العربى كله ، وفى مختلف جذوره وفروعه ومظاهره فهذه المحاولة تدخل فى خانة الثقافة المضادة التى لن يتقلبها اي عربي أيا كانت اتجاهاته وميوله ، ولكن يهمنا ان نتحاور مع اخوتنا المثقفين العرب داخل الاطار الثقافى العربى الاسلامى العام ، ايا كانت مواقعهم الفكريـــة وميـــولهم واتجاهاتهم .

لهؤلاء الاخوة نقول : ان التاريخ هو التاريخ بخيره وشره ، وبايجابيـــاته وسلبياته ، وبامجاده وهزائمه وانه لا يمكن التغيير من حقائق الاشياء وواقع الامور اذا صورنا التاريخ الأموي صفحة ناصعة للقومية العربية ، وصورنا تاريخ الخوارج والقرامطة صفحة ناصعة للحركات الثورية وصورنا تاريخ السلاطين العثمانيين صورة ناصعة للجامعة الاسلامية والدولـــة الاسلامية الواحدة ..

لا القومية العربية ستكسب من تبييض صحائف الامويين باعتبارهم ملوكاً لاعظم دولة عربية قومية فى التاريخ (إن صح هذا الاعتبار) ..

ولا الحركات الثورية ستستفيد من اخراج تاريخ القرامطة والخوارج كنموذج للنضال التحرري (إن صح هذا الاخراج)
ولا الفكرة الاسلامية المعاصرة ستزداد تالقا من إعادة الاعتبار لتاريخ السلاطين من بنى عثمان إن امكنت الاعادة ..

لكل مجد ظروفه

ان الافكار والدعوات المعـــاصرة لن تستطيع ان تصمد فى التحليل النهائي ، وفى نهاية المطاف ، إلا بما فيها من مضمون واقعي حي معاش قادر على البقـــاء والاستمرار ومواجهة التحديات الماثلة واستيعاب مستلزمات العصر ومتطلبات الحضارة ، لا بما تحاول الاستناد إليه من خلفيات تاريخية ماضية ونماذج منتهية عاشت عصورها واستنفذت مضامينها وانتهت إلى ما انتهت إليه من خير وشر ، ونجاح واخفاق .

فلا القومية العربية تمكنت من الصمود فى وجه التحدي الاسرائيلى باستنكار فتوحات عبد الملك بن مروان ..

ولا الحركات الثورية انقذتها ذكريات القرامطة .

ولا الدعوة الدينية ستهب لنجدتهـا جيوش سليمان القانونى والســـلطان عبد الحميد ..

هذا من ناحية ..

ومن ناحية اخرى فقد اثبتت تجارب الأمم فى الماضى والحاضر انه لا يمكن استعادة عصر من العصور فى عصر اخر وزمن آخر ومرحلة تاريخية وحضارية اخرى مهما كانت طبيعة ذلك العصر وجاذبيتــه العاطفية لقلوب المعاصرين وشدة تاثيره عليهم ، وقوة انتمائهم المذهبى إليه ..

فاليونانى المعـــاصر دائم الحنين والتشوق الى عصر اثينا وامجادها وزمن قائدها الديمقراطى الفذ بركليس وصحائف فلاسفتها وفلاسفة اليونان الاخرين .. ولكن اليونان الحديثة شىء .. واليونان القديمة شىء اخر مختلف .. وقد يتمكن اليونانيون المحدثون من تحقيق منجزات تاريخية جديدة ، عظيمة او متواضعة ، لكنهم لا ولن يتمكنوا من استعادة التاريخ الاغريقى والهليني بصورته الاصلية مهما حاولوا وفعلوا .. وان اصروا على استعادته فستكون الصورة التى يحققونها صـــورة تقليدية باهتة للصورة الاصل لسبب اساسي وهو ان اى عمل تاريخى عظيـــم لا يمكن تحقيقه بالاعتماد على التقليد .. تقليد عمل عظيم سابق .. او تقليد عظماء سابقين .

العمل التاريخي العظيم يستوحي الروح والجوهر فيما سبقه من اعمال وتجارب لكن عظمته تكمن فى انه ليس تقليداً لاى عمل سابق بعينه .

عظمة صدر الاسلام انه كان عصراً جديداً وتحولا نوعيا فى التاريخ ليس كمثله عصر فيما سبق من ازمان .

وعظمة الفجر الاغريقى ايام بركليس وارسطو والاسكندر انه كان صفحة جديدة كل الجدة فى التاريخ الاوربي والعالمى ..

اما محاولات التقليد التاريخية فلا تنتج إلا صوراً باهتة هزيلة لا تلبث ان تنمحي من سجل الوجود ..

لقد اغرم الايطاليون المحدثون فى عصر موسوليني بالتاريخ الروماني القديم المجيد وعصر الاباطرة الرومان الكبار . ولقد بذلت الدولة الايطالية الفاشية جهوداً مستميتةً للسير على خط الدولة الرومانية القديمة واستعادة امجادها وصحائفها سطراً سطراً .. ولكن تلك الجهود باءت بالاخفاق وتبديد الجهد فيما لا طائل وراءه ..





السلطان عبد الحميد



تيودور هرتزل

لقد احتل الايطاليون المحدثون ليبيا بالقوة والدم والجبروت .. كما فعلت روما القديمة ايام توسعها .. ولقد هجم الايطاليون المحدثون على استقلال الحبشة فى ضوء العصر الحديث لتقليد اجدادهم الرومان .. ونالوا فى ذلك ما نالوه من إدانات واخفاق ومتاعب ..

وللقارىء الكريم ان يتامل اليوم : ماذا حققت ايطاليا الحديثة من صـــورة الامبراطورية الرومانية القديمة ؟ والام قادتها الفاشية المقلدة للنموذج الروماني ؟

صحيح ان ايطاليا استوحت المجـــد الروماني فى توحيد كيانها وتحديث ذاتها .. ولكن هل الدولة الايطالية الحديثة صورة مستعادة ، صحيحة وحية ، للامبراطورية الرومانية ؟ وهل كان الطليان المحدثون محقين فى التقليد ؟

بالمقابل فان امما جديدة ، كالامـــة الامريكية ، انطلقت بلا تاريخ سابق ، ولا تقليد لأى عصر قديم من عصور التاريخ ، فحققت لنفسها ، بالاعتماد على طاقاتها الحية المعاصرة مالم تحققه أمم أخرى لنفسها وهى تحاول وتحاول تقليد صورها التاريخية القديمة المتوارثة ..

من هذا المنطلق نقول للقوميين العرب لن تحققوا ذاتكم بالرجوع للتاريخ الاموي او بمحاولة احياء التاريخ الاموى .. فهذا جهد ضائع .. لان المجد الاموي مرتبط بعصره وظروفه وطاقات أهله .. ثم انكم اذا افتخرتم بامجاد الوليد وتعريب عبد الملك للدولة ، فهل يشرفكم الانتماء الى يزيد والى الوليد بن يزيد وما اقترفاه من اعمال ؟

ونقول للمعجبين بثورات الخـــوارج والقرامطة : تلك امة سلفت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، واذا اعجبتكم ثورات هؤلاء واولئك، فهل تمدكم ببرامج عملية وقدرات حية لمواجهة مستلزمات العصر الحديث ، وما يفرضه على اهله من تحديات لم تجابه ثوار الامس ، ثم هـــل يمكن لاعجابكم ان يشمل ما سيطر على الخوارج من تمرد عقيم لم يثمر ، وما اتصف به القرامطة من تطرف وصل حد الاعتداء على الحرم ونقل الحجر الأسود من مكانه ؟

والمعجبون بالدولة الفاطمية ـ التى كانت فى بداية امرها دعوة مهدية شعبية معارضة ـ ماذا يستطيعون ان يجدوا فيها عندما استلمت السلطة غير البذخ والترف والتحالف فى نهاية الامر مع العـــدو الأفرنجي ضد بقية العرب والمسلمين ؟

أما آخر المحاولات واعجبها فهى محاولة اعادة الاعتبار للتاريخ العثمانى ولتاريخ السلاطين الأتراك فى العالم العربى الاسلامى باعتبارهم رموزاً للجامعـــة الاسلامية وللكيان الاسلامي الواحد !

وهذا المنحى التاريخي الجديد فى الثقافة العربية الاسلامية المعاصرة مرده الى اخفاق الحركات القومية والتقدمية التى ثارت على الدولة العثمانية وانفصلت عنها لاقامة كيان عربى عصرى جديد .

وهو منحى يرتبط ببعض مفكري الاتجاه الاسلامي الجديد وفصائله للدفاع عن تاريخ الخلفاء العثمانيين وتقديم صورة اخرى مختلفة عما ساد بين العرب عن مظالم الحكام الأتراك وطبيعتهم وشكل تصرفاتهم .

والحقبة التركيـــة حديثة العهـد .. والناس مازالوا يتذكرونها ويتذكرون طعمها فى ماضيهم القريب ومازالت بعض الأنظمة والقوانين والعادات والعقليات ذات الطابع العثماني قائمة فى بعض البلاد العربية أو اكثرهـــا مهمـــا اختلفت اشكالهـــا واسماؤها .

ونحن لا نريد ان ندخل فى جدل حول صلاحية الحكم العثمانى او عدم صلاحيته .. فتلك امه سلفت ايضا .

والحكم العثمانى ، كغيره من ظواهـر التاريخ ، كائن عضوي تترابط اجـــزاؤه واعضاؤه فى حقيقة كلية واحدة لابد من النظر اليها فى مجموعها وعدم انتقاء اجزاء مقتطعة منها دفاعاً او هجوماً .

فالحكم العثماني وحد المسلمين لفترة ، ونشر الاسلام وثبت كيان المنطقة لبعض الوقت ، لكنه من الناحية الحضارية كان متخلف العقلية ولم يستوعب تحولات العصر الحديث ، كما كان استبدادياً من الناحية السياسية والفكرية .

تلك امة سلفت !

وخلاصة ما يمكن ان نقوله عنه انه لم يستطع الصمود أمام التحديات الجديدة ، فتجاوزه التاريخ ، واسقطه . ولو كان يحمل مقومات البقاء والاستمرار لصمد وبقي رغم محاولات خصومه واعدائه . فكل قوة فى التاريخ يواجهها الاعداء والخصوم . وما يحسم امر بقائها او فنائها مدى قوتها الذاتية ومناعتها الداخلية . ولا يمكن ان نفسر كل سقوط فى تاريخنا بانه ـ فقط ـ من مؤامرات الاستعمار والامبريالية .. فمن

الطبيعي ان يتآمر الاستعمار ضد كل قوة قديمة او جديدة تحاول توحيد المنطقة وتكتيلها ضده ..

وكل حركة عربية او اسلامية تقول اننا فشلنا في جهدنا بسبب مؤامرات الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، يحق لنا ان نسالها : هل كنتم تنتظرون ان يرسل لكم الاستعمار والامبريالية والصهيونية باقات من الورد لجهودكم التوحيدية والاصلاحية والتحررية ؟!

فالدولة العثمانية سقطت لانحلال داخلي عميق تاصل فيها ولم تستطع تجاوزه . والعودة اليوم لبعض الصحائف العثمانية البيضاء – والتي كانت بيضاء حقا في زمنها وسياقها التاريخي – لن يغير من واقع الأمر شيئا ولن يعيد الروح لعصر مضى وانقضى . ونعتقد باخلاص ان الصحوة الاسلامية المعاصرة لن تكسب شيئا من ربط اسمها بالدولة العثمانية او استيحاء تاريخها ، لان ذلك يعني الارتباط بالمظالم ومظاهر التخلف بمثل ما يعني من تعلق بفتوحاتها وامجادها العسكرية . والواقع ان الدولة العثمانية لم يكن لها غير المجـــد العسكري امـــا ســـجلها الحضاري والفكري فمتواضع جدا ويكفي اننا لا نعثر على مفكر واحد ، عربي او مسلم ، له وزن يذكر من طراز الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون .. في التاريخ العثماني كله !!

فماذا يضيف هذا التاريخ لصحـــــوة اسلامية احوج ما تحتاج إليه في هذا العصر هو الفكر الحضاري المبدع الخلاق ، والقدرة على استيعاب تقنية العصر والانفتاح على الآفاق الانسانية الرحيبة ؟

اما محاولة تبييض صحائف السلطان التركي عبد الحميد بتكرار القول في كتابات بعض الاسلاميين اليوم : من انه رفض رفضا باتا عروض اليهود واغراءاتهم مقابل السماح لهم باقامة مستوطنات صهيونية في فلسطين .. فهذه مسالة تحتاج إلى تدقيق واعادة نظر لأن الامر لم يكن بمثل هذا الحسم والوضوح . ولا داعي ان ننسب للسلطان عبد الحميد مجداً غير مؤكد من اجل احياء النزعة العثمانية الجديدة في فكرنا التاريخي المعاصر !

مسألة بحاجة إلى تدقيق !

وهذه مسالة تحتاج الى بحث تاريخي كما قلت ، ولكني اضع تحت نظر القارىء القراءة التاريخية التالية بمناسبة طرح المسالة في سياق بحثنا هذا .

تقول هذه القراءة التاريخية : « في ١١ ايار (مايو) ١٩٠١ استقبل الســـلطان عبد الحميد الزعيم الصهيوني هرتزل الذى يعد بحق مؤسس الحركة الصهيونية .. وفي المقابلة قال السلطان لهرتزل : « كنت دائما ولا ازال صديقا لليهود واني اعتمد في تصريف شئون السلطنة ورعايـــــة مصالحها على اخلاص رعاياي من مسلمين ويهود ، اما سائر رعاياي فثقتي باخلاصهم ضعيفة » . فاجاب هرتزل : « نحن مستعدون لمساعدة تركيا في شتى الحقول ، لاننا مقتنعون بانها قادرة على تجديد قواها الحيوية » .

« وهنا طلب السلطان من زائره أن يدعو اليهود الى المساهمة في تحسين ماليـــــة الامبراطورية العثمانية في مقابل السماح لهم بانشاء مستعمرات ضمن المناطق التى يقع عليها اختيارهم . وقبل ان هرتزل وعد بتقديم مليوني ليرة استرلينية ، ولكنه عجز عن تامينها . وهكذا اخفقت اولى المحاولات السلمية لتحقيق حلم صهيون بالاتفاق مع عبد الحميد الذى كان ضعيف الثقة بالعرب » – (راجع : كتاب المسلمون في المتوسط الشرقي للجنرال بوهرر ، والجنرال اندري ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ١٣٢) .

هذا توقف هامشي فقط لنقول لدعاة احياء النزعة العثمانية في فكرنا الجديد .. رويدكم .. وكفانا ما نحن فيه من جمود .. ولسنا بحاجة إلى جرعة عثمانيـــــــة لانعاشنا .. كما لم تفدنا الجرعات الأموية او القرمطية !

وخلاصة القول في علاقتنا بالتاريخ هي ان نستوحي جوهره ودروسه ، في سياقه العام وعبر عصوره المختلفة ، وان نبصر ما يحمله من امجاد وانحطاط في نفس الوقت ، والا نجتزىء عصوراً معينة من التاريخ لننتمي اليها ، او نختار حركات تاريخية بعينها لنتوحد معها ، فهذا لا طائل وراءه . فالتاريخ سياق واحد متصل الحلقات ، والأطراف المتصارعة وجوه لحقيقة تاريخية واحدة . والمهم هو حقيقة الامة وجوهرها عبر التاريخ .

نحن ننتمي لتاريخنا العربي الاسلامي العام منذ أقدم عصوره الى اليوم في جوهره ، وفي قوانينه العامة ، لكننا نخطىء إذا نزعنا اليوم منزعاً اموياً او فاطميا او عثمانيا ، وركزنا على عصر واحد واسدلنا الظلام والستار على العصـــور الاخرى او الحركات الاخرى . فهذه نظرة غير علمية وفيها مخادعة للنفس ، فضلا عن كونها غير مجدية في خلق نهضة موحدة تشمل كل عناصر الامة وطوائفها بلا استثناء ،وتتطلع الى الأمام والى المستقبل.

فعندما يميل البعض الى الامويين يرد البعض الآخر بالميل الى الفاطميين . وعندما يتجه البعض للعثمانيين يتوجه البعض الآخر الى الصفويين .. وهكذا ندخل في سلسلة من إعادة صراعات التاريخ ، وربما حماقاته ، بدل ان نبذل الجهد لخوض صراع المصير والمستقبل .

فمن يعيـــد كتابة التـــاريخ العـــربي الاسلامي من جديد بلا هوى اموي او فاطمي او عثماني ؟

بل من يستعد لصنع المستقبل العربي وفي حسبانه ان يتخذ التاريخ كحـــافز لا كعبء ؟!

محمد جابر الأنصاري

لم ينزع إلى التسلط والجبروت ولم ينتقم لنفسه قط ، ولا طلب لها علواً فى الأرض ....



المعالم الأولى في عظمة محمد



بقلم : محمد الغزالي

لست أزعم ولا زعم غيرى ان الصحابة معصومون ولا انهم فى الفضل سواء ، وانما اقرر انهم صناعة سماوية عالية وقد نجحوا فى تبليغ رسالة غيرت تاريخ العالم ، وان نظامهم الاخلاقى يضارع فى دقته القوانين العلمية ، وان محمداً لا غير هو الذى قدر ـ بفضل الله ـ على إحكام هذا الجيل ، وابداعه على هذا النحو .

ملكتنى الدهشة وانا اقرا كيف اسلم عكرمة بن ابى جهل ، وصفوان بن امية ، وكيف استقبل النبى الكريم بمشاعر الحفاوة والفرحة هذا الاسلام الذى تاخر كثيراً ، وسبقته عداوات رهيبة .

اما صفوان فابوه امية بن خلف الذى تولى تعذيب بلال وكاد يزهق روحه تحت وطاة الصخر واللهب ، والذى لم يدع بابا لايذاء الاسلام ونبيه إلا ولجه ! ولذلك لما راه بلال فى « بدر » أسيراً صاح : امية راس الكفر ! لا نجوت ان نجا .. ! واجهز عليه .

ولم يكن ابنه ـ حتى فتح مكة ـ خيراً منه ..

واما عكرمة فابوه فرعون الوثنية ، وموقد العداوة والبغضاء ضد عقيدة التوحيد ومعتنقيها ، وقد سماه المسلمون ابا جهل بدل اسمه القديم ـ ابى الحكم لشدة ما يلقون من بطشه !

ولم يكن ابنه حتى فتح مكة خيرا منه ! بل ان عكرمة وصفوان وآخرين من ذوى الشراسة والتعصب رفضوا السلام الممنوح لأهل مكة وقرروا المقاومة لآخر رمق !

فلما يئسوا من النتيجة تركوا جزيرة العرب فارين بكفرهم إلى أرض أخرى.
ولكن لله قدراً آخر ، وهو أعلم بخلقه !

إن النبى المنتصر لم يكن طالب ثـار ، ولا ناشد قصاص : كانت الرغبة المستولية عليه أن يفتح أقفال القلوب ، وأن ينقـذ التائهين الحيارى ، وأن يعالج الأخطاء القديمة بالرفق ،وأن يلقى الأحقاد بالعفو ، وأن يحبب الناس فى الاسلام ، وأن تقر عيناه برؤيتهم يدخلون فيه أفراداً أو أفواجاً !

إنه رحمة مهداة ، إنه رسول يقود العباد إلى ربهم وليس بشراً ينزع إلى التسلط والجبروت ، ما انتقم لنفسه قط ، ولا طلب لها علواً فى الأرض ..

● ●

ولنسرد الشواهد على ذلك من أحداث التاريخ .. جاء عمير بن وهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : يا رسول الله ، صفوان بن أمية سيد قومى خرج هارباً ليقذف بنفسه فى البحر وخاف ألا تؤمنه ! فأمنه فداك أبى وأمى ، فقال رسول الله قد أمنته .!

لكن صفوان لم يطمئن ، وطلب من عمير علامة تشعره بالأمان ! فقال رسول الله لعمير : خذ عمامتى ـ التى كانت على رأسه يوم الفتح ـ فأره إياها .. !!

ورجع صفوان ! وحضر معركة حنين مع المسلمين ، وراه النبى عليه الصـــلاة والسلام عند توزيع الغنائم يرمق بإعجاب وادياً مليئاً بالإبل والغنم ! فقال له النبى الكريم : يعجبك ذلك ؟ قال : نعم ! قال : هو لك !

فقال صفوان : ما تطيب نفس أحد بمثل هذا العطاء إلا نفس نبى » أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

كان الرجل فى ريبة من أمره ، ولعله كان يحسب محمداً طالب ملك ، أو عاشق مال وجاه ! فلما رأى نفس النبى صلى الله عليه وسلم لا تطلع فيها ولا تعلق لها بشيء جل أو هان من هذا الحطام ، أدرك أنها النبوة فأعلن للفور تصديقه بها ..

يقول بعض المستشرقين : لم لم يعامل زعماء اليهود بهذه السماحة ؟ ونجيب : بأن صفوان وأشباهه كانوا فى عماية من أمرهم وما انشرحت صدورهم للايمان إلا بعد فترة طويلة أو قصيرة ، أما زعماء يهود ، فكانوا يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم ، ومـع ذلك فقد ظاهروا عليه الوثنيين مفضلين الشرك على التوحيد ، ومرجحين مصالحهم الجنسية على الأرض والسماء . فكيف يترك هؤلاء ؟

أما قصة إيمان عكرمة فهى أجدر بالتأمل الطويل ، جاءت امرأته « أم حكيم » ـ وكانت قد أسلمت يوم الفتح ـ فقـــالت : يا رسول الله هرب عكرمة ، خائفاً أن تقتله فأمنه ! فقال : هو أمن ..

وأدركت المرأة زوجها عند الساحل ، وقد ركب سفينة يريد الإبحار بها بعيداً فنادته قائلة : جئتك من عند أوصل الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، وعد معى ، فقد استأمنت لك رسول الله ..

قال ابن عساكر : فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يأتيكم عكرمة بن أبى جهل مؤمناً ، فلا تسبوا أباه ! فإن سب الميت يؤذى الحى ولا يبلغ الميت .. .

ولما أقبل عكرمة وثب إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، متعجلا ليس عليه رداء ، من فرحه بمقدمه ! وعرض عليه الاسلام ، فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق ، وإلى كل أمر حسن جميل ، قد كنت والله فينا ـ قبل دعوتك هذه ـ أصدقنا حديثاً وأبرنا براً ..

وأعلن الرجل إسلامه فى مشهد نابض بالصدق ، كاشف عن مستقبل عامر بحب الله ورسوله .

وكان مطأطئاً رأسه حياء من النبى صلى الله عليه وسلم ! ثم قال : يا رسول الله استغفر لى كل عداوة عاديتكها ، أو مركب أوضعت فيه أريد إظهار الشرك والصد عن سبيلك !

فدعا رسول الله له .. فقال عكرمة : أما والله لا أدع نفقة كنت أنفقتها فى الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها فى سبيل الله ولا قتالا قاتلت فى الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه فى سبيل الله ..

● ●

بهذا الخلق العظيم كان صاحب الرسالة الخاتمة يصنع السلف الأول ، إنه لم يصنعهم على هذا الغرار ليؤمنوا به وحسب ؟ لا ، إنه يريد أن يؤمنوا وأن يحملوا إلى غيرهم الايمان وأن يزيحوا من أمامه العوائق ، إنهم بناة تاريخ مديد ، ودعائم رسالة تستوعب الزمن كله !

إن صحابة محمد تشدهم إليه جاذبية معنوية كهذه الجاذبية المادية التى تربط الشمس بكواكبها وأقمارها ، وتنظم ما أودع الله فيها من طاقة وضوء !

فلننظر كيف وفى عكرمة بعهده لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال التاريخ : عندما التقى الروم والعرب فى معركة اليرموك وضع خالد خطته على أن يتحمل قلب الجيش الاسلامى عبء المعركة ، وأن يحتفظ هو بالجناحين ليلتف بهما حول الروم فى الوقت المناسب ..

والروم أضعاف المسلمين أربع مرات فكيف إذا تصدى لهجمتهم القلب وحده ؟ كان الموقف صعباً جداً ، وتهشمت صفوف أمام وطأة الرومان ، وزلزلت أقدام البعض .

وهنا صاح عكرمة : قاتلت رسول الله فى مواطن كثيرة وأفر اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فانضم إليه أربعمائة من طلاب الشهادة ، من وجوه المســلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتل منهم خلق كثير .

بيد أن قلب الجيش صد المهاجمين حتى مكن خالداً من الاطباق عليهم بجناحيه فهزموا هزيمة محت دولة الروم من الشام كله ..

ألا ترى التربية النبوية فى موقف عكرمة والرجال الذين آزروه ؟

المعالم الأولى في عظمة محمد

وانظر اثر هذه التربية فى موقف آخر ، روى الطبرانى ان ابا بكر استنفر المسلمين لقتال اهل الردة ، فساروا إلى اليمامة وكذابها مسيلمة ، وكانوا فى منعة وعدد وأهبة ، فهزموا المسلمين ثلاث مرات .

فقال ثابت بن قيس ، وسالم مولى ابى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا لانفسهما حفرة فدخلا فيها ، وكان ثابت يحمل راية المهاجرين ، ولم يترك الصاحبان العظيمان مكانهما حتى قتلا فيه .

اما عباد بن بشر من الانصار فقد نادى فى قومه : احطموا جفون السيوف ـ اكسروا اغمادها ـ وتميزوا عن الناس ، واخذ يصيح اخلصونا اخلصونا .

فاحاط به اربعمائة من الانصار ما يخالطهم غيرهم ، وزحفوا إلى الحديقة التى تحصن بها مسيلمة واتباعه واقتحموا بابها ، وتتابع اهل الفداء حتى احتلوها ، وقتلوا الكذاب الذى اثار هذه الفتنة ، ثم غسلوا الجزيرة غسلا من كل هذه الاقذار .!!

إن اعداداً كبيرة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ذهبوا شهداء فى معارك الجهاد ضد الوثنيين والكتابيين ، ولكن فناء فى الحق هو عين البقاء !

● ●

والدارس المحايد يرى آثار النبوة فى شمائل اولئك الرجال الشجعان ، إن محمداً مات يقيناً ، غير ان روحه بقيت يتحرك بها اصحابه ، فما غرسه فى دمائهم لم يذهب سدى !

لقد اشربوا منه حب الله ، وطلب رضاه والتمهيد للقائه ، والشوق إلى جنتـــه ، فاقدرتهم هذه العواطف الجياشه على تهديم أسوار الباطل وكانت عالية .

وتلاشت امبراطوريات استعصت على الفناء قرونا متطاولة .. !

● ●

وتميز اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بامرين لم يعرفا فى تاريخ النبوات الأولى ..

لقد نقلوا الوحى السماوى كله فما سقط منه حرف ، ونقلوا السنة المحمدية كذلك ، وربوا من الاتباع من عمل عملهم . فاذا الاسلام يبقى فى أصوله النظرية مصونا من كل شائبة .

وظل هذا التواتر للقران الكريم كلمة كلمة ، وللسنة فى الجملة ، فتوفرت للرسالة الخاتمة عناصر الخلود ، وظلت وسوف تظل كلمة الله الأخيرة للخلائق اجمعين حتى انتهاء الدنيا .

اما الأمر الآخر ، فان الصحابة رضى الله عنهم هم الذين جعلوا عالمية الرســـالة حقيقة واقعة، فان النبى عليه الصـــلاة والسلام لحق بالرفيق الاعلى ودينه لم يتجاوز حدود جزيرة العرب ، وقد علم الاصحاب الكرام انه مبعوث للعالم كله ، فشرعوا ينساحون فى الارض مبشرين ومنذرين !

ولم يكن الطريق سهلا ، فان رعاع العرب داخل الجزيرة حاولوا إعادة الليل المدبر وإحياء الجاهلية المسحوقة ، كما ان مجوس فارس وصليبيى الرومان اعترضوا بالعنف مسار الدعوة ! غير ان الجيل الذى رباه محمد كان صلب المعدن ، شديد الباس جمع بين الصرامة والكرامة ، فلم تلن قناته ولم يضرع امام قوى الباطل ! إنه نازلها كلها حتى كسر شوكتها واسقط دولتها !

ان تربية محمد لهذا الجيل معجزته الكبرى بعد القران الكريم ، وإنى احس فى اولئك الأصحاب ذوب نفسه عليه الصلاة والسلام ، ونبل شمائله ، وعمق عبادته ، وحبه الجارف لذات الله واستعلاءه الفذ على مآرب الدنيا ..

وصحبة العظماء نعمة جليلة .. إن ساعة مع جليس صالح تنفحك من خلائقه ما ينفحك حامل المسك ، كما ذكر ذلك النبى الكريم ، نعم قد تستفيد فكرة نيرة ، او خلة طيبة ، او قدوة حسنة ذاك فى لقاء عابر ، فكيف إذا طال اللقاء ودامت العشرة ؟

ذكر مطعم بن جبير ان قلبه كاد يطير من الرغبة والرهبة والخشوع وهو يسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرا سورة الطور فى صلاة المغرب !

فكيف بمن صلى وراءه بالقران كله الاف الركعات ؟ وخالطه فى شئون حياته وتقلبه بين الناس ؟

إنه جيل لانظير له فى تاريخ الرسالات ، وتعرف ذلك بالموازنة العادلة !

فبطرس احد الحواريين الكبار ، وقد صحب عيسى بن مريم طويلا ، ومع ذلك فعندما تعرض هذا النبى الكريم للاضطهاد وشرع خصـــومه من اليهود والرومـان يقاومون تعاليمه بغضب ، وصدرت الأوامر للشرطة بمصادرة النصرانية واعتقال اتباعها وتعرض عيسى لحرج شديد .. فى هذه الأونة القى القبض على بطرس وسئل:

اتعرف عيسى بن مريم .

قال : لا ! وانكر عدة مرات ان له به صلة .. لقد آثر النجاة بنفسه !

اذكر هذا الموقف الغريب واقرأ هذه القصة ، اسر المشركون زيد بن الدثنة ، وساقوه إلى ساحة القتل ، واحاطوا به فى لحظاته الأخيرة ليشمتوا ويشتفوا ! قال له ابو سفيان ـ والرمح موجه إلى بطن زيد ليغرس فى احشائه ـ انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمداً الآن عندنا مكانك ، نضرب عنقه ، وانك سالم فى اهلك ؟

قال زيد : والله ما احب ان محمداً صلى الله عليه وسلم الآن فى مكانه الذى هـــو فيه ، تصيبه شوكة تؤذيه ، وإنى جالس فى اهلى ... !!

قال ابو سفيان : ما رايت من الناس احداً يحب احداً كما يحب اصـــحاب محمــد محمداً .. !!

وقتـــل الصـــحابى الوفى المحب لله ورسوله ، وهو الآن يمرح فى بحبوحة الجنة ! جمعنا الله به ، منة وكرما ..

الفرق بين بطرس وزيد ، هو الفرق بين

اصحاب محمد وسائر الناس ، إنهم طراز اخر من البشرية الزاكية ، ومن ثم قلنا : إنهم جزء من حياة محمد وجهاده وزكاته ، ومجلى لأمجاد انسان ضخم شاء الله أن يخرج العالم على يديه من الظلمات إلى النور ..

● ●

والرجولة الجادة التى تميز بهـــا اصحاب محمد حصنت دينه من التحريف ، إن حاخاما مثل شاول تظاهر بالنصرانية ، واستطاع أن يجعل التوحيد تثليثا ، واعجز الأتباع الذاهلين عن الاحتفاظ بما لديهم ، فضاع ولم يعثر له على اثر !

أما الصحابة فقد يئس الشيطان ان يعبد فى ارضهم ، او يغير كلمة من وحيهم : كانوا أشداء فى صون الحق ودمغ الباطل : كانوا تلامذة اذكياء لنبي المرحمة ونبى الملحمة ، بث فيهم روحه فاضحوا وكانهم صور مصغرة له ..

من اجل ذلك غار عليهم ودفع عنهم ، وحمى اعراضهم ، روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الله الله فى اصحابى ، لا تتخذوهم غرضا بعدى ! فمن احبهم فبحبى احبهم ، ومن ابغضـــهم فببغضى ابغضهم ! ومن اذاهم فقد اذانى ، ومن اذانى فقد اذى الله ! ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه .. » .

والتعبير بالايذاء ناضح بفظاعة الجريمة .. قال تعالى « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا » .

ولست ازعم ولا زعم غيري ان الصحابة معصومون ولا انهم في الفضل سواء ، وانما اقرر انهم صناعة سماوية عالية ، وقد نجحوا في تبليغ رسالـة غيرت تــاريخ العالم ، وان نظامهم الاخلاقي يضارع في دقته القوانين العلمية ، وان محمدا لا غير هو الذي قدر ـ بفضل الله ـ على احكام هذا الجيل ، وابداعه على هذا النحو ...

والآيات الأخيرة من سورة الفتح اوضحت هذه المعاني بايجاز : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » ، والاظهار المذكور يقوم على البرهان ، وتجلية الحقائق وكشف الشبهات ، قبل اي شيء اخر ..

فاذا استنسر الضلال ، واحتقر البرهان قامت الحرب .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب اجـدى على الدنيا من السلم !

ثم يقول تبارك اسمه « محمد رسول الله ، والـذين معه أشداء على الكفـار رحمـــاء بينهم .. » لابد من الشدة في وجه محاولات التحريف والكيد واذلال الدعاة ! لا عزة للفرعنة والإفساد ! من الخير الا تبقى جرائيم الجبلات القاتلة حرة في الفتك والاغتيال !

والى جانب هذا المسلك يجب ان يكون المرء حلو الشمائل دميث الأخلاق مع البراء والاخيار ، وقد كان رسول الله اشد حياء من العذراء فى خدرها فاذا انتهكت لله حرمة لم يقم لغضبه شيء .. ، وكذلك ربى امته !

ويطرد وصف المؤمنين فيقول تعــــالى : « .. تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من اثر السجود » الانسان الصادق الشريف تبدو في اساريره سيماء الصدق والشرف ، وتنطبع في وجهه مسحة من ادب وخشوع ، وتدبر قول الشاعر :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه
ثمال اليتامى ، عصمة للارامل !

وبياض الوجوه وسوادها ليس انتماء الى جنس ابيض أو أسود ، وإنما هو نضح الطوايا الطيبة أو الخبيثة ، وما يكسوها من تهلل او خزى .

والامة الاسلامية امة عبادة لله ، ودعوة إلى هذه العبادة ، وانشغال بتكاليفها بالغدو والآصال ، وتوكل على الله ، ورجاء فى بره ، وارتقاب دائم لفضله ورضاه .

قال تعالى « ذلك مثلهم فى التــوراة ومثلهم فى الانجيل .. » لا مكان هنا لذكر ماورد من إرهاصات عن النبوة الخاتمة فى الكتب السابقة ، بل نحن لا نعول عليها فى شيء ! وإنما نتامل فى ختام الآية ، وكيف بدات الأمــة الاسلامية ضعيفة العود كالنبتة الخضراء الطرية لو داسها حيوان بظلفه لأماتها ، ثم كيف نما هذا الزرع ، وتحولت الساق الغضة إلى شجرة باسقة وانضم إليها غيرها فاذا الحقل المتموج يتحول الى غابة من الأشجار الباسقة ، لو صعد الرجال على اغصانها لحملتهم .

هكذا كنا وهكذا صرنا « كزرع اخرج شطئه ـ فسائله وسلالاته ـ فآزره ـ انضم إلى جواره مثيله فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع .. » .

فى صحراء الجزيرة المنقطعة عن الحضارات كلها صنع محمد عليه الصلاة والسلام امة عجبا ، قال العدو فى وصف مقاتليها : إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار .

هذه الكلمة تشير الى طبيعة البناء الذى قامت عليه امتنا .. إنه من الداخل تعاون على البر والتقوى ، وتآخ فى السراء والضراء ، ومن الخارج رباط مستديم لمؤازرة الخير ومدافعة الشر ..

وميزة الرسالة التى اضطلعت بها امتنا انها لا تسكت عن معروف ولا تسكت على منكر ، وانها تشتبك باسم الله مع شياطين الانس والجن لتكف باسهم وتكسر عدوانهم ..

ولولا ظهور الاسلام لبادت حقائق وفضائل ، ولصارت الانسانية قطيعا آخر من الوحوش الضارية لا تتحرك إلا بغرائز السوء ..

ان الأمة التى رفعت علم التوحيد هى وحدها التى قلمت اظافر القياصرة والأكاسرة والفراعنة ، واحتضنت سواد الجماهير وقال نبيها لمن يريد طلبه : « ابغـــونى فى ضعائفكم هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم ؟ » .

اين هذه الامة الآن ؟ واين صوتها فى المجامع العالمية ؟ واين النماذج التى تقدمها لدينها العظيم ؟ .

لا اقدر على الجواب ! إننا نحاول بشق الأنفس جمع الشتات وإحياء الموات .. وما ندرك سهما من نجاح إلا اذا ارينا الله من انفسنا الصدق .. !

محمد الغزالى

مكرم عبيد
ليس رائدًا للفكرة العربية في مصر

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

- حوار مثير بين مكرم عبيد وأحمد الشقيري
- مكرم يطرد المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر.. ومصطفى النحاس يسانده ويتبنى قضيته
- صحفي كبير يجعل من مكتبه في جريدة الأهرام وكالة فلسطينية قبل ١٩٤٨

خرجت علينا إحدى الرسائل الجامعية التى نالت درجة الامتياز فى جامعة عربية محترمة برأى محدد تقول فيه : إن مكرم عبيد باشا ، السياسى المصرى المعروف وسكرتير حزب الوفد السابق ورئيس حزب الكتلة الوفدية بعد ذلك ، كان اول رائد للدعوة إلى الوحدة العربية فى مصر .

فهل يستقيم هذا الرأى مع حقائق التاريخ الثابتة ؟.. هذا ما نناقشه فى المقال التالى ، ونلقى عليه الضوء ، لنرى مدى ما فيه من صحة واستقامة علمية .

إذا كان لكل قضية شكل ومضمون ، فان فكرة الوحدة العربية كانت قائمة مضمونا وغائبة شكلا حتى نهاية الدولة العثمانية .. وبعد استقلال الدول العربية أصبحت الفكرة قائمة شكلا بعد ان نصت عليها كافة الدساتير ، وان كانت غائبة موضوعا بسبب الافتتان بقضايا ما بعد الاستقلال الوطنى الذى شغل كل دولة إلى حد ما عن تعميق الارتباط العربى ، وان كانت قضية فلسطين المعاصرة هى وحدها التى حافظت على الانتماء العربى .

وشواهد التاريخ تؤكد عمق العلاقة العربية بين كافة الدول العربية وارتباطها بالمصير الواحد . ففى عهد الظاهر بيبرس كان البريد ينتقل على ظهور الخيل من القاهرة إلى دمشق فى اربعة ايام بصفة منتظمة يوميا وبلا رقابة .. كما أن رحلات ابن بطوطة ما هى إلا تسجيل لرحلات من الاف الرحلات التى كان يقوم بها ابناء الامة العربية فى عصره ، عابرين كافة الحدود العربية بلا جمارك او جوازات سفر !

وإذا ما تاملنا اللحظات الأخيرة اللاهثة من حياة الدولة العثمانية ، لوجدنا فى طرابلس ليبيا ان صالح حرب المصرى الذى هرب بجنوده من جيش الاحتلال البريطانى وحكم عليه بالاعدام ، يحارب جنبا إلى جنب مع جعفر العسكرى وهو كردى عراقى ومع عبد الرحمن عزام الذى ضحى بدراسة الطب ليكافح فى سبيل الوحدة العربية ..

وفى تلك الفترة ، كان هناك إلى حد ما تمثيل للعرب فى (مجلس المبعوثان) وكان يصل إلى منصب الصدر الاعظم تونسى (خير الدين باشا) او مصرى (أسعد حليم) .. كما ان ابا الهدى الصيادى الذى ينسب إليه الكثير من النقد كمستشار سيطر على السلطان عبد الحميد كان عربيا خالصا فى فكره وسلوكه .

إلا ان كل ذلك وغيره الكثير ، تبدد فى مرحلة تالية ، عندما دخل الاستعمار الغربى إلى كل شبر - تقريبا - من اوطان العرب متجاوزا ذلك حتى اسوار اسطنبول نفسها ، وسقطت القدس امام جيش الجنرال اللبنى ، ووقتها استيقظ العرب ليجدوا انفسهم فريسة للاحتلال البريطانى والفرنسى والايطالى ، واستماتت الاستعمار من اجل ضرب الفكرة العربية بكل الوسائل ففى شمال إفريقيا عمد إلى محو اللغة العربية محوا تاما واحلال الفكر الغربى محل الفكر العربى ،وفى الشام لجا إلى تفتيت الوطن الواحد إلى كيانات صغرى يسهل السيطرة عليها ، وفى وادى النيل كان لابد ان يسعى بكل قواه لايجاد الكيانات المتخاصمة وان شربت من ماء واحد وارتبطت بمصير عربى واحد .

وجاءت فترة ما بين الحربين لتنشغل الدول العربية انشغالا كاملا بقضية الاستقلال الوطنى ، فكان شعار كل دولة هو محاولة تحقيق استقلاله الوطنى والذود عن هذا الاستقلال بكافة الوسائل والسبل .

وظل الحال على ما هو عليه ، حتى برزت



مكرم عبيد

احمد الشقيري

مصطفى النحاس



محمد على الطاهر

قضية فلسطين ، وهى وحدها التى يعود إليها الفضل فى تذكير العرب جميعا - رغم انشغالهم بقضية الاستقلال الوطنى - بان هناك رابطة لغة واحدة وتراث واحد واصل واحد وامال واحدة لابد ان تجمع صفوفهم فى مواجهة هذا الخطر الجديد الذى يهددهم جميعـــا وهـــو الخطر الصهيونى .

وإلى جوار ذلك كان هناك رجال اللغة من ادباء العروبة ورجال الصحافة والفن والفكر واساتذة الجامعات ، ممن كان لهم فضل الحفاظ على الانتماء العربى رغم الانشغال بالقضية الوطنية ، فطه حسين والعقاد وغيرهم من ابناء جيلهم فى كافة البلاد العربية كانت كتبهم سفيرا عربيا غير رسمى فى كل شبر من ارض العرب المحتلة ، وتلاوة الشيخ محمد رفعت وغيره من مشاهير المقرئين كانت فيضا عظيما يتلهف العرب على سماعه فى كل مكان ، والصحف المصرية كانت تصل لكل البـــلاد العربية وكانت فى معظمها من إنشاء الشوام الذين هاجروا إلى مصر ، وحتى الاغنية العربية فى مصر او الشام او العراق كانت نهراً يرتوى منه العربى اينما كان !

ولطالما بذلت محاولات عديدة من اجل الوحدة السياسية بين العديد من البلاد العربية ، ولكن الاستعمار كان يقف لتلك المحاولات بالمرصاد ، فقضى بمؤامرته على بعضها بمجرد ظهوره ، واجهض البعض الاخر قبل ان يرى النور !

هذه الرسالة الجامعية

ومنذ ايام اطلعت على رسالة دكتوراه (اجيزت بامتياز) من جامعة عربية ، وتوقفت عند ما قاله صاحب الرسالة من ان محاولات الوحدة العربية كان رائدها هو مكرم عبيد ، ووجدت ان الباحث استدل على ذلك بمقال نشره مكرم عبيد فى الهلال الشهرية داعياً إلى الوحدة العربية ، وهذا حكم لا يمكن ان نطلقه ببساطة خاصة إذا ما صدر فى بحث اكاديمى ، المفروض الا تصدر فيه اى احكام دون دراستها من كافة الجوانب ، خاصة وان كل الذين اهتموا بتاريخنا المعاصر يدركون ان هناك العديد من المحاولات الرامية إلى الوحدة العربية كانت قبل مكرم عبيد ، بل واحب ان اذكر ان مكرم عبيد - نفسه - كان يستغرب وجود هذه الوحدة ويدافع عن قناعته بذلك فى استماتة !

وفى مذكرات احمد الشقيرى (مقابلات مع الملوك والرؤساء العرب) قال ان مكرم باشا وفد على فلسطين كسكرتير عام لحزب الوفد لاستطلاع كفاح شعب فلسطين وليستطيع حزبه ان يكون رايا فى هذا الموضوع ، وانهم استقبلوه فى عكا ، وخطب لهم وخطبوا له ، وفى السيارة واثناء العودة دار الحوار التالى بين احمد

مكرم عبيد
ليس رائدا الفكرة العربية في مصر

الشقيري ومكرم عبيد :

« مكرم : بلادكم جميلة خالص .. إنها اجمل من مصر .

الشقيري : استغفر الله .. مصر ام الدنيا .. يكفيكم النيل .. مصر بستان العالم كما يقول ابن خلدون ولكن ..

مكرم : لكن ماذا ؟

الشقيري : الانجليز واليهود افسدوا علينا جمال بلادنا هذه ..

مكرم : الانجليز موضوع مفهوم .. ولكن اليهود .. اليسوا أولاد عمكم .

الشقيري مازحا : أولاد عمكم انتم .. فقد كان اليهود في مصر في عهد موسى قبل ان يأتوا إلى فلسطين !

مكرم : وما هو الحل ؟

الشقيري : الاستقلال لفلسطين في اطار وحدة عربية .

مكرم : والوحدة العربية .. « يعني إيه ؟ » (رائد الوحدة العربية هل يسأل هذا السؤال ؟) .

الشقيري : يعني نريد ان ندخل في وحدة مع الاردن وسوريا ولبنان والعراق .

مكرم : يعني إذن انتم « موش عاوزين الاستقلال » !

الشقيري : الاستقلال عندنا هو بداية الوحدة .

مكرم : معنى هذا ان تكون فلسطين مجرد « مديرية » في دولة المشرق هذه !!!

الشقيري : بالضبط » .

هذا هو الحوار الذي دار بين مكرم عبيد واحمد الشقيري ، وهو حوار ينفي ما قاله الباحث الذي لم يتحر امانة ودقة البحث في نفس الوقت الذي لا يعفى الذين ناقشوه في هذا الكلام واجازوه !

ولكن ، لننتقل بعد هذا الحوار ، إلى مذكرات اميل الغوري (٦٠ سنة في خدمة فلسطين) لنرى انه يسجل للتاريخ ان عددا غير قليل من زعماء الاحزاب السياسية المصرية لم يبدوا اي اهتمام جدي بثورة فلسطين وكفاحها ، بل وكانوا لا يصدقون ان الفلسطينيين يهاجمون الانجليز فعلا أو يطلقون عليهم الرصاص ..

وقال في هذه المذكرات بوضوح وصراحة « من واجبي ان اقرر ايضا ان مكرم عبيد والنقراشي واحمد ماهر ونجيب الهلالي لم يكونوا متحمسين ابدا لفلسطين .. ومن حزب الاحرار لم يكن لطفي السيد ولا حسين هيكل ولا محمود عزمي يبدون عطفا بل ان آراء بعضهم كانت مخالفة لرأي العرب ، وان حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني (القديم) لم يبد اي اهتمام بالقضية » ..

ويحدد اميل الغوري اسماء الزعماء السياسيين الذين كانوا يبدون عطفا وتفهما للكفاح الفلسطيني بانهم في حزب الوفد لا يخرجون عن : مصطفى النحاس ، حمد الباسل ، عبد الستار الباسل ، عبد الرحمن عزام ، محمود بسيوني ، محمود لطيف ، حافظ عوض ، فتح الله بركات .. اما من خارج حزب الوفد فكان المؤيدون للقضية الفلسطينية : محمد محمود ، ومحمد علي علوبة ، ومنصور فهمي وحافظ محمود (من الاحرار الدستوريين) واحمد حسين ومصطفى الوكيل ومحمد صبيح (من مصر الفتاة) .

لا خطب ولا حتى كلمات

وهكذا نرى ان تلك الوثائق وغيرها تنفي ما ورد في رسالة الدكتوراه ، التي اعتمدت في اصدار هذا القرار التاريخي الخطير على ما ورد في مقال لمكرم عبيد في مجلة الهلال ..

فهذا القرار يسقط قيمة الرسالة ، ويعتبر في نفس الوقت شهادة لمجلة الهلال ولصحف دار الهلال التي دأبت على مناصرة القضايا العربية والوحدة بين البلاد العربية ، ولازالت تصدر سنويا عددا بعنوان « نحن العرب » .

ولعل ذلك المقال كان مجرد استكتاب من المجلة لمكرم عبيد باعتباره احدى الشخصيات الأدبية السياسية اللامعة ، وللأسف فاننا ـ خارج نطاق ذلك المقال ـ لا نجد لرائد القومية العربية خطبة ولا حتى كلمة في هذا الموضوع !

وقد كانت الصحف المصرية في ذلك الوقت وقبله اكثر تفهما واسبق اهتماما وعناية بقضية فلسطين وكانت هناك باستمرار كلمات ملتهبة عن فلسطين وكفاح شعبها العربي في « كوكب الشرق » و « البلاغ » و « مصر الفتاة » وحتى جريدة « المقطم » كانت لا تخلو بين الحين والآخر من مقالات تشرح ابعاد القضية الفلسطينية .

لقد كان من مؤيدي قضية فلسطين من كبار الصحفيين في ذلك الوقت : حافظ عوض ، وتوفيق دياب ، وعبد القادر حمزة ، واحمد حسين ، وحافظ محمود ، وخليل ثابت ، وفؤاد صروف ، وداود بركات ، واسعد داغر ، ومحمود ابو الفتح ، ومحمود صبيح ، والبير عمون .

وكان الصحفي أسعد داغر يحول مكتبه في جريدة الأهرام إلى وكالة فلسطينية ، بل إلى مركز « عروبة » ، ويجتمع فيه مؤيدو العروبة والمناصرون للقضية الفلسطينية من مصريين وغيرهم مثل خير الدين الزركلي وحبيب جاماتي وموريس ارقش وعبد العزيز العلي وصبحي الشوربجي ويعقوب خوري ومحمد علي الطاهر .

شهادة اخرى

ويذكر محمد علي الطاهر في كتابه « ظلام السجن » انه بعد ان كان متخفيا عن الانجليز في مصر خلال الحرب العالمية الثانية بسبب صدور حكم ضده ، ظهر فجاة امام مكرم عبيد عندما كان وزيرا للمالية في حكومة مصطفى النحاس ، فنهره مكرم وطرده ، وحاول محمد علي الطاهر أن يذكر مكرم بما كان يقوله له من قبل ، فقال له « اسمع يا محمد .. هذا لما كنا في المعارضة ، ولكننا الآن في الحكم .. اذهب عني » .. وذهب محمد علي الطاهر إلى مصطفى النحاس ، فافرج عنه ، وحصل له على العفو ، وسهل له اقامته ونشاطه السياسي في مصر .

ونحن لا نستغرب تلك الشهادة أو غيرها ، لان الفكرة العربية نفسها لم تكن متبلورة في اذهان اغلب السياسيين المصريين في ذلك الوقت ، ولم تتبلور إلا بعد ظهور الخطر الصهيوني واشتعال النزاع العربي الاسرائيلي وكشف المخططات الصهيونية الرامية الى الاستيلاء على معظم اراضي الوطن العربي .

كما ان الفكرة العربية نفسها كانت عدوا لدودا للاستعمار الذي غذى الاقليمية حتى يضمن بقاءه ، وغذاها بكل الوسائل ، بما في ذلك التشجيع على الاغتراف من علوم الغرب ، حتى وجدنا رجلا ذكيا ونابها وعبقريا مثل طه حسين يفاجئنا بمقالة في مجلة « المكشوف الشامية » يقول فيها :



ابراهيم باشا



عبد الرحمن عزام

احمد لطفى السيد

عبد القادر حمزه

« ان الفرعونية متاصلة فى نفوس المصريين ، وانها ستبقى كذلك ، بل يجب ان تبقى كذلك ، ولا تطلبوا من مصر ان تتخلى عن مصريتها وإلا كان معنى طلبكم ان اهدمى يا مصر ابا الهول والاهرام وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم وانسى نفسك واتبعينا » ..

لقد نسى طه حسين نفسه فى هـــذه الكلمة .. ونسى ان عشاقه فى كل العالم العربى يقراونه بالعربية ولا يقراونـــه بالهيروغليفية !

محاولات نحو الوحدة العربية

من كل ذلك وغيره ، نصل إلى القول باننا نريد ان نوضح حقيقة تقول بان الراى العام المتوهج للفكرة العربية لم ينضج إلا بعد تطور القضية الفلسطينية وتحولها إلى نزاع عربى اسرائيلى شامل ..

ولهذا فمن الخطا ـ على الاقـــل ـ اكاديميا ان نقول ان مقال مكرم عبيد فى الهلال عام ١٩٣٩ كـان أول بادرة نحو الوحدة العربية فى العصر الحديث ، فقد كانت هناك محاولات عديدة ، لقد ذهب عبد الحميد سعيد رئيس جماعة الشبان المسلمين وانشا فروعا لجمعيته فى فلسطين وخطب فى الساحات والدوادى والمساجد داعيا الى الاخوة الاسلامية .

وقبل ذلك دعا خريجو كلية بيروت الى الوحدة العربية فى كتابات البستانى والشدياق وعشرات غيرهم .

ومن قبل كل هؤلاء دعا ابراهيم باشا ابن محمد علي الى الوحدة العربية ايضا .

بل انه تكونت فى القاهرة رسميا عـام ١٩٢٢ (قبل مقال مكرم عبيد بسبعة عشر عاما) « جمعية الرابطة الشرقية » ، نشأت فكرتها لدى ميرزا مهدى رفيع مشلى بك واســـندت رئاســـتها الى الســـيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، واتخذت لها مقراً فى دار البكرى بالخرنفش بالقاهرة ، وكان من بين اعضائها بعض امراء الأسرة المالكة مثل الأمير يوسف كمال والنبيل اسماعيل داود ، وكان فيها ايضا الشيخ التفتازانى وصالح جودت « عم الشاعر صالح جودت وكان يعمل بالمحاماة ويحمل نفس الاســـم » والدكتور محجوب ثابت ، والشـــيخ عبد المحسن الكاظمى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، واحمد شفيق باشا ، والأمير حبيب لطف الله وهو سورى نال لقب الامارة هو واخوه وعملا سفيرين للثورة العربية ضد الاتراك ١٩١٦ فى لندن وباريس ، وانضم الى الجمعيـــة بعـــد تكوينها الأمير عمر طوسون ، وقد انشات هذه الرابطة فرعاً فى تركيا ضم احمد جودت بك الصحفى صاحب اقلام وعمر رضا بك صاحب جريدة الأخبار ومعلم اللغة الانجليزية للسلطان .

وكانت هذه « الرابطة الشرقية » بصدد انشاء فروع لها فى سائر دول الشرق وان تبدا حملة لجمع اعانات لتجديد المسجد الأقصى المبارك .

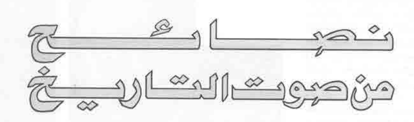
● ● ●

ورغم أن هناك جمعية بهذا النشاط ، وتضم هذه الشخصيات البارزة ، وتسبق مكرم عبيد بعقدين من الزمان ، ورغم شهادات أهل فلسطين انفسهم وعلى رأسهم الشقيرى واميل الغورى ومحمد على الطاهر وغيرهم .. رغم كل ذلك تاتى رسالة اكاديمية مجازة لتقول ان مكرم عبيد كان رائدا لفكرة القومية العربية فى العصر الحديث ..

لا .....

السيد فهمى الشناوى

المؤرخـون يخطئـون .. فمـتى يعتـدل المـيزان ؟





اظلـت منطقة خليجنا العربي على مدى تاريخه العريق الطويل ، الذى يمتد الى اكثر من عشرين قرناً من الزمن ، اظلـته سحب داكنة كان مطرها حروباً طاحنة سفكت فيها انهار من الدماء وازهقت فيها آلاف من الأرواح . كما أن هذه المنطقة الهامة قد انجبت مصابيح نيرة أضاءت عالم الفلسفة ودنيا التاريخ ورياض الأدب . وما تزال سحب داكنة تكمن فيها نيران متوقدة تهب عليه وتشتعل حوله .

ومن المحقق ان رياحا عاتية لابد أن تهب على تلك السحب فتبددها كما بددت سحبا جاءته فى عصور قديمة وعصور حديثة . وتتالف عناصر هذه الرياح من وحدة شعب هذه المنطقة واعطائه الحرية لتتفجر مواهبه وطاقاته . وستستمر هذه المنطقة فى انجاب المصابيح النيرة التى ستضيء عالم الفلسفة ودنيا التاريخ ورياض الادب .

لقد هتفت بتلك القرون الكثيرة التى مرت على هذه المنطقة بصوت رفيع مـدة طويلة . لكن استجابتها كانت ضعيفة فى كثير من الاحيان . وكانت تعتذر إلى قائلة : ان المؤرخين ظلموني اذ انهم لم يسطروا الا القليل مما شهدته هذه للنطقة بل ربما تجد قرونا قد تظنها خالية من نشاط انسان هذه المنطقة ، وليست فى الواقع كذلك . ولكن وهج تاريخ مناطق اخرى كان قويا اغرى كتاب التاريخ الأدبي والسياسي بالوقوف طويلا حوله ، اما انا ، والكلام ما يزال للمنطقة ، فاني فى نظرهم لا استحق جهد المؤرخين !

لقد كان صوت هذه المنطقة الذى سمعته من غمار التاريخ قويا الا انه مشوب بالحزن والالم فقد قال لي من جملة ما قـــال :

لا يجوز ان تتركوا منطقتكم هذه مهملة لا يعرف تاريخها الا القليل من العلماء ، وحتى هؤلاء فانهم كثيرا ما يضجرهم تعب البحث فى بطون كتب التاريخ ، مما يجعلهم يكتفون بمزق من هنا وهناك لا تكاد تنقع غليلا او تروي ظما .

وحتى تتاكد مما اقول اذكرك بما كابدناه نحن سكان هذه المنطقة من البرتغاليين الذين جاءوا الينا حين كانت كلمتنا هى الكلمة العليا وكانت شجرة الاستقرار فينانة تهب علينا نسائمها العطرة ، وكنا تحتها مطمئنين ، نمخر مياه هذا الخليج ذاهبين الى اسيا وافريقيا نحمل اليهـا ما تدره هذه المنطقة من خيرات وعائدين من تلك البلاد بما تدره تلك المناطق من توابل تضفى على الطعام اطيب الروائـــح والطعوم ، وبما تحمله اشجارها من اخشاب نصنع منها السفن والابـــواب وما نحتاج اليه من امور لتيسير الحياة .

كنا امنين مطمئنين واذ بالبرتغاليين يأتون الينا بسفن مزودة بابوات تنفث نيرانا حامية . وقد راعنا انهم لا يراعون حرمة للمساكن ، ولا يحملون فى قلوبهم شفقة لطفل او شيخ ضعيف .ولم يكن لنا علم او تصور بان الانسان يحمل قلبه مثل هذه القسوة ، ولكننا مع ذلك لم نضعف او نستكن وانما وقف الرجال منا يحاولون صد تلك النيران بادوات ضعيفة بسيطة ، لان الدفاع عن الشرف ممتزج بدمائنا .

فلما سقط المدافعون منا اقبل اولئك المستعمرون على البقية الباقية يجدعون انوفهم ويصلمون اذانهم ويفقاون عيونهم .

فصابرنا ورابطنا مدة من الزمن . واتفق عرب هذه المنطقة على مقاومة الغزو كل على قدر امكانـاته ، مما جعل حيـــاة اولئك المستعمرين حياة قلقة غير امنه ، ولو فتشتم فيما كتبه « البوكيرك » وهو اعنف رجالهم واعتاهم من رسائل الى اسياده ، لوجدتم فيها شهادات تملأ نفس كل عربى بالفخر والاعتزاز . ولكن العثور على هذه الرسائل يقتضي منكم جهداً متواصلا . كذلك عليكم ان تبحثوا عما جاءت به قرائح الشعراء والأدباء والمفكرين من اثار ادبية لتكون الصورة كاملة تامة .

● ●

ثم قالت القرون فى اجابتها ان علي أن اشكر الاستاذ احمد بوشرب أحد الباحثين المغاربة على هذا البحث القيم الذى نشره فى العدد السادس والعشرين السنة العاشرة من مجلة « المناهل » المغربية ، فانه بحث نافع فيه تبيين لأكثر من مئة وعشرين وثيقة ، منها ما يمس احتـــلال البرتغاليين للمغرب ، ومنها ما يمس احتلال البرتغاليين لهذه المنطقة .

ولقد كان هذا البحث موفقا فيما توصل اليه من فهم لتلك الوثائق . فقد قال فى جملة ما قال : ان ردود الفعل العربيـــة الاسلامية لم تعط نتائج فورية وسريعة نظرا لتفوق البرتغاليين فى ميدان الاسلحة النارية وخصوصا لافتقار المناطق المعرضة للغزو لقوة عسكرية وسياسية قادرة على الرد على التحدي البرتغالي . وقال ايضا عن هذه الوثائق البرتغالية بانها تشهد على افشال ردود الفعل العربية الاسلامية للمخططات البرتغالية ، فاذا كان الغزو البرتغالى يهدف اولا وقبل كل شيء الى حرمان العرب من دور الوساطة ما بين اوروبا والسودان الغربي من جهة ، والشرق الاقصى من جهة اخرى ، فان تعامل العرب مع هذه المناطق لم يتوقف ابداً ، وان تضرر من الحصار البرتغالى . ولقد اشترك الشعب كله فى مقاومة المستعمرين مما نسف مكتسبات البرتغاليين السياسية والاقتصادية ، لأن الشعب ادرك خطورة المخططات البرتغالية .

● ●

والحق ان حديث صوت التاريخ لم يكن كله حزينا ذليلا ، وانما كان حديثا يتخلله الرضا فى اواخره لما يجده التاريخ من ادراك شعبي وحكومي واهتمام بالبحث فى تاريخ هذه المنطقة . غير ان الطـــريق ما يزال طويلا ، ومازال البحث فى اوله .

فلابد من بذل جهود مادية ومعنوية ، فان قضية تاريخ هذه المنطقة مهمة تستحق كل ما يبذل فيها من جهود . ولقد كان حديث صوت التاريخ مفصلا يجعلني غير قادر على روايته بكامله . وقد خص الكثير منه حول ما نشرته مجلة « المناهل » من وثائق تاريخية لها اهميتها ، وينصح صوت التاريخ بان نحاول تصويرها ، كما ينبغي علينا أن نسعى الى ترجمتها ونشرها وان نسعى الى كل وثيقة عن هذه المنطقة لما للماضي من صلة بالحاضر ، وان معرفة الانسان بماضيه تزيد فى قدرته على فهم حاضره . ولقد سالت صوت التاريخ عن سبب تسمية هذه القناة « بمضيق هرمز » فاجابني ان عليكم ان تبحثوا فى هذه التسمية وفى غيرها لتستبين لكم الحقائق ولا تكتفوا بما ذكره القدماء من تسميات .

ولقد كنت اشعر فى نبرات صوت التاريخ رنة من الفرح مصدرها هـــذه الترجمات التى قامت بها حكومة دولة قطر لذلك السفر القيم واعني به دليل الخليج لمؤلفه لوريمر فانه سفر ضخم يتالف من سبعة اجزاء تتحدث عن تاريخ المنطقة وسبعة اجزاء اخرى تتحدث عن جغرافيتها على ان صوت التاريخ يرى بان يكون طريق اقتنائه سهلا ميسوراً للباحثين وذلك بان يوضع له ثمن وان يورع على كل مكتبة تطلبه ليتمكن كل راغب من شرائه .كما ان هناك مصدراً اخر زاد فى فرح التاريخ وهو ان دولا اخرى فى هذه المنطقة اخذت تعنى بكل ما تعنيه لفظة التراث من جانب ديني وشعبي وادبي وفكري .ويتمثل ذلك كله فى هذه الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية والتى تعالج شتى فنون المعرفة وفى هذه الكتب التى تصدر بين حين واخر والتى تفتح نوافذ الفكر فان الانسان المتسلح بالمعرفة هو الذى يستطيع ان يتلاءم مع هذا العصر .

عبد الرزاق البصير ــ الكويت

عصام شريح

آرثر كوستلر: الغالبيّة العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني وإنما من أصل قوقازي



احد الاخطاء الفادحة ، التي وقع الاعلام العربي في حبائلها ، وما يزال ، هو هذا الخلط غير المنطقي في التعريف بحقيقة اليهود ، وتعرية اصول المستوطنين منهم في فلسطين المحتلة ، إذ هذه المسالة ، خطيرة ، لأنها اساسية في التوجهات الاعلامية العربية لو كنا ندري ..حيث ان العقيدة الصهيونية ، تقوم اصلا على جمع يهود العالم في فلسطين الموسعة « اسرائيل الكبرى » من الفرات الى النيل ؛ بزعم ان جميع اليهود اليوم هم احفاد العبريين الذين مروا في بلاد كنعان في التاريخ القديم ، واقاموا دويلة صغيرة فيها لم تعمر عمليا أكثر من سبعين عاماً . ومن هنا كان علينا ، ان نركز على فضح الكذبة الصهيونية الكبرى ، والقائلة بان اليهود القادمين الى بلادنا من روسيا او بولندا ، او كافة اقطار أوروبا الشرقية والوسطى ، هم احفاد العبريين القدماء ، حيث ان هذه الخديعة الكبرى ، ومثلها الخديعة القائلة بان اليهود الحاليين من اصل سامي ، « أولاد عم العرب » ، كانت السلاح الأكثر مضاء في يد الحركة الصهيونية لتضليل العالم ، وتصوير عملية غزو فلسطين ، على انها « عودة الأحفاد الى ارض الميعاد » .

خزاريا.. السلاح البتّار الذي نسيه الإعلام العربي!

وفي الواقع ، فان الاسلحة الاعلامية التي تساعدنا في تعــرية الدعـــاية الصهيونية المضللة كثيرة ، ولعل اهمهـا الدراسات التي تثبت ان اليهود الذين هاجروا الى فلسطين من روسيا ودول أوروبا الشرقية بل ودول الغرب عموما ، هم من اصل قوقازي ، لايمت باى صلة للعبرانيين القدماء ، وتقول « الموسوعة اليهودية » في هذا الصدد : « الخزر : شعب تركي الاصل ، تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الاولى لتاريخ يهود روسيا .. وقد اكرهته القبائل البدوية في السهول من جهة ، ودفعه توقه الى السلب والانتقام من جهة اخرى ، الى توطيد اسس مملكة الخزر في معظم اجزاء روسيا الجنوبية ، قبل قيام (قبائل) الفرنجة في عام ٨٥٥ م ، بتاسيس الملكية في روسيا .. وفي هذا الوقت كانت مملكة الخزر في اوج قوتها ، تخوض غمار حروب متلاحقة .. وعند نهاية القرن الثامن ، تحول ملك الخزر ونبلاؤه واعداد كبيرة من شعبه الوثني ، الى الديانة اليهودية .. وكان عدد اليهود ضخماً في جميع انحاء مقاطعة الخزر ، خلال الفترة الواقعة ما بين القرنين السابع والعاشر .. وقد بدا في حوالي القرن التاسع

ان جميع الخزر قد اصبحوا يهوداً ، وانهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط » .

ولعل افضل الوثائق التى يمكن للاعلام العربى استخدامها بنجاح فى فضح الخداع الصهيونى ، ذلك الكتاب القيم حول دولة الخزر القديمة المتهودة ، لمؤلفه اليهودى ارثر كوستلر ، والذى اصدر طبعته الاولى فى لندن فى علم ١٩٧٦ تحت عنـوان :

« القبيلة الثالثة عشرة : امبراطورية الخزر وميراثها » ، ولأهمية الكتاب نفدت الطبعة الأولى منه بسرعة ، مما دفع المؤلف الى اعادة طباعته فى نفس العام . لكن .. ماذا فى هذا الكتاب ؟ ؟ .

ينقض كوستلر فى كتابه ، المفـاهيم المغلوطة ، والمضللة التى روجها اليهود عبر عصور طويلة ، من انهم احفـاد العبريين كما قلنا انفا ويقول : ان اليهود المعاصرين هم فى غالبيتهم احفاد شعب الخزر الذى ينحدر من أصل تركى ، والذى اقام دولة عرفت الازدهار ، ولعبت دوراً حاسماً فى التاريخ خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى .

وقد شغلت دولة الخزر هذه ، موقعاً استراتيجيا هاما على المعبر الحيـوي الممتد ما بين البحر الأسود وبحر قزوين (أو بحر الخزر) ، وفى راي كوستلر ، فان الدور التاريخي الذى لعبته دولة الخزر هذه ، انما تمثل فى وقف الفتوحات العربية الأموية ، مما حال دون العرب وفتح اوروبا الشرقية . وقد امتدت حروب العرب مع الخزر لاكثر من مائة سنة ، ويقول كوستلر انه « لولا وجود الخزر فى المنطقة الواقعة الى شمال جبال القوقاز (أو القفقاس) ، لكانت بيزنطة ، حصن « الحضـارة » الاوروبية فى الشرق ، ستجد نفسها محاصرة من قبل العرب ، ولكان من الممكن جدا أن يتغير تاريخ المسيحية والاسلام كثيراً عما نعرفه » ويبالغ كوستلر فى إضفاء صفة المنقذين على شعب الخزر ، بقوله : « ان حركة التطويق الاسلاميـة الضخمة عبر جبال البرانس من الغرب ، وعبر جبال القوقاز فى اوروبا الشرقية ، كانت قد وهنت .. ومثلما انقذ شارل مارتل بعناصره الجرمانية بلاد الغال (فرنسا) واوربا الغربية ، فقد انقذ الخزر التخوم الشرقية لنهرى الفولجا ـ والدانـوب ، والامبراطورية الرومانية الشرقية نفسها » .

شعب الخزر

تتفق الروايات التاريخية ، على ان شعب الخزر كان يعيش حياة بدوية متخلفة ، اقرب إلى الهمجية ، ولم تقتصر حروب الخزر على العرب فقط ، فقد دخلوا فى حروب متلاحقة مع قبائل الهون التى اندفعت من حدود الصين الى اوروبـا الشرقية ، كما دخلوا فى حروب مع الدولة البيزنطية ومع شعوب روسيا والمجر وغيرها ، والتى قاست الأمرين من وحشية الخزر وتخلفهم الحضارى . وتشير المصادر العربية (الرحالة والزوار) الى ان شعب الخزر كان يعيش غالبا فى الخيام المقببة ، حتى اذا اقبل الشتاء حزموا خيامهم ، او منازلهم المشيدة بشكل دائرى ، وانطلقوا مع اغنامهم او ماشيتهم الى السـهول والمراعى ، او نصبوا خيامهم فى حقول الحنطة وكروم العنب التى كانوا يزرعونها.

ويقول الرحالة العربى (الاندلسى) ابن سعيد المغربى فى وصفه لشعب الخـزر: « ولما كانت بلادهم باردة ورطبـة ، فان بشرتهم بيضاء ، وعيونهم زرقاء ، وشعرهم غزير وضارب للحمرة غالبا ، وابدانهم ضخمة ، وأمزجتهم لا مبالية ، ومظهرهم العام همجي » .

اما مبعوث الخليفة العباسي المقتدر بالله ـ وهو احمد بن فضلان ـ الى بلاد الترك والخزر والروس والبلغار والبشكير وغيرهم ، فقد وصف الخزر بقوله : « .. وكل الخزر ، وكذلك ملكهم ، يهود ، ويخضع له البلغار وكل جيرانهم ، وهم يعاملونه باذعان شبيه بالعبادة ، ويظن البعض ان ياجوج وماجوج هم الخزر » .

لكن من الواضح هنا المبالغة فى اطلاق التعريف بالخزر ووصفهم بانهم جميعـاً من اليهـود ، إذ ان من الثابت أن بـلاد الخزر كانت تضم فئات اخرى من غير اليهود ومن غير الخزر ايضا ، ومنهم المسلمون الذين كان لهم مسجد فى العاصمة .

وعلى اية حال ، فان هناك اتفاقا بين المؤرخين والرحالة العرب ، والكتـاب الجيورجيون (الروس) والارمن الـذين تعرضت شعوبهم لغزوات خزرية ، على تخلف الخزر حضاريا ، ويردد مؤرخ جيورجى اعتقادا قديما ، يعرف الخزر بانهم جيوش ياجوج وماجوج ،ولهم طبائع الوحوش الضارية ، وهم سفاكو دماء » . ويشير مؤلف أرمنى الى « حشود الخزر الرهيبـة المتغطرسة بغير حدود » . ويصفهم بانهم « ذوو وجوه خالية من الاهداب ، وشعرهم طويل منساب كشعر النساء » .

أسباب التهود

اما تهود قبيلة الخزر ، فيعود فى المقام الاول والاهم ، لاسباب سياسية ، كما يقول كوستلر ، حيث رأى ملك الخزر (الكاجان او الخاقان) ، ان الموقع الجغرافى لبلاد الخزر يضعها بين فكي رحى قوتين دينيتين عالميتين : اى الاسلام والمسيحية ، أو بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وقد راى ملك الخزران اعتناقه لاحدى الديانتين الاسلامية أو المسيحية ، سوف يعني ذوبان شعب الخزر فى شعوب هاتين الدولتين ، وبالنسبة له شخصيا ، فسوف يصبح مجرد حاكم اقليم تابع للخليفة المسـلم او للامبراطور البيزنطي المسيحي .

ويشير كوستلر الى ان هناك سببا اخر وراء تحول الخزر الى اليهودية ،وهو يعود الى عقيدتهم الدينية المتخلفة ، حيث كشفت لهم صلاتهم الوثيقة ببيزنطة وبغداد ، ان عقيدتهم الشامانية البدائية لم تكن همجية فحسب ، وانما كانت عاجزة ايضا عن ان تضفى على رجال الحكم والقادة تلك الهيبة الروحية والشرعية التى كان يتمتع بها كل من خليفة المسلمين وامبراطور المسيحيين . وكانت الشامانية عبارة عن دين بدائي ، انتشر فى شمال أسيا وأوروبا وبين بعض هنود امريكا الحمر ، وكانت هذه الديانة الوثنية تقول بوجود عالم محجوب يتكون من الألهة والشياطين وارواح السلف ، وبان هذا العالم المخفي ، لا يستجيب إلا للكاهن (الشامان) ، الذى يستخدم السحر لمعالجة المرضى وكشف الغيب والسيطرة على الاحداث .

وفى الواقع فان عملية تهود ملك الخزر الذى فرض الدين الجديد على اتباعه ، لم تحدث فجاة ، وانما جاءت من خلال اطلاع الخزر على الدين اليهودى من اصحابه من اليهود الذين تركوا اراضي الدولـة البيزنطية ، او بعض الاقطار الاسيوية التى فتحها العرب ونشروا فيها الدين الاسلامي ، ولجاوا الى خزاريا . وكان اضطهاد اليهود فى الدولة البيزنطية قد بدا فى عهد يوستنيان الاول (٥٤٧ ـ ٥٦٥ م)

آرثر كوستلر:

الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين
ليسوا من أصل فلسطيني وإنما من أصل قوقازي

واتخذ اشكالا مبالغا فيها فى عهد هرقل فى القرن السابع الميلادي . واستمر كذلك حتى عهد الامبراطور رومانوس فى القرن العاشر الميلادى . ويصف لنا المؤرخ العـــربى « المسعودى » وضع اليهود اللاجئين الى عاصمة الخزر فى هذه الفترة ، فيقـــول « .. ويعيش فى هذه المدينة (خـــازرا ن إثل) ، المسلمون والمسيحيون واليهـــود والوثنيون . اما اليهود ، فيضمون الملك وحاشيته والخزر الذين على شاكلته ، وكان ملك الخزر قد صار لتوه يهوديا فى عصر هارون الرشيد ، وانضم اليه اليهود من كافة امصار الاسلام ، ومن دولة اليونـــان (بيزنطة) وقد قـــام ملك اليونـــان (الامبراطور البيزنطي) باكراه يهود مملكته على الدخول فى المسيحية .. وهكذا فر عدد كبير من دولة اليونان الى بلاد الخزر » .

العرب .. والخزر

تشير المصادر التاريخية الى ان العرب الذين وصلت فتوحاتهم الى الهند والسند والأطـــراف الجنوبيـــة للصين ، كانوا يعتزمون المضي قدما ، حتى قلب اوروبا ، عبر جبال القفقاس ، ولهذا رأيناهم فيما بين ٦١٢ ـ ٦٥٢ م ، يقتحمون اوروبا عبر جبال البرانس من الغرب ، ويحاولون اقتحام بلاد الخزر بهدف الاستيلاء على مدينة بالانغار لكي يؤمنوا قاعدة عسكرية متقدمة على الجانب الاوروبى من القوقاز ، وبعض المصادر تشير الى ان أخر معركة وقعت بين العرب والخزر كانت فى عام ٦٥٢ م ، وانتهت بمقتل القائد العربى عبد الرحمن ابن ربيع ، وإخفاق الحملة العربية فى الوصول الى هدفها .

وكانت الحرب سجالا خلال فترة الف سنة بين الطرفين ، وان كانت حربا متقطعة وكان الخزر يتوغلون احيانا داخل اراضي الدولة العربية الاسلامية ، ويلي ذلك هجمات عربية مضادة باتجاه الفولجا ، وتقول الروايات التاريخية فى هذا المجال ، ان الخزر اجتازوا جورجيا وارمينيا ، حتى وصلوا الى ديار بكر والموصل ، ولكن جيشا عربيا جرى تشكيله على جناح السرعـة ، تمكن من كبح الهجوم الخزري ، ودفع المهاجمين الى الوراء والتقهقر الى مواطنهم الاصلية . ثم قام الخليفة الاموى « مسلمة ابن عبد الملك » ، بحملة شهيرة ضد الخزر ، تمكن خلالها من الاستيلاء على بالانغار ، وتجاوزها حتى سمندر ، وهى مدينة خزرية كبيرة ، وعلى الرغم من ان جيش مسلمة لم يبق طويلا فى بلاد الخزر ، فان هذه الحملة بعثت الخوف فى نفوس الخزر والبيزنطيين معا ، مما دفع بولي العهد البيزنطى الى الزواج من اميرة خزرية ، وهما اللذان حكم ابنهما بيزنطة باســـم « ليو الخزري » .

اما اخر الحملات العربية على بلاد الخزر ، فقد قادها الخليفة مروان الثاني ، او مروان بن محمد ، وهو اخر الخلفاء الامويين ، وقد تمكن مروان من التغلغل فى قلب دولة الخزر ، الذى تقهقر جيشه حتى نهر الفولجا داخل الاراضي الروسية ، وقد اضطر خاقان الخزر الى الرضوخ لمطالب مروان ، الذى طلب من الخاقان اعتناق الدين الاسلامي ، ومع ان ملك الخزر أذعن لهذا المطلب ، الا انه تراجع عنه كما يبدو ، بعد مغادرة الجيش العربى لاراضي خزاريا ، ومع انتهاء هذه الحملة العربية على بلاد الخزر توقفت الحروب بين الطرفين .

السقوط

تدل الأحداث التاريخية التى تلت ذلك ، على أن دولة الخزر قد تبددت وانتهت ، عندما هاجمها الروس ، ولم يكن من اثار الحملة الروسية ضد خزاريا سقوط الدولة فحسب ، بل وتشرد اهلها وتشتتهم فى روسيا ودول اوروبا الشرقية ، ويقـــول « ابن حوقل » الذى اورد خبر هذه الحملة ، ان سقوط خزاريا فى ايدى الروس تم فى عام ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) . وفى الواقع فان روسيا ما تزال تعتبر الموطن الاهم لليهود ، بعد الولايات المتحدة الامريكية ، وقد بلغ تعداد اليهود فى روسيا فى عام ١٨٩٧ ، حوالى خمسة ملايين و ٨٩٤ الف يهودى ، من مجموع احد عشر مليون يهودى فى العالم ، وفى تقرير رسمي يرجع الى عام ١٨٤٢ ، ما يدل على ان عدد معابد اليهود فى روسيا قد بلغ ٦٠٤ معبدا ، و ٢٣٤٠ بيتا للصلاة ، و ٣٩٤٤ مدرسة ، و ٩٥٤ حاخاما .

وكان اكبر تجمع لليهود الخزر بعـــد روسيا ، فى بولندا ، فقد اتخذت المملكة البولندية منذ بداياتها المبكرة تحت حكم عائلة بياست اتجاها واضحا يتلاءم مع اوضاعها الخاصة ، فضلا عن اعتناقها للكاثوليكية الرومانية ، حيث اتبعت سياســة اجتذاب المهاجرين بسبب تخلفها اقتصاديا وحضاريا عن جيرانها الغربيين ، وقد قدمت بولندا لهؤلاء المهاجرين ، وفى مقدمتهم اليهود الخزر ، جميع الضمانات التى تحفظ لهم حـــرية اســـتخدام استثماراتهم واموالهم فى البلاد . وكان من هذه الامتيازات التى حصل عليها اليهود الخزر فى بولندا ، منحهم حق تملك معابدهم ومدارسهم ومحاكمهم الخاصة ، وحق حيازة الاراضي ، وحق العمل فيما شاؤوا من التجارة والاعمال الحرة ، وفى احدى الفترات كان لليهود فى بولندا برلمانهم الخاص ، الذى كان يجتمع مرتين كل عام ، وكان لهذا البرلمان حق فرض الضرائب على اليهود . وقد كانت هذه الامتيازات سببا فى امتعاض البابا كليمنت الرابع ، الذى لم يخف انزعاجه لاحد الامراء البولنديين ، من كثرة المعابد اليهودية فى مختلف المدن البولندية ، حتى ان مدينة واحدة منها فقط ، كانت تضم مالا يقل عن خمسة معابد ، كما ابدى البابا اسفه العميق ، لكون المعابد اليهودية اكثر ارتفاعا وفخامة وزينة من الكنـــائس المسيحية ، حيث كانت مسقوفة بالواح الرصاص المنقوشة والملونة ، مما جعل ما جاورها من كنائس كاثوليكية ، تبـــدو قميئة بالمقارنة معها .

وبالنظر الى القدرة الفائقة التى يتمتع بها اليهود فى ضرب نطاق كثيف من العزلة حول تجمعاتهم ، فانهم فى الواقـــع لم يفقدوا الكثير بين حياتهم فى خزاريا وحياتهم فى « الشتات » فى بولندا وروسيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية ، فقـــد اصطنعوا ما يسمى ب الشتتل

وهى نوع من المستوطنات اليهودية عرفته كل من بولندا وليتوانيا ، والشتتل عبارة عن مدينة ريفية الطابع ، وتتمتع باستقلال ذاتي ، وجميع سكانها او اغلبهم من اليهود كما ابتدع اليهود ، شكلا اخر من العزلة عرف باسم « الجيتو » ، وهو عبارة عن شارع او حي ، ينزوي فيه اليهود ، بعد ان يحيطوه باسوار ذات بوابات تغلق ليلا ، وكانت مشاعر التميز عن السكان الاخرين ، والشعور بالحاجة الى الامن ، وراء فكـرة الشتتل والجيتو

اليهود المعاصرون .. وفلسطين

بعد كل هذا العرض « الموجز » لتاريخ يهود الخزر ، نصل الى الغاية من وراء كل ذلك ، الا وهى ان يهود اليوم ، لا علاقة لهم بيهود الامس ، وبالتالى ، فلا علاقة لهم بفلسطين من قريب او بعيد ، فالغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ، ليسوا من سلالة اليهود القدماء الذين اغتصـبوا فلسطين لفترة زمنية قصيرة لا تزيد على سبعين عاما ، وانما هم من أصل خازاري .

يقول ارثر كوستلر فى كتابه الانف الذكر « .. ان الغالبية العظمى من اليهود الباقين فى العالم ، هم من اصل اوروبي شرقي ، ومن ثم من اصل خزري ، واذا كان الامر كذلك ، فان هذا قد يعني ، ان اسلافهم لم ياتوا من وادي الاردن ، وانما من الفولجا ، ولم ينحدروا من كنعان ، وانما من القوقاز ، ويصير من المعتقد فجاة ، انهم يمثلون بدايات الجنس الاري ، وانهم اوفق انتماء من الناحية الوراثية ، الى قبائل الهون والبوجر والمجر ، منهم الى ذرية ابراهيم واسحق ويعقوب » .

ثم يضيف كوستلر مسالة فى غايـة الاهمية ، وهى انه اذا كان يهود اليوم هم فى معظمهم من اصل خازاري ، الا يصبح مصطلح « معاداة السامية » او « اللاسامية » الذي يشهره يهود اليوم فى وجه كل من يعارضهم ، مصطلحا كاذبا وخاليا من اى مضمون فعلي لاضطهاد اليهود بسبب كونهم احفاد اليهود القدماء .

وهناك دليل اخر على انتفاء اى صلة دموية او عـرقية بين اليهود الخزر (او يهود شرق اوروبا) وفلسطين ، حيث يقول ملك الخزر اليهودي يوسف ، فى رسالة رد بها على رسالة حسداي بن شبروط ـ الطبيب اليهودي الذى قدمه الخليفة الاموي الاندلسي عبد الرحمن الناصر ، فى بلاطه ، حيث يقول يوسف هذا إن قومه « يهود خزاريا » ليسوا من اصل سامي ، بل انهم ينحدرون من القبائل التركية القديمة ، ويؤكد يوسف باعتزاز : « لقد وجدنا فى السجلات العائلية لابائنا ، ان توجرمه ، كان له عشرة ابناء ، وان اسماء ذريتهم هى كما يلي : يوجار ، دورسو ، افار ، هون ، باسيلي ، تارنياخ ، خزر ، زاجورا ، بلغار ، سابر .. ونحن ابناء « خزر » سابعهم » .

وفى النهاية ، لابد ان نؤكد مرة اخرى ، ان خزاريا ـ مملكة اليهود ، هى دولة شذاذ الآفاق الذين غزوا بلادنا فلسطين وان فلسطين هى ارض عربية منذ عصور التاريخ الاولى ، ولا هوية اخرى لفلسطين مهما كابر الادعياء ومزورو التاريخ . وإزاء هذه الحقيقة الاساسية ، فان مسالة اليهود الخزر ، الذين يشكلون الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ، تصبح سلاحا بتارا فى يد الاعلام العربي ، لو عرف هذا الاعلام كيف يستفيد من هذه الحقيقة قبل فوات الاوان .

عصام شريح

من هـــو :

ارثر كوستلر كاتب يهودي ، ولد فى المجر (هنغاريا) فى عام ١٩٠٥ وتلقى تعليمه فى كل من النمسا والمانيا ، وفى سن السابعة عشرة اقبل على تعلم اللغة الالمانية حتى اتقنها ، ثم تعلم اللغـة الانكليزية فى سن الخامسة والثلاثين ، وكان كوستلر مؤيدا للحركة الصهيونية فى مطلع شبابه ، حيث كتب قصة « اللصوص فى الليل » التى وصف فيها الصراع بين العرب والمستوطنين الصهاينة على ارض فلسطين العربية فى عهد الانتداب البريطانى على البلاد ، بيد ان كوستلر ، عاد فكتب رواية اخرى بعد قيام الكيـان الصهيونى على ارض فلسطين المغتصبة تحت عنوان « الوعد والانجاز : فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٩ » ، وصف فيها الاوضاع فى فلسطين إبان حكم الانتداب البريطانى ثم بعد جلاء البريطانيين ، وقيام الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ ، وخلص كوستلر فى هذه الرواية إلى وضع خيارين امام يهود العالم لا ثالث لهما وهما : الهجرة الى « اسرائيل » .. او الاندمـاج الكامل ، وقد اختار هو نفسه خيار الاندماج .. وعلى الرغم من انه احسن الخيار ، إلا انه لم يدن اغتصاب فلسطين ، وسـمح لنفسه بوضع خيار هجرة اليهـــود إلى فلسطين المحتلة ، كاحد الحلول المقبولة منه لما يسمى بالمسالة اليهودية مما يشكك فى مصداقية ارائه وتفكيره .

ويبدو ان كوستلر فشل فى الحل الذى ارتضاه لنفسه : عملية الاندماج فى العالم الغربي ـ وبالتحديد فى بريطانيا ، إذ انه انضم فى عام ١٩٦٩ إلى جمعية تطلق على نفسها اسم « جمعية من اجل موت كريم » وفى العام ١٩٨١ ، اصبح نائبا لرئيس هذه الجمعية ، وقد اسهم كوستلر فى كتابة مقدمة لكراس اصدرته الجمعية تحت عنوان : « دليل الخلاص الذاتى » .

وهو يحوي خمسة دروس تعلم الناس كيف ينتحرون « بكرامة .. ومن غير الم » .. ومن المدهش حقا ، ان كوستلر انتحر فعلا وزوجته « سينتيا » .. فى اواسط اذار (مارس) من العام الماضى (١٩٨٣) ، وذلك باطلاق النار على نفسيهما فى منزلهما بالعاصمة البريطانية .

ويرى بعض النقاد ، ان ارثر كوستلر ، لم يكن كاتبا المعيا وخلاقا وان شهرته ، انما قامت بسبب الدعاية المركزة من قبل اجهزة الاعلام والصحافة فى الغرب ، حول روايته « ظلام فى النهار » .. التى وجه فيها نقدا لاذعا للنظام الشيوعي .

لكن .. اهمية هذا الكاتب اليهودي تبقى فى نظرنا فى كتابه « امبراطورية الخزر وميراثها : القبيلة الثالثة عشرة » .

كيف نؤرخ لعظمائنا ؟

لماذا نخاف من النقد والكشف عن الجوانب السلبية ؟

بقلم : فتحي رضوان

التقطت كتاب « شخصيات حقيقية » تاليف ادوين ويلر ستاربك واعوانه » لاتصفحه ، مع انه كتاب قديم صدر سنة ١٩٣٦ عن دار نشر لا اعرف ما إذا كانت قائمة فى الوجود أو اغلقت ابوابها ، تدعى « كتاب العالم » ، وكان مقرها فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة ، ولكن لى عادة تصفح الكتب القديمة ، وربما قراءتها من جديد ، وهذه العادة من قبيل زيارة الأصدقاء القدامى الذين تراخت علاقتنا بهم ، وقلّت او انعدمت زيارتنا لهم .

وهذه القراءة الجديدة لكتب قديمة تثير فى النفس مئات،وربما آلاف الخواطر ، فقد يعجب الانسان من انه قرا هذا الكتاب او ذاك ، وترك على هامشه تعليقات وتاشيرات،ولكنه اليوم لا يتذكر شيئا واحدا مما قرا ، بل يتصور انه لم يقرا هذا الكتاب ، ولم يطل الوقوف امام صفحاته ، وجمل من هذه الصفحات .

وهكذا كان حالى مع هذا الكتاب ، وخصوصا بما جاء فى مقدمة الكتاب اذ ورد فيها ما اترجم نصه فيما يلى :

« إن الصور القلمية فى هذا المجلد وفى المجلدات الاخرى التى تكمله ، هى ثمرة حكم جماعى . وهذا هو منهجنا العلمى ، فجماعات من نقاد ادبيين متمرسين ، يعملون فى مجموعات من ثلاثة او اربعة افراد ، يقرا كل منهم على استقلال ، وكل منهم يسجل ما يظنه او ما تظنه حسب الاحوال فى جوانب تلك الشخصية الخاصة بها ، وعن قيمة تلك الشخصية ككل ، وهذه التقديرات تجمع بعد ذلك وتلخص . واذا حدث ان اتفق فى الراى الثلاثة الأوائل القراء من الأدباء ، لم تعد حاجة بعد ذلك الى مزيد من القراءة . اما اذا وقع الخلاف بين القراء الاوائل ، فان قراءة عدد اخر من النقاد تصبح واجبة ..

ونحن نعمل مخلصين فى محاولة حل الاجابة على السؤال : ماذا تعنى عند الانسان عبارة « الادب الجيد » ، ثم ما هى المعايير التى يمكن للانسان ان يحكم بمقتضاها عند الاجابة على هذا السؤال ؟ ولقد حاول ادباء من مستوى رفيع مناقشة هذه المشكلة خلال اكثر من الفي سنة ، ونحن نريد أن ندرس ما قالوه ، وما انتهوا إليه من احكام ، عسانا نحصل على نقط ذات اهمية فى نظرنا بالنسبة لهذا الموضوع ، إذ لا يكفى ان نقول إننا نحب او نكره كتابا بعينه ، فانه من المحتم ان نهتدى الى معايير موضوعية تقودنا الى وضع قاعدة صحيحة تقوم عليها احكامنا الادبية . من هذه المعايير : الاتساق ، الحرفية ، النبرة العاطفية ، الكفاءة او الفاعلية ، القدرة على التاثير فى الآخرين ، الصدق ، رقة وصفاء المواقف الانسانية ، والتوجيه الصحيح ..كما نجحنا فى تحديد معنى كل من هذه المعايير على وجه قاطع .

ولقد تبنينا برنامجا دقيقا ومتميزا من التذوق ، وقد التمسنا العون من خبراء خارج مجموعتنا ، وقد جاء لمعونتنا على وجه عظيم ، المكتبيون وموظفو المدارس والمدرسون ، والتلاميذ فى منطقة لوس انجلوس وما حولها .وقد تلقينا ما يزيد عن الفي تقرير من اداريين وباحثين تقدموا بعدد ضخم من عينات الدراسة والفحص من تراجم العظماء والتى جمعت ودرست ، أى حللت » ..

انتهت العبارة المنقولة من المقدمة ولست اريد ان اكمل هذه الفقرات لان ما اعنيه من ترجمتها ونقلها ، المنهج الذى اتبعته هذه المجموعات من الدارسين الذين استخدمهم معهد « ابحاث التراجم » التابع لجامعة جنوب كاليفورنيا ، الذى يصدر


سعد زغلول


محمد عبده


مصطفى كامل

سلسلة « الحياة من خلال التراجم – التراجم الحية » .

وهدف هذا المعهد ، والاسلوب الذى فصلته لك ، هو مقصور على التراجم ، ووضع اسس ادبية ، لتقويم ما يوجد بين ايدى القراء من التراجم ، وإعانة القارىء ، والناقد الأدبى المبتدىء ، وكل الادباء غير المشتغلين بالنقد : على إصدار احكام صحيحة ، على ما يطالعونه من التراجم .

وقد بدا لى اننا – نحن العرب – فى اشد الحاجة إلى وضع معايير كهذه لتراجم عظمائنا ، ذلك اولا:لان تراجم عظمائنا ، لقيت لفترة طويلة الاهمال والتقصير ، وقد امتدت هذه الفترات قرونا ، اذ بعد كتاب معجم الأدباء ، ووفيات الاعيـان وبعض كتب الخطط ، التى كانت تحدثنـــا عن شخصيات مجتمعنا العربى ، من ادباء وقضاة وولاة ورجال حكم ، قد توقفت صلاتنا بعظمائنا فى القديم الموغل فى القدم وفى القديم القريب منه ، وحتى فى الحاضر المعاصر ، فما اقل ما جمعنا لعظمائنا ، من مذكرات تركوها ، او رسائل تبادلوها ، او اوراق تحمل خواطر قصيرة ، ولكنها تكشف عن العالم الداخلى والباطنى للعظيم ، من هموم يومية ، وخواطر نفسية وتعليقات سريعة على شؤون الحياة ومتاعبها ومشكلاتها .

ولما طالت المدة التى تراخت فيها صلاتنا بتاريخنا بعامة ، وتاريخ عظمائنا اصبحنا – كتابا وقراء – بحساسية شديدة كلما قرانا دراسة لشخصية من شخصياتنا ، ولم نعد نطيق أن نسمع فى حق هؤلاء العظماء إلا المديح الخالص ، فاذا شاب المديح نقد أو مساءلة ، غضبنا غضبا عنيفا واعتبرنا النقد تجنيا على العظيم ، او خصومة لا لشخص العظيم موضوع الدراسة ، بل لما يمثله هذا العظيم من معان،سواء كانت وطنية او اجتماعية أو ادبية ، وإذا اشتد النقد اعتبر هذا النقد تامرا صريحا على وطننا او لغتنا ،وصفقنا بكل ما جاء فى هذا النقد من امور قد تكون حقائق لاشك فيها .

وليس ثمة شك فى ان من الظواهر الداعية الى الارتياح والسرور ، ان نتعصب لتاريخنا ، وان نقف بالمرصاد ، لكل من يريد ان ينتقص رجالاتنا ،او يحجب فضلهم ، او يقلل من اياديهم التى طوقوا بها اعناق وطننا ، او لغتنا،او تلويث ماضينا .

ولا ننكر ان بعض من طويت صدورهم على كره للعرب أو للعروبة ، أو للاسلام أو المسلمين ، او لمصر وللمصريين ، يتزيون فى زي العلماء ، ليسددوا سهامهم الى صميم تاريخنا ، فيلوثوه ، فيسدلوا على جوانب مشرقة منه ، استارا ، حتى يختفى عن الاعين . ولقد انتهز المستشرقون ، ومن تتلمذ على ايديهم من العرب والمسلمين ، فرصة خلو الميدان من دارسين متمكنين لتاريخنا ، فكثر عـدد المتطفلين والادعياء ، واثخنوا تاريخنا جراحا .ولكن بعد اعتبار كل هذه الملابسات ، فتاريخنا القومى ، وتاريخ عظمائنا مهما علا مقدارهم وسمت مكانتهم ليسا مواطن محرمة لا يجوز الدوس خلالها بل هى اماكن للدرس وإعادة النظر فى كل العناصر التى سلمنا بها ، واعتبرناها حقائق ، لا يجوز أن تتعرض للمناقشة والتحليل ، فاذا جرؤ كاتب او دارس ، على شيء من ذلك اعتبرنا ما يقوله تجديفا ، يقارب الكفر ، او الخيانة ، او المساس بمقدس يجب ان نتكاتف جميعا فى رده .

والواقع أن هذا المسلك ، ولاسيما اذا اقترن بالمغالاة ، ضار بنا ، ومسيء الى الحركة الفكرية فى بلادنا ، وحسبنا ان نتطلب من الدارس ان يكون مؤهلا لما يتعرض له من الدرس والتمحيص ، وان يكون ما ينشره على الناس ، موثقا يساق ومعه دليله ، وان تكون مراجعه ومصادره محققة . فاذ توفرت للكاتب هذه الضمانات واختلفنا معه في التقدير الذي ذهب اليه ، وجب ان نعترف ان الامر امر اختلاف في وجهات النظر . ومن حق أصحابهــا ان يتناقشـــوا ، ويقرعـــوا الحجة بالحجة ويقيموا الدليل المستمـد من الكتب ، والدراسات السابقة .

لقد ثـار عـدد من الكتـاب ضدي ، واطلقوا السنتهم في ، حينما تعرضت في بعض ما كتبته لسعد زغلول ، مستندا الى مذكرات هذا الزعيم التي خطها بقلمه ، ورفضوا ان يراجعوا انفسهم ، ولست ادعي لنفسي العصمة ولم ازعم قط انني من انصار سعد زغلول ، وقد يكون بعض الذي كتبته مؤلما ولكن كونه كذلك ، لا ينفي انه يستند الى وثائق منشورة ، لم تعد سرا . ولحرصي على الشعور العام ، ورغبتي في الا يظن ان ما اكتبه دعوة حزبية ، توقفت عن تناول هذا الموضوع ، حتى ولو جاء في سياق الحديث وكان الموقف يقتضيه .

ومثل هذا حدث مع غيري بالنسبة للامام محمد عبده ، وظن بعضهم ان المقصود من تناوله وتناول تاريخه ، هو الغض من الاتجاه الديني الذي يمثله . وهذا امر غير صحيح ولم يفكر فيه احـــد ، ودعا الداعون الى الكف عن تناول هذا كله وكانت لهم حجة غير مقبولة: جملتها ان الكتابات التي من هذا القبيل ستهز ثقتنا بتاريخنا ، وستهز ثقة شبابنـــــا بامتهم ووطنهم ، وهى حجة داحضة لأن ثقتنا بتاريخنا ونقده يجب ان يقوما على اساس من الدرس الصحيح ، لا المجاملة التي تخفي الحقائق .

ولقد سمعنا كثيرا ما يمس حسن سياسة مصطفى كامل ، بل وما ينسب الى وطنيته الشوائب ، حتى رماه بعضهم بانه كان يدعو الى تبعية مصر لتركيا ، وبانه كان من اعوان مخابرات فرنسا او المانيا ، ولم نغضب لشيء من ذلك ، ولم نطلب اصدار صك حرمان ضد الذين قالوه ، بدعوى ان مصطفى كامل هو مؤسس الحركة الوطنية في مصر ، وان اياديه في عنق بلاده ، وفي سبيل الجامعة الاسلامية ، وفي سبيل الثقافة الوطنية لا تحصى . فهذا كله شيء وتاريخه ونقده ، شيء اخر .

والآن ، هل يمكن ان نطبق الاسلوب الذي اتبعته جامعة جنوب كليفورنيا ، ونؤلف جماعات تضم مختلف المذاهب الادبية ومنـاهج التاريخ ، لتضـع لنـا دراسات نموذجية لعدد من اكبر زعمائنا وقادتنا وعلمائنا ومفكرينا مؤيدة بالمراجع ، والوثائق لتكون نبراسا لشباب الباحثين في بلادنا ، ولتطمئن المؤرخين الى تاريخ بلادهم ، وصدق تناوله ، وبعده عن الغرض وبراءته من القصور .

أخطر ما عرفه الإنسان حتى الآن

ثورة المعلومات والاتصالات

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

يعيش عالمنا اليوم فى ثورة علمية وتكنولوجية جديدة، منها ثورة الذكاء، ومنها ثورة الهندسة الوراثية، ومنها ثورة المعلومات التى افرزت تعبيرا جديدا فى الأدب السياسى والاجتماعى هو Telematics وتقوم هذه الثورة على منجزات العلم فى مجالات الكومبيوتر (او الحاسب الآلي) ، وبالذات الأجيال الجديدة منه ، والاقمار الصناعية والالكترونيات الدقيقة، وازداد عدد العاملين فى هذا المجال . ففى حالة الاقتصاد الامريكى مثلا كان عدد المشتغلين فى مجال المعلومات اكثر من اولئك الذين يشتغلون بالمناجم والزراعة والصناعة مجتمعين فى عام ١٩٧٥ .

وكما ادت الثورة الصناعية الى توسيع دائرة سيطرة الانسان على الطبيعة وعلى البيئة المحيطة به فان ثورة المعلومات لها تاثير مماثل . ولكن على خلاف الثورة الصناعية التى اعتمدت على مصادر غير متجددة مثل الحديد او النفط، وترتب على ذلك ان هناك حدودا لنموها ولتطويرها ، فان ثورة المعلومات تعتمد على مصدر متجدد ، وهو التدفق اللامتناهى واللامحدود للمعرفة والافكار . لذلك فان البعض يسمى عصرنا هذا بعصر المعلومات او عصر الالكترونيات .

لقد مكن التقدم العلمى فى مجالات الاقمار الصناعية والحاسبات الالية والالكترونيات الدقيقة من تخزين وتشغيل واسترجاع وارسال واستقبال كميات هائلة من المعلومات بنفقات متناقصة وفى اشكال مختلفة (جمل - جداول - اشكال بيانية - صور) وفى وقت محدود للغاية . وادى هذا إلى اعادة النظر فى مفهوم المعلومات وفى كيفية استخدامها والآثار المترتبة عليها بحيث اصبح ينظر لها اليوم كمصدر متجدد وكاحد الموارد الاقتصادية شانها فى ذلك شان عناصر الانتاج التقليدية الأخرى (راس مال وعمل وارض وادارة) ويتسم هذا المورد الجديد باربع سمات هامة تميزها عن الموارد الاخرى هى ان مصدره العقل الانسانى ، وانه مصدر لا نهائى متجدد ومستمر ولا ينضب ، وانه يمكن ان يتناوله الناس ويشتركون فيه دون ان تضيع قيمته او يبلى ، وانه يمكن نقله من مكان إلى اخر بسرعة فائقة تصل الى اسرع من سرعة الضوء وذلك فى حالة استخدام الاقمار الصناعية .

ونستطيع ان نتبين بعض معالم هذه الثورة اذا عرفنا التطورات الاخيرة فى مجال الحاسب الالى والالكترونيات الدقيقة .



يبدو ان الحاسب الآلى هو رمز التقدم فى هذا العالم وهناك صراع دولى صامت بين الدول الكبرى حول التقدم فى هذا المجال ، وبالذات بين امريكا واليابان حول صنع الجيل الخامس من هذه الآلات . ومع نهاية الثمانينات فان اجهزة الحاسب الآلى ستكون قادرة على الاستجابة إلى الذبذبات الصوتية ولن يصبح من الضرورى التعامل معها بالازرار ، كما سوف تزداد قدرتها على « القراءة » والاطلاع بسرعة تفوق قدرة الانسان . وسوف يتحكم الحاسب فى عمليات الانتاج وضبط الجودة واتباع المقاييس المطلوبة فى الانتاج بنسبة تصل الى ٩٠٪ من اجمالى العملية الانتاجية .

ولكن التحدى الكبير الذى يتصدى له اساسا كل من اليابانيين والأمريكيين هو محاولة بناء حاسب الى يتمتع بالذكاء الصناعى اى لديه القدرة على الفهم والتفكير . ويقصد بالذكاء الصناعى وجود جهاز يمتلك مختلف القدرات التى اصطلح على ربطها بالذكاء الانسانى وعلى ممارسة العمليات المنطقية المختلفة .. وذلك من خلال فهم عملية التفكير الانسانى وبناء اجهزة تقوم بنفس الخطوات التى يمارسها العقل الانسانى . فالاجهزة الحالية هى مخازن هائلة للمعلومات ولكن الانسان هو الذى يقودها الى مكان المعلومة او البيان فى ذاكرتها ، وهو الذى يحدد طريقة او نوع التحليل للمشكلة التى يريد حلها ، والذى يحاولونه اليوم هو بناء جهاز يستطيع ان يتذكر بنفسه وان يقرا بيانات ووثائق بعدة لغات وان يستخدم التليفون . باختصار جهاز يستطيع ان يبرمج نفسه بنفسه .

اما الالكترونيات الدقيقة فيقصد بها « الفن الالكترونى المستخدم لتحقيق دوائر ومعدات ونظم الكترونية من مكونات متناهية الصغر » وكانت بدايتها الاوليـة جهاز الترانزستور فى بداية الخمسينات .

وتطورت صناعة الحاسبات الآلية الدقيقة (المايكرو الكترونية) فى السبعينات بدرجة كبيرة ادت الى زيادة فعالية وكفاءة هذه الاجهزة مع تناقص اسعارها ، وتقليل حجمها ، وسهولة تشغيلها واستخدامها .

لذلك تعتبر هذه الصناعة مثلا من اكثر الصناعات الامريكية نموا . ففى عام ١٩٧٨ / ١٩٧٩ حققت زيادة فى عائدها بلغ نسبة ٣٥٪ . وينتظر ان تنمـو صـــناعة الالكترونيات فى الثمانينات فى العالم من حجم ناتج تبلغ اسعاره ١٠٠ بليون دولار فى عام ١٩٨٠ الى ٤٠٠ بليون دولار فى عام ١٩٩٠ ، وان تصبح الصناعة الرابعة فى العالم بعد صناعات السيارات والصلب والكيماويات التى ينتظر ان يبلغ عائد ناتج كل منها ٥٠٠ بليون دولار خـــلال نفس الفترة .

سقوط حاجز المسافة

وقد ادت هذه الثورة فى مجـــال الحاسبات والاتصالات إلى نتائج اجتماعية هامة . اول هذه النتائج سقوط حاجـز المسافات بشكل فعلى محسوس فى داخل كل مجتمع ، فوفرت التكنولوجيا المتقدمة مثلا امكانية ربط دولة مثل اندونيسيا تتكون من الاف الجزر بنظام تليفونى يعتمد على القمر الصناعى .

ثانى هذه النتائج انتقال المعلومات عبر الحدود بين الدول بيسر وسهولة . وصحيح ان الجرائد والكتب والمجلات كانت تنتقل دائما ومنذ سنوات طويلة ، ولكن الجديد هو اليسر والسرعة التى يتم بها اليـــوم انتقال معلومات جمعت فى مكان ما وخزنت فى مكان ثان ، وتم تحليلها فى مكان ثالث ، ثم ارسلت نتائج التحليل إلى مكان رابع . ويستطيع الانسان اليوم فى اغلب مناطق العالم أن يرى ويتابع مباشرة الوقائع عند لحظة وقوعها مثل تتبع مباريات الاولمبياد أو الاحداث السياسية الكبرى من خلال القمر الصناعى ، ويستطيع الباحث ان يتعامل تليفونيا ـ ايضا من خلال القمر الصناعى ـ مع مراكز المعلومات فى دول اخرى تفصله عنها بحار ومحيطات والاف

الاميال ، وان يحصل منها كتــــابة على ما يريده من معلومات وبيانات فى لحظات . وهكذا فان انتقال المعلومات اليوم اصبح احد مظاهر واشكال انتقال السلع وادى الى انشاء صناعة متزايدة هى صـــــناعة المعلومات التى تتمثل فى عمليات جمع وتصنيف وتلخيص واســــترجاع هذه المعلومات .

وادى التطور التكنولوجى الى مظاهر جديدة لم تكن ممكنة او موجودة من قبل ، مثل طبع الجرائد اليومية واصدارها فى اكثر من مكان وعاصمة فى نفس اليوم بعد نقلها عبر الاقمار الصناعية . ولن تمر غير سنوات قليلة قبل ان نرى « البث التليفزيونى الموجه » على غرار الاذاعة الموجهة بحيث يستطيع المواطن العربى فى القاهرة او بغداد او الرياض مثلا ان يفتح جهــــاز التليفزيون الخـــــاص به لكى يتلقى البث الموجه من الولايات المتحدة او الاتحـــاد السوفيتى ، كما ان هذا التقدم التكنولوجى يفتح الباب امام امكانية عقد اجتماعات بين اشخاص يقيمون فى بلاد مختلفة ويستطيعون ان يروا بعضهم بعضا من خلال الفيديو وان يتحاوروا مع بعضهم البعض ، وان يراقب كل منهم رد فعــــل ما يقوله على وجه الآخر .

ولكل من هذه التطورات نتائج هامة ويكفى ان ناخذ على سبيل المثال موضوع الرقابة على الاعلام او المطبوعات فما معنى هذا مثلا على ضوء امكانية تلقى المواطن العادى للبث التليفزيونى الامريكى او السوفيتى ؟ وقد يفتح هذا التطور الباب لاختراع اجهزة التشويش على هذا البث كما هو الحال فى اجهزة التشـــويش الاذاعى .

وثالث هذه النتائج يتعلق بتحسين الاداء واتخاذ القرار فى مختلف المجالات والقطاعات . ففى مجال الانتاج مثلا توجد اجهزة التحكم الآلى فى الآلات والمعدات والتى تراقب الدقة فى التشغيل وجودة الاداء ، وفى مجال السلاح والحرب لم تعد الأسلحة الحديثة تعتمد على مهارات فردية او قدرات شـــخصية بل تقـــوم اجهزة الحاسب الآلى بكشف الاهداف وتحديد مواقعها والتوجيه التلقـــــائى للصواريخ والطائرات . وتقوم نفس الأجهزة بقيادة وتوجيه هبوط الطائرات ، ومع هذا التقدم والتنوع فى الاستخدام تم تصغير حجم هذه الأجهزة بشكل مستمر . وفى مجال المستشفيات تقوم هذه الاجهزة بمراقبة الحالات المرضية الدقيقة ، وبتسجيل نتائج الفحوص الطبية وبتحليل الاختبارات المطلوبة فى الحال ، ويستطيع الطبيب فى بعض المستشفيات المتقدمة ان يجرى استشارات عاجلة وهو يقوم بعملية جراحية لمريض اذا صادفه شىء غير متوقع او اراد مراجعة الحالات المماثلة للحالة التى يقوم بها ، وفى مجال استخدام الطاقة يقوم الحاسب الآلى مثلا بضبط ورقابة استخدام بتزين العربات ويحدد السرعة التى تحقق افضل استخدام ممكن .

أين نحن من كل هذا ؟

اما فى الأجل الطويل فسوف يكون لثورة المعلومات آثار اكثر عمقا فى المجتمع تقارب تلك المرتبطة بالثورة الصناعية . وهذه الآثار هى موضع بحث ونقاش بين المفكرين الاجتماعيين اليوم . فهناك قضية قدرة الانسان على استيعاب هذه التغيرات وعلى التعامل معها ، وهناك تاثيرها على التنظيم الاجتماعى وعلاقات العمل . فعلى عكس الثورة الصناعية التى فصلت بين المنزل ومكان العمل فان ثورة المعلومات والاتصالات لها تاثير معاكس . ويستطيع المشتغلون بصناعة المعلومات ان يقوموا بوظائفهم فى منازلهم دونما حاجة الى التركز فى مكان واحد ، وسيكون لذلك تاثيره على مركزية العمل ، وسوف يدعم اتجاهات اللامركزية ، كما انها سوف تؤثر على مفهوم الســــــلطة . ففى التنظيم الاقتصادى والادارى الراهن فى العالم فان شاغلى المناصب العليا فى المجتمع عادة ما يكونون اكثر معرفة بالمعلومات وعادة ما يكون حجم المعلومات المتاح لشخص ما هو مؤشر على مكانته او نفوذه فى المجتمع . فى مقابل ذلك فان ثورة المعلومات سوف تجعل اعدادا كبيرة من المواطنين على بينة من الكثير من البيانات ، واخيرا سوف يكون لثورة المعلومات تاثيرها على المواصلات وحاجة الانسان الى الانتقال المادى من مكان الى اخر للتعرف على امر ما او لتبادل الرأى فى قضية ما .

وثورة المعلومات لها ايضا آثار على مفهوم التعليم ونوع القدرات العقلية التى ينبغى ان يخاطبها ويسعى إلى تنميتها . ففى سياق هذه الثورة فان التعليم يركز على قدرات حل المشاكل ، والتعرف على الحلول المختلفة لها ، والقدرة على ابتكار حلول واساليب جديدة ، ويقدم الحاسب الآلى طرقا جديدة للتعليم . ويندر ان توجد مدرسة فى البلاد المتقدمة تخلو من جهاز حاسب الى بحيث اصبحت القدرة على التعامل مع الحاسب الآلى وعمل برامج مبسطة من المهارات التى تقوم المدارس الثانوية بتوفيرها لطلبتها .

وثورة المعلومات ليست بلا مشاكل او مخاطر . فهناك مشكلة خصوصية الانسان وقدرته على الاحتفاظ بدائرة من المعلومات الخاصة وعجزه عن ذلك امام ثورة المعلومات التى تقتحم حياته الخاصة وتضع كل المعلومات والبيانات المتعلقة به فى الحاسب الآلى والتى يتم تجميعها وتحديثها باستمرار، وهكذا فان ثـــــورة المعلومات يمكن ان تدعم جهاز الدولة او الاقليات المسيطرة فى مواجهة الفرد . وهناك مشكلة تدفق المعلومات والآثار السياسية المترتبة على ذلك فى حالة البث التليفزيونى المباشر من الدول الكبرى وامكانات الغزو الفكرى والتسلل الثقافى والتاثير على الأمزجة والعقول . وهناك مشكلة الملكية ومن يملك صناعة المعلومات ومن ثم يستطيع ان يوجهها لخدمة اهداف معينة دون اخرى .

وثورة المعلومات تحدث حولنا ، وحتى الآن فاننا من المستفيدين من نتائجها دون ان نشارك فى صنعها ، ومازلنا نستورد الاتها واجهزتها ونستخدمها دون ان نسعى للحصول على المعرفة العلمية وعلى الخبرة اللازمة للمشاركة فى هذه الثورة ، وخطورة ذلك ان هذه الثورة سوف تزيد الهوة بين المتقدمين والمتخلفين ، وسوف تعطى الاقوياء ادوات جديدة للسيطرة ولممارسة النفوذ . فلماذا لا يكون هناك مثلا هدف تصنيع كومبيوتر عربى كما فعلت الهند ويكون هناك قدرة وصناعة عربية فى مجال الحاسبات الآلية . وصحيح انه طريق صعب ويحتاج الى وقت وجهد ولكنه الطريق الوحيد فيما اتصور لوضـــــع مجتمعاتنا على الطريق السليم .

العالم يتغير من حولنا .

فاين نحن من هذا ؟

علي الدين هلال

معين بسيسو
القنديل الذي لم ينطفئ

بقلم : حمدي الكحلوت



بموت جسد معين لا ينفد الزيت فى القنديل .. ويواصل الأبطال اشعال الفتيل .. وتغمس البنادق حرابها فى وهج الكلمات .. وتضرب شجرة الزيتون جذورها الى الأعماق البعيدة ..فى أرض فلسطين . تشرب من روح الكلمات الشاعرة .. وتعصر زيتاً للقنديل .. فتطل وجوه شهداء الكلمة ـ الفعل .. قوافل من نور .. فيضيء كتف الجبل صوت عبد الرحيم محمود.. عز الدين القسام.. عبد القادر الحسيني .. حسن سلامه .. وتزمجر أصوات غسان كنفاني .. كمال ناصر .. راشد حسين .. ماجد ابو شرار .. نعيم خضر .. علي فوده .. محمود الهمشري .. وامل زعيتر .. معين بسيسو .. ولا ينطفيء القنديل .

تتنوع اسباب الموت .. موت فى الغربة .. وموت فى الثورة .. وموت تتوهج فيه الأمال .. وموت ينقهر فيه الموت .. والبقاء واحد .. بقاء الكلمة ـ الجمرة أو الفكرة ـ الفعل .. لكي يستمر الزيت .. ويواصل الابطال اشعال الفتيل .. حتى الفجر .

وبين مولده عام ١٩٢٦ فى غزة وبين وفاته علم ١٩٨٤ فى لندن تمضى روح معين فى رحلة سفر لا تعرف الاستقرار .. ولا تعرف المهادنة .. تفتش عن الوطن .. وتهتف للحرية وللكتابة .. والسفر الطويل :

سفر .. سفر (١)
موج يترجمني الى كل اللغات وينكسر
موجا على كل اللغات وانكسر
سطرا .. سُطُرَه
سفن .. سفر
سفن .. كلاب البحر اشرعة السفن
زمن يفتش عن وطن
زمن .. زمن

وفى احياء غزة القديمة ينشا معين ويتنسم عبق التاريخ .. ويتعلم من مدينته مقارعة الزمن وكيفية التعامل مع الغزاة .. وتتكون مع يفاعته وشبابه روح التمرد وبذور الثورة والغضب وهو يرى جموع النازحين تقتلع من مزارعها وبيوتها فى فلسطين امام زوابع الارهاب الصهيوني وتبحث عن الماوى وعن كسر الخبز بعد نكبة علم ١٩٤٨ فينفجر شعره صلابة وتحريضا واملا :

ولكنه سوف ياتى الصـــــباح
ويكسر ابـــواب هذا الضـــــباب (٢)

يضيء لنـــا ارض ابائنـــــا
وارض طفولتنـــا والشـــباب
فتورق امالنـــا كالغصـــون
وكانت جـــذورا ببطن التراب
فقم وادع مثلي ليـــوم الخـلاص
وميلاد تلك الأماني العـــذاب
وإن قيدوك وإن عذبـــوك
وإن هددوك بشر العقـــاب
فلا تستكن يا ابن هـــذا التراب
امام وحوش الحيـــاة الغضاب

وبعد عام ١٩٤٨ يشد شاعرنا الرحال الى القاهرة ليكمل تعليمه الجامعي وينفتح على عوالمها الخصبة ويتشرب منها قطرات العلم ويتسمع أنات المعذبين والمقهورين فتمتـزج صورة اهله المشردين فى غزة مع صور البسطاء من اهله فى مصر فتحضره صورة غزه المعذبة :

هذى هى الحسناء غزة فى ماتمها تدور (٣)
مابين جوعى فى الخيام وبين عطشى فى القبور
ومعذب يقتات من دمه ويعتصر الجذور
صور من الاذلال فاغضب ايها الشعب الاسير
فسياطهم كتبت مصائرنا على تلك الظهور

وينهي معين تعليمه فى مصر عام ١٩٥٢ وفى نفس العام يصـــــدر ديوانه الاول :

« المعركة » الذى افتخر بانه طبع على نفقة العمال والفلاحين المصريين وعايش فيه همومهم واحلامهم وسجل فيه الارهاصات الأولى لمعركة القناة التى حفرها ابناء مصر بعرقهم ودمهم واظافرهم وقدمت هدية لجلاديهم محرمة على اصحابها فيصرخ معين ان « ارفعـــوا ايديكم عن ارض القناة » :

فبحار العالم المصطخبة (٤)
لم تعد أمواجها للقرصنة
والأيادى العفنة
ليس هذا عصر توفيق الجبان
لا ولا عصر ديجول
مونتجومرى والفلول

ويرف طائر الغربة بجناحيه فى قلب شاعرنا فيفرد اشرعته الى عاصمة عربية اخرى ويسافر الى بغداد ويعمل فيها مدرسا فتصدمه صورة السجن الكبير المفروض على اشقائه فى العراق فى عهد نوري السعيد والاحلاف مع المستعمر الانجليزى فيزفر شعره جمرا يحرق اطراف الواقع المؤلم ويضيء طريق الغد رؤى مستقبلية مشرقة تتخطى القيد والسجان :

سيظل يحرسه العراق (٥)
سيظل يخفق فى العراق
فى ظل اقواس المشانق والرصاص
قلب المقاومة العنيدة والخلاص
جنبا الى جنب يدق مع القلوب
اترى الى شعب العراق
يعدو باشلاء الوثاق ؟
وعلى جواد من لهب
فى ارض معركة الشعوب .

وترنو عينا معين الى مدينته فيعود اليها عام ١٩٥٣ مديرا لاحدى مدارس وكالة غوث اللاجئين ، وما كانت الادارة تعني للشاعر العملاق الا انها اقتراب اكثر من جماهير شعبه وهمومه وما كانت التربية فى مفهومه النضالي الصلب الا بث الروح الوطنية وتاجيج مشاعر الصغار والكبار للثار من غاصبي فلسطين وتثوير تجمعات البؤس فى المخيمات لتخرج عن هدوئها وصمتها وعن همهمات الحزن والغضب المتخفية تحت الاسمال والرماد ولتنطق المدافع الخرساء على كل الحدود .. ويدفع الشاعر المناضل ثمن تغزله بالبندقية سنوات طويلة فى المعتقلات داخل غزه وخارجها ولكن الكلمة ـ الفعل تصر على

الشاعر معين بسيسو في كلمات

● ولد فى غزه عام ١٩٣٠ م .
● سافر الى مصر عام ١٩٤٨ لتلقي العلم وتخرج علم ١٩٥٢ .
● عمل معلما فى العراق ثم عاد الى غزه عام ١٩٥٣ كمدير لاحدى المدارس التابعة لوكالة غوث اللاجئين بقطاع غزه
● اعتقل فى الفترة ما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ وفى الفترة ما بين ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣ لنشاطه السياسي وصلابة موقفه المنحاز لوطنه وللمعذبين فى الأرض .
● نشر احد عشر ديوانا من الشعر صدر اولها « المعركة » عام ١٩٥٢ فى القاهرة وكان اخرها « خذي جسدي كيسا من رمل » الذى ضمنه « الاعمال الكاملة » عام ١٩٧٩ فى بيروت .
● امتد نشاطه الابداعى من الشعر السياسي الملتزم الى المسرح الجاد فكتب مسرحيات كانت اولها « ماساة جيفارا » وكان اخرها : « محاكمة كتاب كليله ودمنة » وجمعت كلها فى كتاب بالاضافة الى كتبه وابحاثه الاخرى .
● نال جائزة اللوتس العالمية عام ١٩٨٠ كما نال « درع الثورة » اعلى وسام فلسطيني كما تراس تحـــرير مجـلة « اللوتس » فى طبعتها العربية وهو عضو فى المجلس الوطني الفلسطيني ومسؤول الشؤون الثقافية فى الأمانة العامة للاتحاد العام للكتـــاب والصـحفيين الفلسطينيين .
● توفى فى لندن يوم الاربعاء ٢٥ يناير ١٩٨٤ اثر نوبة قلبية وهو فى طريقه الى موسكو فى مهمة رسمية لوطنه ودفن جثمانه فى القاهرة بناء على طلب اسرته .

المؤرخ الوجداني للشقاء الفلسطيني



اسمحوا لي ان اتحسس بوجع علني قطعة من قلبي سقطت امس . زميلي واحد رفاق طريقي وقصيدتي ، معين بسيسو ، خذله القلب فسكت في احدى محطات المنافي الكثيرة .

اليس من حق الشاعر ان يواصل فرح اللحظة ؟ لا ، ليس من حقه خاصة اذا كان إبنا لتلك الأرض الأسطورية التي فتحت له ابواب كل المنافي وحرمته من زنزانة واحدة في وطنه . وانا لا اعجب من كيفية موتنا السريع ، بل اعجب من شهية الحياة فينا التي ترغم القلب المثقل بالأسئلة والمجازر على البقاء قليلا ريثما يواصل الشاعر قصيدته وهي وطنه اللغوي ، او وطنه المؤقت في اللغة . كم طال هذا « المؤقت » دون ان يطمئن اي شاعر فينا إلى ختام النشيد . لذلك نسرق وقت الكتابة وكانه الوقت الأخير . كل قصيدة نكتبها هي القصيدة الأولى والأخيرة .

تعرفت على معين بسيسو في القاهرة . كان رفيقي في كل رحيل . فالى اين ارحل بعده ؟ كان عاصفة من نشاط النحل .. لم يتوقف عن الأمل والحلم الا ليهجو الزمن الذي عاش فيه . كان حضوره كاملا ، فبم نملا غيابه ؟

خريج سجون بامتياز . شاعر حاد الطبع واللغة . لا يضرب إلا ليصيب . كرس طاقته الشعرية الكبيرة لمواكبة السعي الفلسطيني إلى هوية وثورة ووطن . وكان المؤرخ الوجداني للشقاء الفلسطيني الحديث . وكان مناضلا صلبا في كل المعارك التي خاضتها الثورة الفلسطينية ضد محاولات طمس الهوية . والشخصية الوطنية المستقلة والوجود الجسدي . كانت قصائده اليومية اثناء حصار تل الزعتر اسلحة صمود . وكانت كتابته اليومية اثناء حصار بيروت اسلحة صمود وثقة عالية بقدرة الجسد والفكرة على التصدي لوحشية الفولاذ . لان ارادته كانت من فولاذ مضاد .

وكان حلمه الشخصي ان يموت هناك في كوخ على شاطىء غزة التي اعتبرها اجمل المدن . وكان يعدني بان يبني لي كوخا على اجمل السواحل . كان يتحداني مداعبا بانه سيرثيني ، وانني لن اعيش بعده .

لقد كذب علي معين بسيسو لانه لم يعد لي : لا كوخا ولا قبرا في الأرض التي نحلم بالموت فيها . هكذا نحن الفلسطينيين لا يحق لنا ان نختار المهد ولا اللحد .. ولكننا نختار المسافة بينهما . نختار الحياة كما نريدها بكرامة واصرار على الا ننحني . بالاصرار على النصر .. وهي ثورة حتى النصر .

محمود درويش

الخروج الى القنديل زيتا ولو من وراء القضبان يضيء قطار العودة ويدق على ابواب الصمت :

حينما تومض في عيني غزه (٦)

حينما تنمو كغابة
حينما يلمع برق الكلمات
كلمات من حديد
تطرق الباب الحديد
اطرقي يا قاهره
واطرقي يا غزتي

ويعود طائر السفر يحوم بجناحه على العواصم والبلدان من بيروت الى بغداد الى دمشق الى القاهرة ومن منفى الى حصار ومن اهازيج الشهداء احبابه الى اغاني القناديل المضيئة على دروب المناضلين .. وحين يضنيه الترحال وطعن النصال من الامام والخلف يجلس ليهمس بحلمه في رؤية ارض وطنه وتلمسها الى ابنته دالية :

الف شتاء قد مر ومازال (٨)
مصلوبك يا وطني يحلم ،
لو تلمس قدماه
الارض النائية كنجم
لو يمشي ،
لو يسمع وقع خطاه

وحين يحاصر في « تل الزعتر » يصرخ وهو يرى سر الماساة ماثلة بوضوح كالشمس امام الاعين المقاتلة :

« تل الزعتر » (٨)
يا جرحا يتسع ويصبح ،
هذا الوطن الأكبر .
غنيت طويلا للدالية على جبل « الكرمل »
وكتبت كثيرا للزيتونة في جبل «القسطل»
وحملتك يا غزة
او على غزة
كان العنق يذوب كشمعه
والاطفال وراء المتراس « بتل الزعتر »
في « جسر الباشا » و « النبعة » ..

وفي بيروت يتمترس العشق والثورة والامل في قصيدة اخيرة تسافر الى الوطن وتتحدى جيوش الغزاة وبعد بيروت ينكسر جناح الطائر المسافر ولكنه ما يزال يحلق في افاق الغربة والثورة والحلم الى ان يحط في عاصمة الضباب فيخر من الاعلى كشجرة تموت واقفة وما عاد القلب يقوى على المزيد من الخفقات وما عاد الصوت الجهوري يقوى على الوقوف في اعلى السارية ليصيح في شعبه « جزيرة جديدة في الافق .. قصيدة جديدة » لكن العطاء كان وفيرا والزيت يملا القنديل .. ينطفىء فتيل ويشتعل الف فتيل .. ولا ينطفىء القنديل .

حمدي الكحلوت

مصادر واشارات :

(١) من اخر اعمال معين بسيسو الشعرية « قصيدة في زجاجة » .
(٢) من قصيدة « المهاجرون » في ديوان «المعركة» .
(٣) من قصيدة « المدينة المحاصرة » في ديوان « المعركة » .
(٤) من قصيدة « ارفعوا ايديكم عن القناة » في « المعركة » .
(٥) من قصيدة « السجن الكبير » في ديوان « المعركة » .
(٦) من قصيدة « ارفعوا الايدي عن ارض القناة » ديوان حينما تمطر الاحجار .
(٧) من قصيدة (الى طفلتي داليه) من ديوان (فلسطين في القلب) .
(٨) من قصيدة (برقية الى تل الزعتر) من ديوان (الان خذي جسدي كيسا من رمل) .

حوار مع الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني

من أزمة الشعر.. إلى أزمة الإنسان!

أجرى الحوار: يوسف الحرمي

- **معظم دور النشر العربية تاكل الحقوق المادية للشعراء**
- **الشعر التجريدي سقط وأعلن افلاسه حتى فى الغرب**
- **نظرية أدونيس فى الشعر نوع من الهيروغليفية لا يمت للأدب العربى بأى صلة**
- **هناك شعراء لا يعرفون شيئا عن اللغة والموسيقى ومع ذلك تفتح لهم المطابع صدرها**
- **في الساحة الأدبية من يحملون اسم النقاد دون ان يستحقوا هذه التسمية**
- **قصيدة النثر أكذوبة أدبية يرفضها الذوق السليم**

فى حوار مع الشاعر القطرى الكبير مبارك ابن سيف آل ثانى، تطرقنا إلى عدة قضايا هامة حول كافة الهموم التى تعترى الحياة الثقافية فى وطننا العربى.

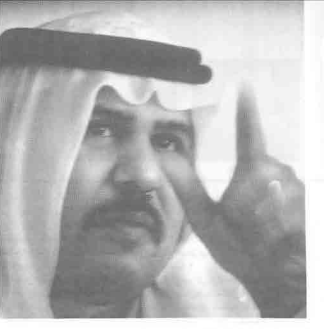
وشاعرنا الكبير لم يعرفه جمهوره من خلال قصائده المتالقة فى العديد من الصحف والمجلات القطرية والخليجية والعربية، ولكنهم يعرفونه ـ كذلك ـ من خلال ديوانيه: انشودة الخليج، والليل والضفاف .. وهما الديوانان اللذان برز فيها اهتمام الشاعر بمعاناة الانسان الخليجى منذ ايام الغوص، ومعاناة الانسان العربى بقضاياه الراهنة

قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثانى، ما رايكم فيما يردده الكثير من النقاد من ان القصيدة العربية تمر بازمة فى المرحلة الراهنة؟ ..

وقال لى: لا اعتقد ان القصيدة العربية تمر بازمة كما يشيع البعض، بمكننا ان نقول إن هناك قلة من الشعراء فى عالمنا العربى، بالمقارنة بالعصر الذهبى للشعر ـ إذا جاز هذا التعبير ـ واقصد بالعصر الذهبى على وجه التحديد الثلث الأول من هذا القرن والسنوات التى تلته، عندما كان هناك توهج للشعر وذيوع بالغ لصيت الشعراء، وما نراه الآن ليس إلا لحظة من الركود المصطنع فى وجه انتشار الشعر الجيد، صحيح أن الساحة تفتقر إلى قلة المواهب مقارنة بالماضى، لكن هذا لا يعنى انها خلية من الشعراء الجيدين، ومن المواهب المدفونة التى لا تجد من ينفض التراب عن اعمالها الجيدة وياخذ بيدها لتحتل مكانها المطلوب فى مجتمعها .. وهذا بالطبع يعود إما إلى تقصير من صاحب الموهبة نفسه، او إحباط يعانى منه نتيجة لعدم اهتمام المجلات الادبية المتخصصة واهمالها للجيل الجديد من الشعراء .. ولذا فانا ارى ان اللوم يقع اولا على وسائل النشر الخاصة والعامة التى بيدها امكانية التوجيه للمواهب الحقيقية وتهيئة الاجواء الكفيلة بوجود صحوة ادبية وفنية نتمناها ونترقبها بفارغ الصبر، وهذا بالطبع إضافة إلى ضرورة ان يتفهم الشاعر الموهوب معنى ومفهوم الموهبة. فالموهبة ستظل اداة قاصرة ما لم تصقل نفسها بالدراسات المكثفة والقراءة المستمرة لكافة التجارب الانسانية، ويكفى ان اقول إن ابا العلاء المعرى مثلا لم يعتمد على ذكائه وموهبته الفذة، بل كان واسع الثقافة فى كل فروع المعرفة حتى ان «التبريزى» قال عنه «ما اعرف ان العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرى»!

● ولكننا نلاحظ فى بعض الدول العربية اهتماما بالكتابة الأدبية يسبق باستمرار الصقل الفكرى، فهل يمثل ذلك عيبا ثقافيا؟

ـ عموما الأدب نتاج فكرى تشوبه العاطفة ولهذا فانا لا اجد اى تعارض بين العمل الادبى والعمل الفكرى، فلكى تكون اديبا لابد ان تسلح نفسك اولا باسلحة



الشاعر مبارك بن سيف ال ثاني
في حواره مع الدوحة



الأديب التى من بينها الثقافة والرؤيـــة الموضوعية للأشياء والحاسة التى تلتقط وتحلل اعتماداً على خلفيتها من القراءة والاطلاع . وإذا كان ذلك مطلوبا للشاعر والروائى والقاص فانه مطلوب بصورة اكبر للناقد الذى يصدر احكامه على الاعمال الأدبية . فالنقاد الحقيقيون الذين يعتد برأيهم - للأسف - اصبحوا قلة ، بينما رأينا فى الساحة العديد من الذين يحملون هذه التسمية بدون ادنى مؤهلاتها ، واصبح الأدباء الشبان لا يجنون من الكتابات النقدية لهؤلاء غير الابحار فى امواج من الأهواء الشخصية والمقاييس الخاطئة .

وأعود فأكرر بأن وسائل النشر فى عالمنا العربى هى المسئولة عن كل ذلك ، فهى اداة توجيه ، يمكنها ان تحيى تراثنا الادبى من جديد إذا ارادت ، ويمكنها ان تبعث الدفء فى حياتنا الثقافية بطرح القضايا الأدبية الهامة والقاء الضوء على المواهب الصاعدة .. إن صحفنا مثلا تخصص فى كل يوم صفحة للرياضة واحيانا صفحتين ، وهذا جميل لان صحة الابدان من صحة العقول ، ولكن لماذا لا تعطى هذه الصحف الأدب والثقافة نفس القدر ؟ لماذا تخصص صفحة ادبية واحدة كل اسبوع ؟ ولماذا تكتفى بعض الصحف العربية - فقط بركن فى احدى صفحاتها للادب ؟ .. وكذلك برامج التليفزيون انها لا تخصص اكثر من نصف ساعة للبرامج الأدبية فى الاسبوع .. وهذا بخلاف دور نشر الكتاب على امتداد عالمنا العربى التى اصبحت تنظر للشعر والقصة على انهما فن لا يحقق المكسب التجارى الذى تحققه الكتب الهابطة التى تثير غرائز القراء .. وإذا كان هذا هو الحال فماذا ننتظر أو ماذا نجني غير تناقص حب الثقافة والرغبة فى القراءة الجادة لدى الناس ؟!

مستقبل الأدب

قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني :

● هل يمكننا أن نضع مقاييس للقصيدة الجيدة ، وما هى المعايير التى تجعلنا قادرين على التمييز بين الشعر الجيـــد والشعر الردىء ؟

- القصيدة الجيدة لابد أن يتوفر فيها المضمون والبناء الفنى الجيد ، وأن تكون بها اصالة فنية وإبداع ، وهما ما يستطيع أى متذوق أن يميزه ، ولكن هناك من يدعون الشعر دون تأهيل ، ويخرجون علينا من المطابع وبأيديهم دواوين شعر ركيكة غثة فى لغتها وبنائها وقواعدها وعروضها وقافيتها ، وهذا من شأنه أن يثير فى نفوسنا الخشية على مستقبل الشعر والأدب فى بلادنا ، وعموما فان تنامى التذوق لدى القراء هو الذى يكشف هؤلاء المصنوعين ، على حد تعبير الدكتور حسن نعمة .

واعتقد أن تلك المشكلة موجودة فى عالمنا العربى بصفة عامة ، مع بعض التفاوت والتمايز من بلد لآخر نتيجة لاسبقية دخول التعليم والاهتمام بالتربية الثقافية . وهذا - بالطبع - يتطلب مجهودا مكثفا من كل وسائل الاعلام ، لتشجيع المواهب الجديدة الواعدة ومساعدتها بالقاء الضوء عليها وكشف الطريق امامها . والمهم هنا هو الكيف وليس الكم ، وإذا جعلنا اى شاب يشعر بانه قد اصبح قصاصا او شاعرا فجأة دون مروره بفترة من المعاناة هى فترة التحصيل والصقل والتجربة ، تكون قد ساعدنا على ظهور مجموعة من الشعراء وكتاب القصة الذين لا يتناسب عددهم مع اهمية إنتاجهم !

● إذن .. وعلى ضوء كل ذلك .. هل يمكننا تحديد مسيرة الحركة الأدبية فى دول الخليج العربية ؟ ..

- لاشك أن الحركة الأدبية والفكرية بصفة عامة فى دول الخليج العربية تسير بخطوات سريعة إلى الامام ، وإذا نظرنا إلى هذه الدول منذ عشرين عاما ونظرنا إليها الآن ، فان ذلك يكفي للتعرف على مدى التقدم الذي تم في كافة المجـالات ومنهـا المجالات الفكرية والثقافية ، بعكس بعض الدول العربية الأخرى التي أرى أن مستوى الانتاج الادبي فيها قد هبط - اذا جاز هذا التعبير - وهذا يعود الى ظروف كثيرة لطالما ناقشها العديد من المثقفين العرب .

● هل يمكننا - ايضا - أن نحدد الصعوبات التي تواجه الشعراء والادباء بصفة عامة ؟

- هناك صعوبات مادية تتمثل في القدرة على طبع الانتاج ، حيث ان معظم دور النشر في العالم العربي تلتهم حقوق الشعراء فلايكون لهم مردود يشجعهم على أن يكونوا متفرغين للعمل الفني ، فهذه الدور تقف موقفاً سلبياً من الشعراء بحجة









ت . س . اليوت — نازك الملائكة

الربح والخسارة .. هذه هي اهم المشاكل التي تواجه الشعراء والادباء بصفة عامة وهناك صعوبات اخرى لا تحتاج الى التنويه .

● هل انت راض عن قصائدك التي كتبتها .. ولماذا ؟

ـ بطبيعة الحال انا راض عنها ، والا ماكتبتها ونشرتها في الصحف والمجلات وطبعتها في دواويني ، والحكم بالطبع في النهاية اتركه للقراء والنقاد ، ولكن هذا لا يعني انني مقتنع بمستواها العام ، فانا انظر دائماً الى الافق ، ومن الصعب الوصول الى الافق ، وبالتالي فانني اشعر بانني لم اكتب القصيدة التي تدور في مخيلتي ، او التي احلم بان تكون موجودة يوما ما بين صفحات اوراق احد دواويني .

التجديد في الشعر مطلوب

● هل انت من الذين يؤيدون التجديد في الشعر العربي المعاصر .. وكيف ذلك ؟

ـ التجديد مطلوب والاستمرارية هي مع التجديد ، لكن يجب ان نفهم معنى التجديد : هل هو الغاء التراث الشعري والبدء من الصفر ؟ ام هو استمرارية للشعر والتراث العربي مع تطوير هذا الشعر ؟ وهذه المسألة قد يختلف فيها اشخاص كثيرون في معنى التطوير هل هو في القالب ام في المضمون ؟ وباعتقادي ان الشعر الحديث هو تطوير للشعر القديم ، بل ان هناك شعراء ممن وقفوا ضده واصدروا مؤلفات لمحاربته ، اصبحوا يكتبون بطريقة الشعر الحديث ، فطالما الشعر العربي الحديث يعتمد على وحدة التفعيلة فهذا ايضا ما زال يسير في ظلال الشعر الموروث وهذا هو رايي في الشعر الحديث .

اما بالنسبة للشعر التقليدي فالتطوير يتم عن طريق المضامين والمفاهيم الجديدة والتي تقابلها مقاييس جديدة ايضا تعرفنا بمكامن التجديد والتطوير رغم بقاء القالب كما هو .

● وما رايك فيما يسمى بالقصيدة التجريدية في الوطن العربي ؟

ـ استطيع ان اقول من خلال قراءاتي إن القصيدة التجريدية سقطت في اول الطريق ليس لدينا فقط ولكن عند الشعوب المتقدمة في اوروبا ، فالديوان الذي يحتوي على الشعر التجريدي او السريالي او اللا عقلي لا يطبع منه الا الف وخمسمائة نسخة ، هذا في فرنسا على حد تعبير احد شعراء فرنسا المعاصرين فما بالك بالنسبة للقارىء العربي ؟!

تجربة شاعرين

● هل لك ان تحدثنا عن تجربة الشاعر صلاح عبد الصبور ونزار قباني في الشعر العربي الحديث ؟

ـ اعتقد ان هذين الشاعرين قد دونا تجربتهما الشعرية في كتابين وهما موجودان في جميع المكتبات ، وليس لي ان اضيف او ازيد عليهما اي شيء ، فليس اعرف بالانسان الا الانسان نفسه ، ويستطيع القارىء ان يرجع لكتاب صلاح عبد الصبور تجربتي في الشعر فسوف يكون له خير معين للتعرف على شعر صلاح عبد الصبور وتجربته الشعرية ، عموما نزار قباني وصلاح عبد الصبور كانت لهما ابتكارات في الشعر لا شك في ذلك وعموما يمكننا ان نقول عن شعر عبد الصبور انه شعر شمولي الطابع بينما نزار قباني تلتفت ونحدد ملامح الحياة في قصائده حتى من بقايا اعقاب السجائر .. وهما بلاشك امتداد (خصوصا صلاح عبد الصبور) لرواد الشعر الحديث مثل بدر شاكر السياب وزملائه ، مع الفارق في المضامين والاغراض التي تناولها الشاعران في شعرهما .

الغموض في الشعر

وهنا قلت للشاعر مبارك بن سيف ال ثاني :

● رغم ان الشعر الحديث بدا منذ اكثر من ربع قرن ، إلا اننا لا زلنا نرى اتجاهات عديدة ، فهنالك الشعر العمودي والشعر الحر وشعر التفعيلة وقصيدة النثر ، فما تقييمك لهذه الاتجاهات الشعرية ، والصراع الدائر بينها ، وما تقييمك لقصيدة النثر خاصة ؟

ـ لا يوجد شيء اسمه قصيدة نثر او شعر نثري ، ربما هذه تكون خاطرة او كلاما وجدانيا ، ولك ان تسميه ما تشاء إلا ان تسميه شعراً ، اما بالنسبة للشعر العمودي وشعر التفعيلة فهما طبعا ضمن اطار الشعر المتعارف عليه . اما الصراع بين الشعر القديم والحديث فلا اعتقد ان له وجوداً الآن اللهم الا بين قلة قليلة ليس لها ذلك الثقل الذي يمكن ان يؤدي الى التشكيك فيما يسمى بالشعر الحديث .

● ترتبط قضية التجديد لدى الشعراء الشبان بظاهرة الغموض والتعقيد الشديد في اشعارهم فهل هذا عيب او ميزة ؟ وما هو تعليلك لهذه الظاهرة وتقييمك لها ؟

ـ اعتقد ان هذا القصور هو عيب من عيوب الشعر ، وصحيح انه في يوم ما كان لمفهوم ادونيس عن الشعر تاثير على الشعراء الشباب ، ولكن في الوقت الحاضر نجد ان هذا الغموض لم يعد موجوداً عند الكثير من الشعراء ، طبعا الرمز تفرضه ظروف معينة حيث يجنح الشاعر اليه ، ولكن ان تصبغ القصيدة بالغموض والتعتيم فهذا امر مصطنع اكثر مما هو طبيعي ، والصنعة في الشعر هي من اهم عيوبه مهما استترت تحت اية تسمية كانت !

التكوين الفني

قلت للشاعر مبارك بن سيف ال ثاني :

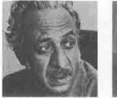
● الشاعرة العربية حاولت ان تشارك في نظم الشعر الحديث فهل حققت في رايك نجاحا ملموسا في هذا المجال ؟

وهل كان ابداعها إضافة حقيقية الى الشعر الحديث ؟

ـ طبعا حققت نجاحاً في مجال الشعر اذا كنت تقصد مثل فدوى طوقان او نازك الملائكة او لميعة عباس او من شابههن ، وبالتالي لابد أن تكون هناك إضافة حقيقية لابداع المرأة



ابراهيم ناجي



صلاح عبد الصبور






نزار قباني



بدر شاكر السياب



عزيز اباظه

في مجال الشعر ، وذلك يرجع الى نوعية العاطفة وطبيعة النظرة الى الحياة عموما وبالتالي لاشك بان المراة الادبية قد اثرت المجال العربي .

● بمن تاثرت في تكوينك الفني من الشعراء العرب او العالميين ؟

ـ في الواقع إن اي شاعر او اديب يتاثر في بداية حياته الأدبية بمجموعة من الشعراء . اما بالنسبة لي فقد كنت معجبابشعر احمد شوقي والدكتور ابراهيم ناجي وعزيز اباظة وبدر شاكر السياب ، هذا طبعا في بداية حياتي الشعرية اي في منتصف الستينات ، ولكن التاثير يزول مع المدة ويصبح للشاعر اسلوبه الخاص المميز عن غيره ، اما بالنسبة للشعراء الغربيين ففي الواقع قد تاثرت ببعض الشعراء مثل ت . س . إليوت ، وهاردي وتاثرت بكتابات « فرجينيا وولف » والتي تاثرت بدورهـــا بالشاعر العملاق « إليوت » والذي شدني الى قراءة شعر هذا الشاعر وقصائده ومن تاثروا به من الأدباء الاجانب هو تلك البصمات التي تركها على شعرنا العربي منذ أن ترجم له الدكتور لويس عــوض قصيدة الارض الموات او الارض اليباب ، وربما تكون قصيدتى الزرع في الارض اليباب والتى كتبتها عام ١٩٧٤ هي احدى تاثيرات هذا الشاعر ، ومازال لهذا الشاعر وهجه واشعاعاته رغم ارتداده عن تلك النظريات التي شغلت ادباء عصره ، ونجد ذلك واضحا جدا فى مسرحيته الشعرية « جريمة فى الكاتدرائية » .

● من هو الشـــاعر الذى يعجبك من شعراء الخليج والعرب ؟

ـ بالنسبة للشعراء العرب فاستطيع القول بانهم اربعة شعراء هم : احمـــد شوقى ، وابراهيم ناجى ، بدر شـــاكر السياب ، وعلى محمود طه ..

امـا بالنســبة للشعراء الخليجيين تعجبنى قصائد الشاعر بن عثيمين وهو شاعر خليجى قديم ، كما ان هناك الكثير من الشعراء الذين لهم قصائد جميلة مثل خالد الفرج وهناك العديد الذين لا استطيع حصرهم ..

ومن العيوب المنتشرة عندنا فى مجـال الدراسات الادبية هو الاحتفاء بالكتـاب والشعراء على اساس صيتهم وشهرتهم ، وليس على اساس ما ينتجونه فى الوقت الحاضر بالرغم من ان معظمهم مازال فى مبعة البذل والعطاء .

بين محمود درويش وادونيس

● ما هو رايك فى تجربتى محمـــود درويش وادونيس فى الشـــعر العربى المعاصر ؟

ـ محمود درويش يمثل شعر المقاومة مثله مثل شعراء المقاومة الاخرين ، وشعر المقاومة معروف لدى جميع الشعوب التى عانت من ســيطرة الغزاة وخاصـة الفرنسيين حيث ظهر عندهم ما يسمى بالالتزام ، اما بالنسبة لادونيس فلديه نظرية فى الشعر استطيع ان اقربها إلى القارىء ، بالقول بانها اشبه باللغــة الهيروغليفية ، وهى نظرية اهل مجـال الادب والشعر خاصة ، وقد كان له فى يوم من الايام مريدون اهتموا بهـا وصبغوا قصائدهم بتلك المفاهيم كالغموض مثلا ، وتفريغ الكلمة من محتواها ثم اعطائهـا مدلولا اخر وهـو ما يسمى بالايحاء او بالمدلول النفسى للكلمة الى اخره .

● إذن فما هو الطريق فى رايك لتطوير الشعر العربى الحديث؟

ـ فى الواقع الشعر الحديث لا نستطيع تطويره بقرار او بتوصـية فمسالة النمو والتطوير خصوصا بالنسبة للادب والشعر انما هى نتاج لتطور المجتمع نفسه وتطور المفاهيم والعادات والتقاليد وغير ذلك ، صحيح ان الشعر احد واجباته هو التوجيه ولكن مسالة التطوير كما سبق ان ذكرت تاتى من المجتمع نفسه ، ويكفى ان ننظر إلى المذاهب الشعرية لنتعرف على مدى تاثير الحياة الاوربية على الشعر ، وبالتالى نستنتج من ذلك ان الشعر يتطور بتطور المجتمع ويساير نظريات المجتمع ، والمجال واسع ، فلو اننا اردنا ان نوضح ان هناك علاقة تامة بين الأدب وبين حالة المجتمع نخرج من هذا الموضوع ـ كما سبق ان اشرت ـ الى ان التطور فى الشعر هو نتيجة لانعكاس الأحداث التى يعيشها المجتمع ، فيجب ان لا ننسى ايضا ملاحقة الشـــعر للنظريات الحياتيـــة البيئية والنفسية والاجتماعية الى اخره .

أبو نواس مجددا

● هل يمكن اعتبار ابى نواس كمجدد فى الشعر القديم ، رائدا للحداثة والتجديد فى الشعر المعاصر ؟

ـ لا اعتقد أن ابا نواس رائد الحداثة والتجديد الا اذا كان المقصـــود هــو الاستهلال بالنسبة للقصائد التى وصلتنا منــه ، فقـد رفض البدايـــة بالوقوف على الاطلال ـ وان سبقه الوليد بن يزيد فى ذلك ـ وادخال بعض المضامين والاغراض وغير ذلك ، ولكن لا اعتقد ان هناك تجديدا بالمعنى المفهوم للحداثة ربما التجديد حدث عند بعض شعراء الاندلس فقد ظهر بينهم من جدد فى القالب الشعرى والمضمون كذلك بينهم الشعراء الذين نجد عندهم الوحدة العضوية للقصيدة بشكل متميز وبعضهم من استنطق الجمال وحاوره فى شعره؛ فهذا هو التجديد الحقيقى الذى يمكن أن نؤرخ به تطور الشعر العربى . قد يكون ابو نواس اعطى الاغراض الجديدة للشعر ، وعاب على الشعراء السابقين وقوفهم على الطلل ومدح الناقه والخيل الى اخره .

طبعا هذا نوع من التجديد ولكن ليس بالتجديد الذى نستطيع ان نقول بانه قفزة فى الشعر العربى القديم واذا اخذنا مثل هذه المعايير كمؤشر للتجديد فسوف نرى الكثير من الشعراء الذين طوروا فى الاساليب كعمر بن ابى ربيعه ، بالاضافة الى شعراء الموالى والصوفية وغيرهم .

يوسف الحرمى



كاتب كبير.. ورحلة بلا متاع!

بقلم: محمود السعدني

لم التق بمحمد عودة فى مقهى محمد عبد الله ولكنى قابلته صدفة فى مقهى اخر يقع وسط مدينة القاهرة ، هو مقهى « إيزافتش » الذى كان يطل على ميـــدان الاسماعيليـة (التحرير فيما بعد) ، وكان يملكه يوغسلافى مهاجر ، فر من يوغوسلافيا ، واختار القاهرة منفى له ، وأسس محلا انيقا للغاية ، واستخدم عمالا من الأجانب قبارصة ويونانيين ، ولكن الرجل اليوغسلافى ـ وهنا العجب ـ قصر نشاط محله على بيع الفول المدمس أشهر طعام شعبى فى مصر ، واجتذب هذا المحل الانيق الذى يسبح فى جو اوروبى ويبيع طعاماً شعبياً فئة من المثقفين المصريين الذين تعلموا فى الغرب ولم تنقطع جذورهم الضاربة فى ارض مصر !

وكان محمد عودة واحداً من هؤلاء الذين اختاروا من « إيزافتش » محلا مختارا له ، يجتمع بالأصدقاء ، ويدير المناقشات ويدخل فى معارك نظرية ، ويقرأ جانباً من عشرات الكتب التى كان يحملها دائماً بين يديه . ولعل اختيار محمد عودة لمقهى « إيزافتش » يرجع إلى الصفات المشتركة بين الرجل والمقهى ، فمحمد عودة واحد من المثقفين المصريين الذين سبحوا فى علوم الغرب ، واغلب قراءاته باللغتين الفرنســـية والانجليزية ، ومع ذلك لم يبحر محمـــد عودة بعيداً عن شواطىء مصر ، ولم تنقطع خيوطه بقاع المجتمع ، فى الحارة وفى القرية ، بالرغم من انه كان يعيش فى وسط القاهرة وفى ارقى احيائها ، وينزل فى بنسيوناتها وفنادقها الصغيرة .

كان صورة مصغرة من قهوة إيزافتش ، ديكور افرنجى وخدمة اجنبية وطعام مصرى عربى أصيل .

كان يتوافد على مقهى « إيزافتش » فى تلك الايام مجموعة من المثقفين المصريين قراوا قشورا فى الثقافة ، وسبحوا فى مجـــار ثقافية ضحلة ، واســـتخدموا شعارات وتعبيرات وعبارات افرنجية ، وارتاحوا إلى ما وصلوا إليه ، ورضوا عن انفسهم واكتفوا بمشاهدة الحياة فى مصر من فوق رصيف مقهى « إيزافتش » ثم الدخول فى مناقشات عقيمة حول نظريات لا علاقة لها بواقع شعب مصر ، لذلك كان الخلاف محتدماً ومستمراً بين جبهة المثقفين إياهم وبين محمد عودة ، وكان هذا مدخلى إلى محمد عودة . فذات صباح ، احتدمت المناقشة بين محمد عودة وشلة المثقفين إياهم ، وكان الحديث حــــول ام كلثوم وفنها وتاثيرها على وجدان الشعب المصرى واثرها فى حالة الغيبوبة التى كان يعيشها شعب مصر فى ظل حكومة باطشة وسفارة بريطانية حاكمة . كان رأى المثقفين إياهم ، ان ام كلثوم هى السبب فى كل ما يعانى منه شعب مصر ، فهى ترسم لهم باغانيها واقعا مخمليا لا صلة له بالواقع البائس الذى يعيش فيـــــه ،

وصفوها بانها « افيون » لتخدير شعب مصر ولتمكين عصابة المستفيدين من دمه ، وكان راى محمد عودة أن هذه مبالغة لا اساس لها فى الواقع ، وانه حكم سهل توصلوا إليه لاراحة انفسهم من دراسة المشاكل الحقيقية والأسباب الرئيسية فى تعاسة شعب مصر .

وانضممت فى المناقشة إلى راى محمد عودة ، ولكنهم تغلبوا علينا بالزعيق واستخدام الشعارات والاستشهاد باقوال من هنا وهناك ، وينطقونها بلغتها الاصلية ويخلطونها بكلمات عربية .

واقتربت من محمد عودة اكثر عندما وصف شلة المثقفين إياهم بانهم جهلة . وكان ذلك الوصف من محمد عودة كافيا لتغيير فكرتى عن شلة إيزافتش .

شلة المثقفين

واحببت محمد عودة أكثر عندما عرضت عليه انتاجا لى فقراه باهتمام وابدى إعجابا شديدا بما قراه . على عكس سلوك شلة « إيزافتش » عندما عرضت عليهم شيئا من انتاجى ، فقد القوا نظرة خاطفة على ما كتبت ، ولم يوجه لى احدهم كلمة ثناء او كلمة نقد وانشغلوا عنى بمناقشة قضايا العصر التى تبدا من المشكلات التى خلفتها الحرب العالمية الثانية والأخطار المحدقة بالعصر النووى ، وتنتهى دائما بمناقشة سلوك « مخالى » جرسون مقهى إيزافتش وموقفه الغريب لاصراره على تقاضى حساب الطلبات من شلة المثقفين قبل ان يغادروا المقهى ! ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلتى وراء محمد عودة ، فى الصباح عبر شوارع القاهرة الأنيقة، ومساء عبر حوارى وازقة القاهرة المعزية . وكانت تنتابه حالة من النشوة وهو يجوب ازقة حي الجمالية وسوق السلاح فى القلعة

وكنت اتخيله فى تلك الجولات واحدا من المماليك الذين يحيطون بالسلطان المظفر



محمد عودة

واحيانا اتخيلـه فلاحا هـاربا من قريته إلى أزقة مصر هـربا من تحـكم الملتزم وسياطه . كان يبدو كانه قطعة من جسم الماضى انفصلت فجاة وسقطت فى عصرنا ، وهكذا كان محمد عودة ، حرب طاحنة بين ما يعرفه وما يمارسه ، بين احلامه التى يحلق بها وواقعه الذى يزحف فيه ، بين طاقاته الذهنية وامكانياته المادية ، بين العصور التى يحيا فيها بخياله والبنسيون الذى ينزل فيه ! . ومن خلال محمد عودة تعرفت إلى عصور مصر الوسيطة وممالكها العظام وقادتها الفاتحين وسلاطينهـا المستبدين وحكامها الذين نصبوا المشانق ودقوا الخوازيق وفرضوا المكوس والرسوم وشربوا من دم الفلاحين واكلـوا من لحومهم !

وكما « جرجرنى » محمد عودة إلى حوارى مصر المملوكية ، « جرجرته » انا الآخر إلى قهوة محمد عبد الله ، واكتشفت انه على علاقة بالكل ، وانه قرا لزكريا الحجاوى وانور المعداوى وعبد القادر القط وانه يعرف قدرات كل منهم ويعرف مواطن القوة والضعف لكل واحد من اعضاء الشلة ولكنه كان اقرب فى مزاجه وتكوينه إلى زكريا الحجاوى . وكان اختياره لزكريا الحجاوى هـو اختياره لصف الصعاليك وابناء الطريق الذين استطاعوا ان يقهروا كل الظروف ليصنعوا على مدى تاريخ مصر عبقريات اضاءت وسط الظلام والعفن والفساد . بدا محمد عودة مترددا ليلا على قهوة محمد عبد الله ، ولم يكن يحضر وحده ، بل كان يحضر ومعه شلة من الشباب: محررون يحاولون العمل فى دور الصحف . وشعراء يحاولون نظم الحرف . وكتاب قصة يحاولون رسم هياكل لعوالم عاشوها او شاهدوها او حلموا بها يوما ما .

كان بعضهم موهوبا ، واغلبهم عديم الموهبة ، وكان بعضهم خفيف الدم . وبعضهم ثقيلا لا تطيق الارض حمله على ظهرها ، ومع ذلك كان عودة يحتضن الكل ويرعى الجميع ، وكان بمثابة الأب الروحى

وكان لا يكتفي بفتح الأبواب لهم ، ولكنه يتابع مسيرتهم ، ليس بالنفوذ ، فلم يكن له نفوذ على الاطلاق ، ولا بالنقود ، فلم يكن يحمل نقودا على الاطلاق ولم يكن يملك منها شيئا ، ولكن بالنقد والتشجيع . وكنت اعجب كثيرا لهذا السلوك من جانب محمد عودة ، لانني كنت الوحيد من افراد الشلة الذى يعلم ظروف محمد عودة على وجه التحديد . ففى تلك السنوات الأولى من حقبة الأربعينـات ، كان يسـكن فى بنسيونات من الدرجة الثالثـة وسـط القاهرة ، وكان يختـار بالـذات تلك البنسيونات التى تملكها ارامل اجنبيات اضطرتهن الظروف إلى تحويل شققهن إلى بنسيونات لمواجهـة اعباء الحياة . ولكن الصحافة فى مصر فى تلك الأيام كان اعتمادها على اقلام بعض النجوم . بينما ينسحق فى قاع المهنة مئات من الموهوبين والمثقفين واصحاب الأحلام والآمال ولقد شمل هذا القانون محمد عودة كما شمل الآخرين ، ولذلك كان يضطر احيانا إلى الانتقال من بنسيون إلى آخر ، احيانا فى وضح النهار وغالبا فى جنح الليل ومن الابواب الخلفية .

رحلتى العجيبة

فى تلك الغزوات كان عودة يختـار العبد لله لمساعدته فى عملية الهروب من بنسيون لآخر . وكانت مهمتى تنحصر فى إخلاء الغرفة من الكتب . وكانت عملية اخلاء الكتب وحدها تستغرق اسبوعا كاملا فقد كانت الكتب هى كل ثروته فى الحياة . وكانت مجرد صدفة بحتة انني عثرت على كتاب من كتب عودة اثناء عملية من عمليات النقل ، هذا الكتاب هو « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لابن إياس ، وقررت ان استعيره من عودة دون ان اخبره ، ولزمت بيتى اسبوعا مع بدائع الزهور ، وعشت مع الرحلة العجيبة التى عاشتها مصر فى



عصور سابقة ، من السلطان برقوق إلى المملوك حمص اخضر و شمخت بانفى فى حروب النصر ، وطاطات راسي فى معارك الهزيمـــــــة ووددت لو انحنيت امـام السلطان قطز اعترافا بفضله فى ابادة جنس التتـــــار من على ظهـــر الأرض ، وامـــام الملك الظـــــــاهر بيبرس ، البطل الذى جعل مصر منارة وحولها إلى قلعة ، وتمنيت لو كنت طبيبا لاقوم بتشريح قلب وعقل الزينى بركات الذى اشتغل مع عشرة حكام وجلس يصدر الاوامر والنواهى من نفس الديوان فى خدمة عشرة عهود . وكان دائما مع المطوك الحاكم وموظفا سابقا فى خدمة المطوك السابق ، وعلى راس حكومة المملوك الآتى !

وكان هذا الكتاب هو بابى إلى رحاب مصر المملوكية ، ومن بعـــده توغلت فى ازقتها ، وحواريها وقصورها ، وساحاتها . وكانت مكتبة محمد عودة المتنقلة من بنسيون لآخر هى زادى الذى تسلحت به فى رحلتى الطويلة الحافلة بالاسرار والحكايات والاعاجيب .

وذات مساء ، غادرت مقهى محمد عبد الله مع محمـــد عودة ، فى رحلة قصـــيرة إلى حي الدقي الفاخر ، باعتبار ما كان فى تلك الأيام ، كانت بالنسبة للعبد لله سهرة إلى مجهول . وعندما دخلت القصر الذى سنقضى السهرة فيه ، احسست برجفة وانتابتنى قشعريرة ، فلم يكن قد سبق لى الدخول فى مكان مثل هذا من قبل . قصر من القصور التى تظهر عادة فى السينما ، تحوطه حديقة مترامية الأطراف ، اشجار النخيل عالية ومتناسقة ، كانها صف من الجنود اختير بعناية لاستقبال عظيم ، ورائحة الورد يعبق فى الجو ، والاضواء التى تتلألأ من داخل القصر تضفى على الجو كله مزيدا من الفخامة والابهار ، وفكرت فى الانسحاب واعتذرت لمحمد عودة بحجج واهية ، ولكنه اصر على اصطحابى الى داخل القصر ، وبث فى نفسى الشجاعة ، وكسر الحاجز النفسى الذى كان يفصل بينى وبين هذا الجو الجديد . وعندما خطوت الخطوة الأولى داخل القصر ، اكتشفت عالما اخر لم اشاهده من قبل ، عالم من الراحة والرفاهية والثقافة والموسيقى ، عالم غريب خلا من العقد ومشاكل الحياة اليومية . عالم كنت محتاجا إليه لاعرف بالضبط ما يدور على الشاطىء الاخر من الحياة . ولكن ما دار داخل القصر تلك الليلة كان اغرب من الحقيقة ومن الخيال .

حالات تستحق التشجيع

كان القصر الذى دخلناه اية فى الترف والاناقة والجمال ، ولم اكن قد رايت قصرا مثل هذا قط ، ولم يكن فى القصر سوى سيدتين المانيتين فى الخمسين من عمرهما وان كان يبدو عليهما انهما فى الأربعين . وقد سهرت تلك الليلة سهرة ممتعة استمعت فيها الى موسيقى بتهوفن وباخ ، وقد تبادلتا العزف على البيانو بينما كانت الانوار الخافتة تضفي جوا ساحرا على المكان .

وتناولنا عشاء شهيا ، وكان الحديث يدور بالفرنسية التى لا اعرفها ، واضطرت احداهما إلى التحدث معى بالانجليزية ركيكة ، ولكنها اضطرت إلى استعمالها مجاملة للعبد لله الذى كان يجلس اثناء الحديث كنور الله فى برسيمه :

كنت فى الثانية والعشرين من عمرى ، وكنت خجولا بالرغم من طموحى واقتحامى وقد نغص على خجلى تلك الليلة الرائعة ، والسبب أن هندامى لم يكن لائقا وحذائى لم يكن نظيفا ، وتصورت طوال السهرة ان السيدتين تحدقان فى ملابسى وتشمئزان من منظرى ، وعندما صارحت محمد عودة بعد السهرة بحقيقة إحساسى ، نظر نحوى باندهاش ، واكد لى انهما سرتا جدا لوجودى وانهما لم تلتفتا إلى شىء مما اعانيه ، وان هذا النوع من الناس لا يستوقفه منظـــر الانسان ولا هندامه ، وان الاوربيين خصوصا لا يقيمون وزنا لمثل هذه التفاهات التى تتحكم فى حياتنا وفى مصيرنا ايضا فى شرقنا السعيد !

وشحنتني كلمات عودة بثقة زائدة ، ولذلك كانت السهرات المتتالية ممتعة للعبد لله ، وقد تخلبت عن خوفي وخجلي ، واندمجت في الجو الجديد الذي قادني اليه محمد عودة . ولم اكن انا وحدي الذي يختصه عودة بهذه السهرات التي تفتح امام الشخص المبتدىء افاقا جديدة ، كان يصطحب معه في سهرات أخرى ، آخرين لهم نفس الظروف ، كان احدهم شابا ريفيا ساذجا ، وكان عندما يصاب بنزلة برد ، يلف حول رقبته منديل جيب ابيض مبللا بالماء ، عادة من عادات البيئة التي جاء منها الأديب الريفي اياه ، وكان العبد لله دائم السخرية من الأديب الريفي الشاب وبطريقته الخاصة التي يتناول بها الأشياء والحياة . وكان محمد عودة على العكس يرى في كل محاولة حالة تستحق التشجيع وبذرة تستحق الرعاية .

ولعل من اجل هؤلاء الشبان الذين يتزاحمون على ابواب الصحف ، ويقفون في طوابير أمام الحياة الأدبية ينتهزون فرصة ويتشبثون بامل . لعل بسبب هؤلاء ، كان محمد عودة مرفوضا عند اغلب ادباء الجيل الكبار ، فما من مرة دعي الى منزل احدهم ، الا واصطحب معه عددا من هؤلاء الشبان ، وكان بعضهم كما قلت ثقيل الظل ، ولم ينقطع عودة عن تلك العادة حتى الآن .

ما بعد الهزيمة

وعندما قامت حرب فلسطين تحمس لها عودة بشكل خاص ، كان يرى ان الحركة الصهيونية هي امتداد لكراهية أوروبا ومن بعدها امريكا للشرق العربي . عندما انتهت الحرب بهزيمة الجيوش العربية ، اصيب عودة بخيبة امل واعلن رفضه لكل شيء واي شيء ، كان مؤمنا بضرورة التغيير وحتميته ايضا . وكان مؤمنا بحزب الوفد ، ولكنه كان يائسا من استطاعة حزب الاغلبية القيام باي عمل حقيقي لقلب الاوضاع في مصر لصالح الناس ، كان يرى ان حزب الوفد قد ترهل ، وان الاجنحة المتصارعة داخله قد انتهت بهزيمة الاجنحة الشابة وانتصار جناح الكبار وابناء العمد والبيوتات العريقة في ريف مصر . وكان من رايه في تلك الايام ان المثقفين قد انفصلوا عن واقع الحياة في مصر ، وعاشوا فى بروج عالية وانهمكوا فى مناقشة نظريات لها وجود فى الكتب وان لم يكن لها وجود في حياة الناس .

وكان يرى ان الوقت قد حان لحسم الأمور لصالح الطبقات الفقيرة والمجهدة ، ولكن كيف ؟ كان عودة يردد في حيرة دائما .. سيحدث التغيير حتما ، ولكن كيف ومتى هذا هو السؤال .

وفجاة اختفى محمد عودة من القاهرة ، ومن مصر كلها ، طار الى الهند ليعمل هناك وغاب فترة طويلة ، وعندما عاد كان كل شيء قد تغير في مصر وفي عودة ايضا !

كان في مصر نظام جديد بقيادة مجموعة من ضباط الجيش،وطنيون بالتاكيد ، وان كانت السبل التي يسلكونها غير واضحة المعالم ، ولكن عودة كان متفائلا بالتغيير ، وكان يرى ان ابواب مصر قد انفتحت على افاق لا يعلم مداها إلا علام الغيوب ، ولكنها حتما ستتطور وتنتهي الى صالح الجماهير .

ولكن فجاة حدث لعودة ما حدث لكل المثقفين الوطنيين الذين ايدوا الثورة في بدايتها بالقلب وليس بالتقارير ، وكان اختلاف الضباط في القمة وصراع السلطة الذي نشب بينهم منذ اول يوم ، كان قد فتح بابا امام تسلل عناصر ترحف كالدود ، وتفح كالأفاعي ، وسيطرت هذه العناصر على معظم ضباط القيادة ، واصبح الشعار:من ليس معي ، فهو ضدي ، والقي القبض على عودة في ازمة مارس ١٩٥٤ ، وغاب شهورا في السجن ، وعندما عاد ، كان شديد القرف من كل شيء ، شديد القلق بالنسبة للمستقبل ، ولكنه لم يغير عاداته قط في الطواف بشوارع القاهرة نهاراً ، والتسكع في ازقتها ليلا ، والتهام الكتب التي بين يديه ، وتوزيع عطفه وحنانه على كل الذين يصارعون على بداية الطريق .

موقف وموقف

وفي عدوان عام١٩٥٦ ، كان محمد عودة معى فى بيروت ، والحق اقول انه الوحيد بين الجميع الذين كانوا هناك ، الذى لم تخطيء بوصلته هدفها قط ، اعلن منذ اول لحظة وقوفه الى جانب عبد الناصر وثورة مصر ، وكان يرى ان الغزو الفرنسي البريطانى سينتهى بدحره ، وان عهد كرومر قد ولى ، وان عصراً جديداً قد اشرق على العالم ، وان ثورة مصر كانت الناقوس الذي دق ايذانا ببدء العصر الجديد . وراح يكتب في الصحف ويناقش في الاجتماعات ، وعندما اصدرنا جريدة الجمهورية (طبعة بيروت) لم ينقطع يوما عن الكتابة ، ولم ينقطع يوما عن الحضور ، ولم يفتر حماسه في وقت تردد فيه اخرون انتظارا لظهور نتيجة المعركة . لم يكن احد منا يتقاضى اجرا ، ولم نكن نجد ما ناكله احيانا ، وكنا نتقاسم السيجارة اغلب الوقت ، وكان فى بيروت وقتئذ كاتب مصرى جهير الصمت ، شهير الاسم ، الى جانب عمله كاستاذ بجامعة القاهرة وكان ينزل في فندق فخيم ، ويعيش عيشة السواح ، وعندما طلبنا منه مقالة ضد الغزو ، اعتذر بانه مريض ولا يقدر على الكتابة ، ولكن عندما انتهت المعركة لصالح مصر ، ارسل الينا مقالا من نار ضد الاستعمار ، ومقالا اخر كله نفاق عن بطولة عبد الناصرورفاقه ، ولم ينس ان يؤكد للقراء ثقته المطلقة فى انتصار ثورة مصر . اغرب شيء اننا عندما عدنا الى القاهرة بقي محمد عودة في الظل وارتفع الاخر على راس الموكب وسافر على راس وفد مصري فى مهمة وطنية فى بلاد العالم ! وعندما جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن في عام ١٩٥٩ كان عودة موضع هجوم شديد من بعض التنظيمات السياسية ، لانه لم يذهب معهم الى السجن ، ورموه بكل تهمة ، واتهموه بكل نقيصة ، وبالرغم من ذلك ، ظل خط عودة هو الخط الوحيد الصحيح ، هكذا برهنت الايام بعد ذلك ، وبينما انزوى عشرات من الذين هاجموه وركبوا الموجة واحترفوا الهتاف ، ظل عودة يكتب ويقرا ، ويسحب وراءه جيشا من المواهب الجديدة ، مقتحما بهم الشبورات والغيومات ماسحا على جراحهم مشجعا اياهم بكلماته المتفائلة وثقته الزائدة بنضارة المستقبل وبالرغم من كل شيء .

درة ثمينة

كان عودة قد احدث دويا في مصر بكتاب صغير الحجم كبير القيمة عن الصين ، وكان بحق نموذجا فيفن الكتابة السياسية كما كان درساً في كيفية تحويل السياسة الى اشعار . كان مستوى رائعا لاول مرة فى العربية ، كان في مستوى ما كتبه ستيفان زفايج واميل لودفج ، وقد بهر الكتاب الجميع ، اليمين واليسار والوسط ، وكان كل ما تقاضاه عودة عن هذا الكتاب ثلاثين جنيها مصريا والشهرة والذكر الحسن ! وطبعا نشر من الكتاب عدة طبعات ، وبالرغم من ان عودة اصدر كتبا عديدة بعد ذلك ، إلا ان كتابه الاول عن الصين ظل هو درته الثمينة ، وبالرغم من نقائه واخلاصه وبراءته التي تشبه براءة الاطفال ، إلا انه لم يصل حتى في المهنة التي احترفها طويلا وعانى بسببها كثيرا ، وكان مؤهلا لها احسن تاهيل ومسلحا لها بكل الاسلحة ، لم يصل فيها الى بعض ما وصل اليه تلاميذه والذين تعلموا على يديه .

ملحمة وماساة

اذكر فى العام ١٩٦٧ انني ذهبت لمقابلة احد المسئولين ورشحت محمد عودة لتولى منصب رئيس تحرير جريدة لم تكن منتشرة ولم تكن مؤثرة وارتسمت على وجه المسئول علامة لم افهم مغزاها ، وتساءل فى دهشة ممزوجة بالاستنكار «محمد عودة !» ورحت استعرض تاريخ عودة واعدد ماثره ، وفى النهاية اكتفى بان هزراسه ولم يقطع بشيء وبعد هذا اللقاء بايام اختير صحفى باهت اللون والطعم ممسوح الاتجاه ، لم يكن يعرفه احد فى مصر خارج دائرة اسرته ، اختير رئيسا لتحرير الجريدة ، وبقى متربعا على قبرها ست سنوات طوال ، والسبب ان محمد عودة كان يعقد صلاته بالناس « اللى تحت » وكان عزوفا عن الاتصال بالناس « اللى فوق » لم يكن من شلة احد ، ولم تقع عينى عليه فى حفل رسمى ، ولم اشاهده قط فى مكتب مسئول ، ليس ترفعا من عودة او استنكارا او خصاما ، ولكن هذه هى طبيعته ، يختنق من الاماكن الرسمية ، ويضيق بالخطوات المنضبطة ، ويكره الانتظام فى صف ، واذا كان هو الكاتب الوحيد الذى لم يتربع على منصب فى عصر عبد الناصر، ولم ينم اجتماعيا إلا بالقدر الطبيعى والمرسوم ، فما حدث له بعد وفاة عبد الناصر يصلح ملحمة تحتاج إلى شاعر شعبى ومطربة شعبية ليطوفا بها فى الاسواق ، وليقصوا احداثها على مسامع الفلاحين فى الحقول ، وهى الملحمة التى انتهت بماساة ونزول عودة ضيفا على السجن وهو فى سن المعاش ، ولكن تلك الايام التى قضاها محمد عودة فى مصر بعد وفاة عبد الناصر وحتى لحظة دخوله السجن ، كانت هى اكثر ايامه حركة واشدها حرارة ، واغزرها انتاجا ، واثقلها مصائبا ، واعنفها احداثا ، ولكنه ظل متشبثا بالارض ، لم يفكر مرة واحدة فى ان يغادرها إلى الخارج ، واعتصم بالله والوطن وباهله من ابناء الشعب ، ولكن هذه قصة اخرى .

محمود السعدني



● الكجور الكبير عند قبائل جنوب السودان معناها : الساحر الكبير ، وعبارة « الكجور الكبير » مشهورة ومعروفة فى السودان كله .

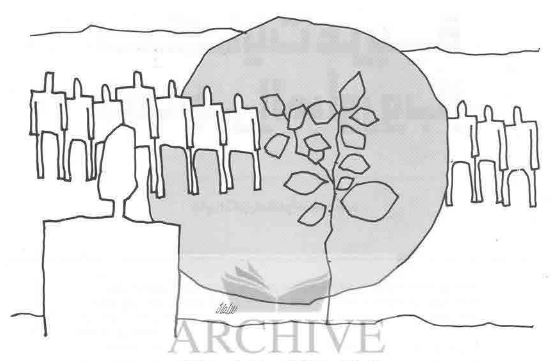
قصة بقلم : علي حمد إبراهيم

قلت لك ان ذلك حدث بالفعل ، وبمثل تلك التفاصيل تماماً . تعرف المدينة الجميلة جيداً . انها لا تزال تتوسد ضفاف البحيرة المدهشة ومازالت تحتضن تلالها المحيطة بحرص شديد ، كمن يخشى على ذلك الجلال من الضياع . وجدان تلك المدينة الافريقى تعرفه وخاطرها المرهق بالذكريات والشجون . شهور عديدة منذ ان وضعت الحرب اثقالها . لقد سكتت المدافع المجنونة عن الهدير ، ولكن المدينة المرهقة لم تسكت عن الأنين والبكاء . لقد كان الأرث الحربى عظيماً ، وباعثاً على الاحتراق والتلاشى . انها لم تزل تحدث بصور الرعب الذى اصاب الناس ، وبجنون الرصاص الطائش . ولان فضاء المدينة مازال مشحوناً بالخطر ، فان عدداً قليلا من الناس استطاع أن يتغلب على مخاوفه ويعود . طرقات المدينة التى تعرف ازدحامها مازالت موحشة الا من عدد قليل من بعض الغرباء والقطط البدينة . لعله توافق غريب حقاً .

صحيفة المدينة الوحيدة مازالت تنشر على الناس صور الدمار والقتل الذى اصاب المدينة . هى تفعل ذلك منذ بعض الوقت لاقتناعها بان معظم قرائها لم يكونوا من شهود العيان للذى حدث فى المدينة . فقد هربوا منذ الطلقة الأولى الى اماكن تامن الأرواح فيها عاديات الموت القصير .

الصور التى تنشرها صحيفة المدينة معبرة وناطقة بشكل غير عادى ، فهى تعطيك انطباعاً بان جميع المقتولين ماتوا وهم يضرعون لقاتليهم او كانوا يحاولون استخراج صرخة مكتومه لحظة وقوع القتل ايديهم ضارعة الى أعلى فى توسل ورجاء ضائع ، وافواههم فاغرة يصفر من خلالها الريح . استوقفتنى من تلك الصور صورة راهب المدينة العجوز . لقد قتلوه فى منتصف الليل تماماً . ساعة الحائط القديمة كانت تعمل بعناد لحظاتها رغم تطاير زجاج واجهتها الامامية شظايا على ارضية الغرفة . وكانت (داليا) خادمته شاهدة العيان الوحيدة . لقد القت نظرة خائفة على سيدها الذى تكوم على الارض فى بركة من الدماء والقت نظرة اخرى على ساعة الحائط بعدها بثوان قليلة حملوا جثته خارج المنزل . كانوا مجموعة من الملثمين المدججين بالسلاح يرطنون لغة محلية لم تستطع استيعابها بالكامل . ولكنها استطاعت ان تلم ببعض العبارات التى تمجد (كالومى كوار) كجور القرية الكبير الذى قتلوه فى عقد مضى من الزمان ، قالوا ان الجماعة لم تقتله بيدها ولكنها جندت من قام بالقتل بصورة بشعة . نحن فى الغابة والجبل لم نكن نعرف هذا عندما كنا امة عذراء تعيش سلوك الغابة والجبل . أربعون عاماً قضاها الرجل العجوز فى المدينة يعلم الناس طقوس الحب .

والامل كان يدعو الناس لنصرة الضعيف والملهوف . اذكر ذلك الدرس اليومى الذى كان يعطيه للناس كل مساء . اذكر على وجه التحديد ذلك الجدل الذى ثار بينه



وبين ابى ، ذلك الشيخ المقيم على دينه بيقين قاطع كان الـــراهب يقـول ان اى انسان لم يكن فى الاساس مجرما ، ولكن ظروفا اجتماعية هى التى تجبر الناس ان يصبحوا مجرمين . كان الراهب العجوز يدعو الناس ان يكونوا رحمـــاء بالمجرمين بسبب هذه القناعة . فقد كان

يقول ان المجرم الحقيقى هو الذى يرتكب جريمته وفق حسابات لا يمكن إلا ان تكون دقيقة وماكرة . ان مثل هؤلاء المجرمين لا يسلمون رقابهم لمقاصل العدالة كما تسلم الشياه رقابها لقصابى الدرجة الرابعــة الذين لا يحسنون حتى الذبح . ابى كان لا يعجبه هذا العطف على بعض المجرمين المجرم فى نظره مجرم تحت جميع الظروف والاعتبارات ويجب ان يؤخذ بقوة حتى يجتث الاجرام من الغابة والجبل ، ولكن الراهب العجوز كان يرد بان المجتمعات

الانسانية باشرت هذه القسوة مع المجرمين فى كل العصور ومع ذلك لم تســتطع المجتمعات ان تجتث من على الارض الاجرام او المجرمين ، اذكر ذلك الجدل قلت لك . واذكر ايضا ان غالبية الحاضرين كانوا يميلون الى رأى الراهب العجوز . .. ولكنهم قتلوه ببشاعة فظيعة . نحن فى الغابة والجبل لم نكن نعرف كيف نقتل بهذا الاسلوب . لقد رفض ان يســـلم (كوامى) لمطارديه وقد احتمى ببيته . لماذا تقتلون (نومى) المسكين . لأنه من اهل الطاغية . انها جريمة كبرى بالتاكيد » . كان يتوجب على اهل الطاغية ان ينجبوا رجلا أقل سوءا من ذلك الطاغية البدين . الرجل الملثم الذى كان يطارد (كومى) قال ذلك ولما ضحك زملاؤه فى الجريمة قال انه لا يمزح ونعى عليهم انهم دائما ياخذون ملاحظاته ماخذ الهزل . وكذلك اليوم الذى وعدهم فيه بانه عندما تحين الفرصـــة سيعلق حبل المشنقة حول رقبة الطاغية البدين بصورة افضل من الطريقة التى علق بها رجال ذلك الطاغية حبل المشنقة حول رقبة ابن عمه الكاردينال . فى المحكمة وقف المتهم الاول يدافع عن نفسه ، قال ان اهل الراهب العجوز خدعوا اهله فى وضح النهار تماما . جـــاؤا اليهم بذلك الكتاب ، وما هى الا ازمان قصيرة حتى اخذوا الارض واعطوهم فى مقابلها ذلك الكتاب . ثم اخذوا يغتصبون كل شيء .. الخيرات كبيرها وصغيرها ، وكذلك النساء . وقال ايضا ان اهل الراهب علموا اهله المسكنه حتى صاروا كالخراف الاسترالية : تاكل وتنام فينمو لحمها وشحمها ولا يكون فى مقدروها الا ان تسلم رقابها السميكة للقصاب فى خنوع ، دون ان يكون فى امكانها ان تجعر حتى . ولكن الذى اثار المحكمة والحاضرين : ان المتهم اخذ يغنى لنفسه وهو يداعب ابنته الصغيرة التى كانت من بين الحضور وهى ترقد على احضان امها . كان يغنى ويتمايل فى غير طرب .. لقد تذكرت (داليا) كلمات الاغنية من جديد .. فقد كان المتهم يغنى للغابة والجبـــل .. ولكالومى كوار .. الكحور الكبير ..

منذ قرون وأوروبا تتلهف على أدب العرب

حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

بقلم: الدكتور الطاهر أحمد مكي

يتفق الباحثون الاوربيون ممن يحترمون موضوعية العلم، ومنهجية البحث ويرتفعون بأبحاثهم فوق مستوى العصبية ايا كان شكلها، على ان الحضارة العربية في أوج ازدهارها على امتداد القرن العاشر الميلادي، كانت وراء نهضة اوربا، ثم يختلفون في الطريق الذى سلكته الى بلادهم.

فالعالم الالماني «هانز بروتس» يرى ان الحروب الصليبية كانت العامل الوحيد وراء نمو أوربا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر، ومنها انبثقت كل العوامل التى ادت الى تكوين اوربا الجديدة، أوربا عصر النهضة، والاكتشافات، وعصر الاصلاح» ثم يشير ايضا الى أن اسبانيا وصقلية العربيتين كانتا مركزين هامين فى نقل التراث العربى الى اوربا، ولكنه سرعان ما ينسى رايه هذا، ويجعل من فلسطين المصدر الوحيد.

ولكن ارنست بيكر محرر مادة الحروب الصليبية فى كتاب «تراث الاسلام» الذى اصدرته جامعة اكسفورد الانجليزية فى الثلاثينات يرى «ان هذا الزعم باطل، لأن حركة المولدين والمستعربين فى اسبانيا وصقلية كانت اكثر نفاذا، واوسع محيطا، وابعد عمقا، ولو انه جاء متأخرا بعد ان حدث الاتصال بسبب الحروب الصليبية فعلا، على نحو او باخر. ويرى «ان اللاتينيين فى سورية لم يستطيعوا ابدا ان ينفذوا الى وهج الثقافة الاسلامية، على نحو ما فعل المسيحيون فى غربى البحر الابيض، ايام تالق حضارة قرطبة، وكل اسبانيا الاسلامية».

ويرى اخرون: ان الحروب الصليبية كانت عاملا الى جانب عوامل اخرى عديدة ادت الى يقظة اوربا بعد سبات عميق.

وبعيدا عن هذا الصراع، وهو قومى سياسى فى ابعاده. يضع فى حسبانه الاعتراف بدور اسبانيا، اسلاميـــة او مسيحية، فى نهضة اوربا او انكاره، يمكن القول إن الحروب الصليبية لعبت دورا حاسما فى الجانب الدينى، فهبطت بهيبة الباباوات الدينية. وهزت نفوذ طبقة الرهبان وغذت الشك، ودفعت بطبقات كثيرة الى التمرد على سلطان الكنيسة ولم تكن تجرؤ على فعل هذا من قبل.

وفى الجانب الاقتصادى والاجتماعى جاءت معها بمساواة اكبر بين الطبقات على نحو لم تعرفه اوربا من قبل، واوجدت طبقة من الفلاحين الاحرار ومن الحرفيين، وازدهرت الصناعة، ونمت التجارة، وانتشرت النباتات والحاصلات العربية، وشاع استعمال العقاقير المشرقية، والتوابل. وعرف الغربيون استخدام السكر فى الحلوى، وكانوا قبل ذلك يستخدمون العسل. وادخل الصليبيون العائدون الى بلادهم عادة فرش البسط والسجاجيد على الأرض، واستخدام الفراش، واقتناء الجواهر، وادوات الزينة والمساحيق، واشياء اخرى كثيرة.

وفى مجال السياسة ادت الحـــروب الصليبية الى قيام دول ذات سلطة مركزية وادارة منظمة، وقضاء مستقل، وكان ذلك امرا جديدا على اوربا فى العصور الوسطى لا عهد لها به من قبل.

لكن الاندلس، او اسبانيا الاسلاميـة اذا شئت، اخذت الحظ الاوفر فى مجال الادب والثقافة، لان انتشاره اذ ذاك كان يعتمد فى المقام الاول، على الرواية الشفوية، وينهض به الشاعر الجوال،

وتحمله الاغانى فى رحلتها من الجنوب الى الشمال ، او اهل الشمال حين يتدفقون على الجانب العربى فى الجنوب ، وهى امور لكى تعطى ثمارها تتطلب القرب والتواصل والتعايش والتعاطف ، وسهولة وسائل الانتقال ، وامنها ، وتوفير ادواتها ، وامتداد التلاقى واستمراره بين قطاعات عريضة فى المجتمعين ،وهو ما كان ممكنا فى الاندلس اكثر واعمق مما كان عليه الحال فى المشرق ومن هنا يمكن القول ان العناصر الثقافية التى تكونت منها الحياة العقلية الاوربية فى مجالات الفكر والفلسفة ، والشعر والقصة ، فى القرن الحادى عشر وماتلاه ، وحتى فى الادب المعاصر ، تعود فى جانب كبير منها الى الحضارة الراقية ، التى توهجت عند جيرانهم الاسبان المسلمين ، ومن هذه الأرض جاءتهم ، او على ايدى ابنائها تعلموا ، سواء كانت ابداعا اندلسيا اصيلا ، او مشرقيا وافدا .

ويمكن القول ان الشعر ، واعنى منـه الزجل بخاصة ، القناة الاولى التى تدفقت عبرها ملامح التاثير ، فهو مادة الغناء ، ووسيلة الترفيه الأولى فى بلد لم يعرف المسرح ، ولهذه الدواعى كان اكثر الوان الفنون رواجا ، الى جانب ان الزجل الاندلسى جاء فى عامية اهله ، وهى خليط من العربية واللهجات اللاتينية العامية التى كانت تتحدث فى تلك الأيام ، وكانت على نحو ما اللغة المشتركة بين سكان الاندلس كله ، جنوبه الاسلامى ، وشماله المسيحى ، ويمكن القول نفسه ، فيما يتصل بالغناء ، وحتى بين سـكان مقاطعـة برو فانس فى جنوب فرنسا ، فليس شرطا لكى تستمتع بالاغنية ان تعرف كل كلماتها بدقة .

وكانت قرطبة عاصمة الخلافة ، مهبط الراغبين من امراء الدول المسيحية واعوانهم ، والاغنياءوالتجار ، يبحثون عن كبار الموسيقيين والمغنين والراقصـات لاحياء حفلاتهم فى الزواج والانتصار ، او لتوشية قصورهم وحصونهم بالمغنيين والشعراء ، ولا يخالج اى باحث منصف الان الشك فى ان الزجل الاندلسى وراء ازدهار حركة الشعر البروفنسالى فى فجرها والتى حملت اسم شعر التروبادور ، وشملت القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين .

وثيقة هامة فى الحكاية

مع الشعر نفسه ، او بعده بقليل ، بدات رحلة الحكاية العربية ، ومع اننا ، كما هو الحال فى الزجل ايضا ، نجهل الخطوات الاولى ، لكننا لحسن الحظ نملك مع الحكاية وثيقة بالغة الاهمية ، لا تتوفر لنا مع الشعر ، تحدد الزمن الذى اتخذت فيه الرحلة طابعا كتابيا ، ونشير الى المكان الذى بدات رحلتها منه ، وعلى يد من تمت الرحلة .

اما المكان ففى مقاطعة ارجون شمال شرقى الاندلس ، واما الوثيقة فهى كتاب « تربية العلماء » والفه يهودى اندلسى يدعى موسى سفردى ، ولد عام ١٠٦٢ م ، ومات فى تاريخ غير معروف ، واعتنق الكاثوليكية فى مدينة وشقة عـام ١١٠٦ ، وحمل اسم بطرس الفونسو ، لان تعميده تم فى يوم عيد القديس بطرس ، وكان فى الرابعة والاربعين من عمره ، وربما كان ذلك بتاثير من رهبان دير كلونى ، وهم طائفة من رهبان الفرنسيين الكاثوليك المتعصبين ، دخلت الاندلس فى القرن الحادى عشر الميلادى ، فى مملكة ارجون اولا ، ومنها الى بقية ممالك الشمال المسيحية ، ومارست على الحياة فيها نفوذا هائلا ، فنشرت التعصب الذميم ، وكانت وراء اضطهاد غير المسيحيين وجمع كلمة النصـارى لمقاتلة المسلمين ، واذكاء روح العداوة والبغضـاء ضدهم ، والاستيلاء على مساجد المدن التى سقطت فى ايـدى النصـارى وتحويلها الى كنائس رغم كل المعاهدات التى وقعت مع المسلمين .

وقد تبناه الفونسو المقاتل ملك ارجون ، والف الى جانب كتاب « تربية العلماء » كتبا اخرى فى الفلك ، واشتهر بكتاب اخر ، جاء فى شكل حوار ، وفيه يدافع عن المسـيحيه فى مواجهـه اليهوديه ، ولكن اقامتـه فى الجـانب المسـيحى من الاندلس لم تسـتمر طويلا ، لاننا فيما بعـد سوف نلتقى به طبيبا لهنرى الاول ملك انجلترا (١١٠٠ ـ ١١٣٥) ، وكان الى جانب ذلك يتولى تدريس الفلك وتميز من بين تلاميذه الفلكى « ولتشر » رئيس دير ملفون ، ونقل الى هناك الادوات التقنية التى كان يستخدمها العلماء العرب مثل الاسطرلاب ومقياس الزوايا وغيرها ، ويهمنا من بين اعماله كتابه « تربيـة العلماء » .

يمكن القول ان كتاب « تربية العلماء » اول ماذاع فى اوربا المسيحية من القصص المستقى من اصول عربية ، وتدل الدلائل كلها على ان المؤلف كتب كتابه باللغـة العربية اولا ثم ترجمه بنفسه الى اللاتينية ، لان الاسلوب ، وبناء الجملة ، يحمل خصائص العربية ونسقها فى وضوح وهو مجموعة من القصص العربية القصيرة ، يختلف عددها من طبعة الى اخرى ، فاقلها ثلاثون ، واكثرها تسعة وثلاثون ، واعطاها العنوان الطموح الذى اشرنا اليه ، ورغم ان كلمة « كلريكالس » تعنى فى المفهوم المعاصر « الدينية » ، لكن الرجل لم يرد بها هذا المعنى الذى يرد فى الخاطر الان ، وانما اراد بها معناها الذى كان رائجا فى العصور الوسطى ، وهـو « العالم » فى مواجهة العامة ، لانه بالكاد يحمل ملامح مسيحية اذا استثنينا المقدمة والعنوان .

ومع ذلك يمكن القول إنه توجه بكتابه هذا الى رجال الدين بوصفهم الطبقة المثقفة الاولى على ايامه ، والى العلماء فى الدول المسيحية ، وكان واثقا من ان الجو العربى الذى قدم فيه الكتاب لا يصدمهم ، او يثير فيهم النفور والاشمئزاز ، وانما على النقيض ، يبـدو لهم جوا مهابا ، وعالما جذابا ، لما كانت عليه الحضارة العربية اذ ذاك من رقي وازدهار ، ولم يدع ذلك لاستنتاج القارىء وذكائه ، وانما اشار اليه صراحة فى مقدمة الكتاب فذكر انه صنفه من امثال العرب ومواعظهم ، وحكم الفلاسفة ، والخرافات التى على لسان الطير والحيوان مما كان شائعا بينهم ، وكل ذلك لكى يتذكر الرجل العالم ، فى لطف ، كثيرا مما كان نسيه ، ويتربى ، ويتهذب ، ويتعلم .

ويتمثل الاطار العام الذى ضـم هـذه الحكايات الخرافية فى ان والدا اسماه « العربى » دعا ابنه فى لحظة احتضاره ليقدم له النصيحة ، وكما هو الحال فى معظم القصص العربية والمشرقية فى العصر الوسيط ، وفى الامثال والحكم ، تنطوى دائما على معنى ظاهر غير مراد فى

حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

كثير من الأحيان وعلى آخر خفي يلتقط من الفحوى ، وابعد من المعنى المباشر ، وهو الذي تهدف اليه .

مقارنة عاجلة

لم يدرس احد بعد مصادر الكتـاب منهجيا ،وفى دقة واناة ولكن المقارنة العاجلة بين حكاياته ، وبين الكتب العربية التي ترجمت الى اللغة اللاتينية او العبريـــة ، او اللغات الاخرى ، في القرن الذي عاشه بطرس الفونسو ، وهو الثاني عشر الميلادي او القرون التي تلته ، يمكن أن تعيننا على تحديدها ويمكن القول ان كليلة ودمنة في مقدمتها ، فقد نقل عنه معظم الكتاب ، ولابد انه قراه في اللغة العربية ، لان اول ترجمة لكليلة ودمنة في أوربا تمت في ايطاليا ، وكانت الى اللغة العبرية ، وقام بها يهودي اعتنق الكاثوليكية يدعى جويل ، وشاعت في اول القرن الثاني عشر الميلادي ، اي انها كانت معاصرة لصاحب « تربية العلماء » ، وعنها تمت ترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية في اسبانيا ، في اواخـــر القرن الثالث عشر ، وقام بها يهودي اخر اعتنق الكاثوليكية ايضا ، ويدعى خوان دي كابو ، غير ان الاسبان عرفوها قبل هذا التاريخ في لغتهم العامية ، في الترجمة التي امر بها الفونسو العالم ملك قشتالة عام ١٢٥١ م ، وهي أكثر دقة وامانة ، لانها من العربية الى القشتالية مباشرة ، في صورتها العامية ، قبل أن تصبح اللغة الاسبانية .

والمصدر الثاني لهذه الحكايات كتاب السندباد ، وعبر الى اوربا في شكل حكايات مستقلة ، قبل أن يصبح جزءاً من الف ليلة وليلة ، عن طريقين : اولهما غربي ، عن طريق ترجمة يونانية ، اعتمدت السريانية ، التي كانت بدورها ترجمة لأصله العربي ، وعرفت منذ اواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، اي عاصرت مؤلف كتاب « تربية العلماء » ، وترجمت بعد عصره كاملة او منقوصة الى القشتالية ، والعبريـــة ، والقطلونية . والطريق الاخر مشرقي ، وفيه ترجمت الى اللغات الأوروبية عن أصول فهلوية ، وفارسية ، وعبرية ، واسبانية ، وضاعت هذه الأصول كلها ، ما عدا الأصل الاسباني . وأمر بنقل هذه القصص من العربية الى الاسبانية الدوق فدريك اخو الفونسو العالم ، فنجزت الترجمة عام ١٢٥٣ ، وجعل عنوانها « مكايد النساء وحيلهن » .

وصورة الكتاب في اصله العربى ، او في ترجمته الاسبانية ، تضم ستاً وعشرين حكاية فحسب ، تربط فيما بينها حكاية واحدة اساسية ، على نحو ما في الف ليلة وليلة ، وملخصها : ان فتى اتهمته زوجة ابيه بمحاولة اغتصابها ، فقضى ابوه بموته . ولزم الفتى الصمت ، وأجل تنفيذ الحكم سبعة ايام دارت المناقشات خلالها بين زوج الأب وسبعة من العلماء ، ومضى هؤلاء يقصون قصصاً تدور حول مكايد المراة وحيلها وشذوذ طبعها ، وفي اليوم الثامن تنتهي المهلة التي كان طالع الفتى قد انذره بشر مستطير ان تكلم خلالها ، ويباح له الكلام ، ويخرج عن صمته ، ويظهر لأبيه الملك براءته ، فيعفو عنه ، ويلقي بزوجه في النار .

وهي قصص سطحية ، خفيفة ، لا تبلغ حد الخبث الجاسي الذي نجده في الخرافات الفرنسية ، او القصص الوقح الذي نجده عند القصاص الايطالي بوكاشيو ، ولكنها مع ذلك ذاعت ذيوعا عظيما ، وترجمت الى العديد من اللغات الاوربية ، وسلكت طريقها في القرن التاسع عشر الى الاتجاه الرومانسي ، واصبحت تكون جانباً من قصصه ، في صياغة حديثـة .

ويمكن ان نعد من اصوله ايضا قصة « بولعام ويواصف » وهو كتاب تقبلته لغات كثيرة ، وعقائد متنوعة ، وكان دليل الحياة الزاهدة للبوذيين وللمسيحيين والمسلمين واليهود ، ولا يقف تاثيره عند الاسطورة الرئيسية فحسب ، وانما يتجاوزها الى الامثال الكثيرة التي تتناثر عبر النص ، وتمس الكثير من جوانب الحياة . والارجح أن القصة هندية ، وسلكت طريقها الى الفارسية ، ثم الى العربية ، وقام بترجمتها من السريانية الى الاغريقية راهب يدعى يوحنا ، في مطلع القرن السابع الميلادي ، في دير بالقرب من القدس ، وعنه انتقلت الى عدد من اللغات الأوربية ، وبلغت اسبانيا في زمن مبكر ، وقد ترجمها يهودي من برشلونة يدعى ابراهام بن حـــداي الى اللغة العبرية ، في كتابه « ابن الملك والدرويش » ، في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، واضاف عددا من الأمثلة لاتوجد في الأصل ، ووصلت إلى اللغة العربية في زمن قبل هذا ، وعنها انتقلت الى اللغة القشتالية ، فنجدها في كتاب « الاحوال » الذي الفه خوان منويل عام ١٣٣٢ وفي قصة « الفارس السفار » ، وكتبها مجهول في الفترة نفسها ، اعني مطلع القرن الرابع عشر الميلادي . ولكن الأصل الاندلسي الذي نقلوا عنه لما نعثر عليه .

والقصة في صورتها البدائية ، موجزة وقبل ان يلبسها أهل كل دين الثوب الذي يريدون - وموجزها ان ملكاً ولد له ابن ، فتنبا له حبر منجم بانه اما ان يبلغ مجداً خالداً ، ويصبح ملكاً عظيما ، او انه سوف يتنازل عن العرش ، ويعتزل الناس في صومعته ، ويصبح بوذا . ومن هنا حاول الوالد بكل الوسائل ان يجنب ابنه الشق الثاني من النبوءة ، فعزله في حدائق قصره واحاطه بكل المتع الحسية التي تحول بينه وبين الفكر والتامل ، وتشده الى اللذات والبهجة وتجعله يجهل حقيقة المرض والشيخوخة والموت ، وتحجب بصره عن كل تعاسة في الحياة ، ولكنه خرج يوماً من سجنه الذهبي ، فاذا به أمام اللقاءات الثلاثة الشهيرة : الهرم المريض ، وميت يحملونه الى القبر ، وزاهد شحات .

وتظهر في بعض فصول الكتاب اسماء افلاطون وسقراط وديوجين ، والاسكندر الاكبر ، ولكن ذلك لا يعني تاثيراً اغريقيا او لاتينياً مباشراً ، لأن هذه الاسماء معهودة لعرب العصر الوسيط ، ويتداولون اسماءهم كثيراً ، وارجح الظن عندي انه اعتمد فيما نقل عنهم على كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » لمؤلفه ابي الوفاء المبشر ابن فاتك ، وعاش في مصر الفاطمية في القرن الخامس الهجري ، والحادي عشر الميلادي ، وهو اوفى كتاب في العربية استقصى اقوال الفلاسفة والحكماء في القديم وعلى ايامه ، ويشغل فلاسفة الاغريق مساحة عريضة من صفحاته ، ورغم انه يعود الى نفس القرن الذي عاش فيه بطرس الفونسو مؤلف كتاب « تربية العلماء » ، الا انه سبقه في الحياة وفي التاليف .

وقد نال كتاب « مختار الحكم » شهرة واسعة فى حياة صاحبه ، فيما يبدو ، وكما سنرى ، وتمت اول ترجمة له الى اللغة الاسبانية ، ووصلنا نصها ، فى عصر الفونسو العالم (١٢٢١ ـ ١٢٨٢ م) ، وترجم فى الوقت نفسه الى اللغـــة اللاتينية فى ايطاليا ، على يد جوانس دى بروشيدا (١٢٢٥ ـ ١٣٠٢ م) وكان طبيباً وحاكماً على جزيرة بروشيدا ، ومتامراً فى السياسة ، وعاش فى بلاط فردريك الثانى ، وكان حافلا بمن يعرفون العربية ، ويرجح الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى ، انه

اتم الترجمة وهو مقيم هناك .

ولكن تاخر الترجمة لا يعنى ان اسبانيا لم تعرفه قبل القرن الثانى عشر لان الترجمة تتم عادة بعد ان يشيع الكتاب فى لغته الاصلية بين من يعرفونها ، ويتسع صداه بين من لا يعرفونها ، وتصبح البيئة العلمية مهياة لاستقباله مترجما ، والترحيب به . وارجح ان الكتاب عرف قبل ذلك بكثير ولا استبعد ان يكون ذلك فى حياة مؤلفه فى القاهرة ، وان بطرس الفونسو اطلع عليه فى اصله العربى ، وافاد منه ، وهو ظن يرجح به ، ويدعمه ما يذهب اليه العالم الفرنسى جاستون بارى ، المتخصص فى دراسات العصر الوسيط من أن هناك ترجمة بروفنسالية للكتاب ، تعود الى القرن الثانى عشر ، جاءت منظـومة فى البحر السداسى ، وقام بها من يدعى بالدو بعنوان « ايسوب الجديد » ، وانها تمت من اصل لاتينى سبق ، كان ترجمة ماخوذة من الاصل العربى مباشرة .

اتجاه غير عربى

لم يخف بطرس الفونسو ان كتابه يقوم على اصول عربية ، وكان واثقا ان مثل هذا التصريح يعطى الكتاب مزيداً من الشعبية ورغم نفور رجال الدين منه ظاهراً ، فقد كانت الثقافة العربية على ايامه فى أوجها ، فى الاندلس وفى مصر ، وفى المشرق على السواء . وهو لا يشير الى المسيحية فى ثنايا الكتاب ، باستثناء المقدمة ، وعنوانه بترجمته الحرفية هو « التربية الدينية » ولكن كلمة الدينية لم يكن يقصد بها على ايامه رجال الدين من احبار وقسس ورهبان وانما كانوا يعنون بها ما تعنيه الكلمــة الانجليزية الآن من رجل عالم او باحث او اديب ..

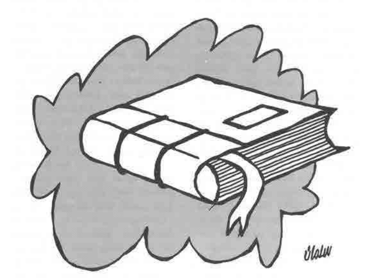
ويسمى بطرس نفسه « خادم المسيح » ويقول فى المقدمة إنه الف الكتاب لكى يعرف المرء كيف يمضي حذراً فطنا فى هذا العالم ، على نحو افضل ، وبذا يامن السلامة فى الدنيا ويربح الجنة فى الآخرة ويرى من الضرورى أن يشير فى اخر مقدمته الى ملاحظة حذرة : « ان من يتصفح هذه الرسالة بعينى انسان ، وياخذ بظاهرها فحسب ، سوف يجدها شيئا غير مناسب ، وحينئذ انصحه بان يقراها من جديد ، بعينين اكثر نفاذاً وفطنة » .

والحق ان اكثر هذه الحكايات ابعد من ان تبنى معها اخلاق ، او يؤمل اصلاح ، فست حكايات منها ، هى اطولها - وتمثل خمس الكتاب تقريبا - تدور حول اظهار خبث المراة ومكرها وخيانتها ، وهو اتجاه ليس عربيا فى اصوله ، وانما يعكس خصائص الادب الهندى ، وقد وفد الينا من هناك ، وسلك طريقه الى الأدب الشعبى فى العالم العربى ، وهو جانب لما يدرس فى تاريخنا الادبى . ولايقف بطرس عند هذا الجانب ملمحا او مشيرا ، وانما يفيض فيه ويطنب على ما سنرى ، وبخاصة ما اتصل منه بالجوانب الخاصة بخداع الزوجة لزوجها والمكر به .

كان بطرس يدرك واعيا انه يلتقط من الادب العربى موضوعا لا يرحب به كثيراً رجال الدين المسيحيين على ايامه ، ويفضلون الا يكتب احد عنه والا يجرى الحديث حوله ، فقد كان المالوف بينهم انهم يفضلون أن يديروا ظهورهم لما يجرى فى الواقع ، شائعا او نادرا ، وان يخلصوا جهدهم لما يجب أن يكون عليه الحال ، ممكن التحقيق او عسيرا ، او يدخل فى دائرة المستحيل ، وبخاصة أن بطرس لم يكن كاثوليكيا خالصا ، وانما يهودى اصلا اعتنقها من قريب ، مما يلقى عليه كثيرا من الشبهات ، لان عدداً كبيراً من يهود العصور الوسطى اعتنقوا المسيحية فى اوربا تخلصا من الاضطهاد ، وهروبا من الملاحقة ورغبة فى الأمن ، وتحقيق غاياتهم البعيدة الى جانب ما يهدفون اليه من تدمير هذه المجتمعات من داخلها .

وايا ماكان فقــد استخدم ثقافتــه العبرية السابقة ليحصن بها نفسه فى مواجهة اى اتهام يوجه اليه ، فاتكا على التوراة ، والبس حكاياته ثوبا اخلاقيا ، وذكر بان نبى الله سليمان لعن المراة الشريرة ، وفى الفصل الخاص بالامثال الســائرة ، واورده فى اخر الكتاب ، جاء باثنين وعشرين مثـلا في مدح المـراة الفاضلة . ومع ذلك فالكتاب في مجملــه يتحامل على المراة بقسوة لا مبرر لهــا ، ويخرج القارىء منه ، وهو على يقين بان المؤلف يكره النساء . وابعد ما يكون عن امثال سليمان ، التي تضع دائمــا المراة الفاضلة القوية في مواجهة المراة الخبيثة الشريرة ، ومن حق الأولى ان تجد من زوجها الحمد والشكر ، ومن قومهـــا الرعايــة والتمجيد .

ولتكون لدى القارىء فكرة عن موقفه من المراة ، وعن طريقته الخاصة في القص ، اقدم ترجمة حرفية للحكاية العاشرة من كتاب « تربية العلماء » وتجيء مسبوقة بمقدمة وعظية بليغة ، على طريقة العصور الوسطى ، وحين يشعر القاص بان



حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

الجمهور ، قارئا او مستمعا ، تغشاه السام واعتراه الملل ، يلقي اليه بالحكاية ، فيستعيد معها نشاطه ، ويسترد اهتمامه ، ويتابع القاص يقظا متحمسا :

« ذهب رجل في رحلة الى الخارج ، واوصى حماته بزوجته خيرا ، وفي غيبته احبت الزوجة رجلا اخر ، وافضت بذلك الى امها ، فاشفقت هذه على ابنتها ، وساعدتها في حبها ، ودعت حبيبها الى وليمة معهم ، وبينما ثلاثتهم ياكلون وصل الزوج فجاة ، وطرق الباب ، فاسرعت الزوجة وخبات حبيبها في غرفة النوم ، وفتحت للطارق فاذا بها امام زوجها .

وما ان دخل الزوج من الباب حتى امر بأن يعد له سرير نومه ، فهو متعب من الرحلة جدا ، فاضطربت الزوجة ، ولم تدر ماذا تفعل ، ولكن الأم توجهت اليها : لا تتسرعي يا ابنتي باعداد السرير ، فبله يجب ان يرى زوجك المفرش الجديد الذي طرزناه .

وجاءت العجوز بمفرش ، ورفعته من احد اطرافه ، واعطت الطرف الآخر لابنتها كي ترفعه ، ومن وراء المفرش مرفوعا بين الاثنين لبراه الزوج ،هرب الحبيب المختفي وهكـذا سخرت من الزوج ، وحينئذ قالت لابنتها : هيا ، افرشيه على سرير زوجك ، ثم اتجهت اليه :

- لقد صنعناه معا بيدي ويدها !

وقال الزوج :

- وهل تعرفين ياسيدتي كيف تصنعين مفارش جميلة مثله ؟!

- اه يابني ! ، مفارش كثيرة مثله صنعتها بيدي هاتين !

والقصة كما ترى موجزة ، وسريعة ، تهتم بالجوهر ، ولا تقف عند التفاصيل .

ترجمة الحكايات العربية

هذه الحكاية بالذات اشتهرت اكثر من غيرها ، واخذت طريقها الى المختـــارات القصصية في العصور الوسطى في كل اللغات الأوربية تقريبا ، وظلت تتردد على نحو واسع في الشفاه والكتب حتى القرن الخامس عشر ، واشهر مجموعات الوعظ والخطابة ، واكثرها شيوعا ، والفت في انجلترا وفرنسا في مطلع القرن الرابع عشر وجعلت منها حكاية رمزية ، فالرجل الذي رحل الى الخارج هو كل مسيحي ، لأن الحياة في هذا العالم الفاني رحلة الى الآخرة ، وامرأته رمز الشهوة والرذيلة ، وعودة الزوج الغائب رمز « الندم والتوبة والصيام والصلاة » ، والحماة السيئة رمز المعصية ، تعمي الانسان بمفرش العبث والشهوات ، وهكذا كل تفصيلات القصة اصبحت رمزا لخدمة الوعظ الكنسي وسوف نلتقي بالحكاية نفسها يرددها ثرفانتيس ، اديب اسبانيا الكبير (١٥٤٧ - ١٦١٦ م) في قصته « العجوز الغيور » .

اما حكاية الشاب الغيران الذى يحبس امراته في برج ، ويغلق عليها الابواب ، فتتركه في الطريق ، وتابى ان تفتح له الباب ، فسوف تصبح موضوعا محببا الى كثيرين من الكتاب فيما بعد ، وسوف نلتقي بها في الحكايات الخرافية الفرنسية ، ونجدها في مجموعة « الصباحات العشر » للاديب الايطـــــالي بوكاشيو (١٣١٣ - ١٣٧٥ م) ، وفي مشهد من مسرحية « جورج وندان» للكاتب الفرنسي موليير (١٦٢٢ - ١٦٧٣) ، وانتقلت كذلك الى المسرح الشعبي الانجليزي ، وبين دعاة المثالية بخاصة ، كي يستخدمها رجال الدين المخلصين في تربية اتباعهم وتهذيبهم .

وثمة حكاية اخرى تدور حول الاخلاص في الصداقة حتى الموت ، وبطلها تاجر من بغداد واخر من القاهرة ، ونجد صداها في كتاب « الكوند لوكارنو » لمؤلفه خوان منويل (١٢٨٤ - ١٣٤٨) ، وهو حفيد الفونسو العالم ، ملك قشتالة الذى ازدهرت الترجمة من العربية في ايامه ، وتحت رعايتــه وبتشجيع منه .

ونلتقي بمصر للمرة الثانية بوصفها حلقة اتصال بين مغرب العالم الاسلامي ومشرقه ، حين نجد حاجا اندلسيا يودع كل ثروته امانة عند صديق له في القاهرة ، وهو في طريقه الى الحج . واما الحكاية السادسة فقد تناولت رسالة ارسطو الى الاسكندر الاكبر ، وتدور الحكاية العشرين حول طائر صغير يبحث عن الحرية ، فيحتال على الفلاح بعبارات ذكية ، حلوة عذبة ، حتى يفلت من الأسر ، وغيرها .

لقد كان بطرس الفونسو جريئا عندما اقدم على ترجمة الحكايات العربية دون ان يخفي اصلها ، او يلقي عليه ستارا ، وكان مراوغا حين قدمها نموذجا لأخلاق مسيحية ، من سار على هديها ربح الآخرة . وبهذا جعل الكتاب مرجعا هاما لكل خطباء الكنيسة ووعاظها ، يقتبسون منه ، وكان ذلك مصدر نجاحه الذي لا يبارى .

والى جانب ذلك لقي الكتاب باجمعه اقبالا شديدا من الناس عليه ، وذاع في بلاد شتى ، وترجم كله او بعضه الى العبرية ، وكبريات اللغات الأوربية ، كالفرنسية ، والانجليزية ، والألمانية والايطالية ، والاندلسية والقطلونية . بل ان لهجات مغمورة ، حظها من الأدب والثقافة متواضع جدا تملك ترجمة لهذا الكتاب المثير ، مثل لهجة « بيارن » ، وهي مقاطعة صغيرة في جنوب فرنسا ، تقع شمال جبال البرانس ، على الحدود بين اسبانيا وفرنسا وقد تلاشت لهجتها الآن تماما ، وظلت مخطوطة الترجمة قابعة في مكتبة مدريد الوطنية ، وظل الباحثون يعتقدون لزمن طويل انها في اللغة القطلونية ، ثم تبين انها كتبت في اللهجة المحدودة الانتشار جدا .

الأعلى صوتا

لقد لقي الكتاب من اقبال الناس عليه ، ومن ذيوعه في شتى البلاد واللغـــات ما تحسده عليه الكتب الكبرى ، لأن القراء وجدوا فيه حكايات صيغت في جنس ادبي جديد ، كان مجهولا لهم تماما ، ولم يتخلف عنه من الأدب الاغريقي او اللاتيني شيء يستمتعون به او يقلدونه ، وسعدوا بحكايات تصور عالما جذابا في غرابته وطرافته ، وتقوم المسئولية فيه على اساس من المزاج العربي والفلسفة المشرقية . ومن المؤكد ان الاقبال عليه كان شديدا للغاية لأن الناشرين المحدثين عندما قرروا طبع الكتاب وجدوا بين ايديهم قرابة ستين مخطوطة له ، تعود الى عصر لم تكن فيه اوربا تعرف المخطوطات على هذا النحو او تعنى بها ، وكان تداولها وقفا على رجال الدين ، وهم الذين يقراونها ويتداولونها ، وكانت مخطوطات الكتاب موزعة على خريطة اوربا كلها ، من برشلونة في اسبانيا حتى كركوف في بولندا ، ومن روما في ايطاليا الى اوبسالا في السويد .

وسبق كتاب « تربية العلماء » بقية المؤلفات العربية الأخرى ، مثل السندباد ، وكليلة ودمنة ، في الترجمة والتأثير ، وكان اعلى صوتا من بقية المجموعات الأخرى ،

وكالاغنية تماما ، اجتاح الحواجز والحدود بلا صعوبة ، وانتشر بلا عوائق ، وبعضهم اخذه كلا ، فقد ضم سانتشيث دي فرثيال مادته الى مؤلفه « كتاب الأمثال » ، مع تغيير في ترتيب الحكايات فحسب ، ونجد الجانب الاكبر منه في كتاب ايزوبيت المؤرخ الذي أمر بترجمته الأمير دون انريك ، دوق شقرب ، ونائب الملك في ارجـون ، وكان تقليدا لمجموعة لاتينية قام بها الالماني شتينهوفل ، ظهرت طبعتها الأولى في تاريخ نجهله ، ولكنها على اية حال لايمكن ان تذهب الى ابعد من عام ١٤٧٤ م .

وتتبع الذين نقلوا عنه ، او تاثروا به ، فوق طاقة مقال واحد ، لان صداه لا يقتصر على كبار الكتاب وحدهم ، وانما نجده عند كثيرين مغمورين ، بعضهم اخذ عنه نصا ، وآخرون طوروا حكاياته لحسابهم ، وقلدوه في بنائه الفني ، فهو يسلك الايجاز في قصصه ، ويعني بالربط الذكي بين تفصيلاتها ، وخارج هذا قلما يعني بالشكل ويستطيع اي قارىء ، او قاص اخر ، او ناسخ ان يضع القصة في النطاق الذي يريد ، فاعانه هذا على ان يتكرر وينتشر ويصبح مغنما للاقتباس والتقليد .

وكما شاع في العصور الوسطى مخطوطا ، توالت طباعته في العصر الحديث وظهرت طبعته الاولى في الحدود الفاصلة بين العصرين الوسيط والحديث فطبع في أسبانيا عام ١٤٥٩ م ، ولما يزل المسلمون في غرناطة يقاومون في استماتة الحصار الذي ضربه عليهم ملكا ارجون وقشتالة ، وسوف يستسلم السلطان بعد عام ، وتسقط الدولة ، ولكن المسلمين ظلوا مواطنين من الدرجة الثانية الى ما بعد السقوط باكثر من قرن من الزمان .

وطبع النص اللاتيني مصحوبا بترجمة شعرية فرنسية تمت في القرن الرابع عشر عام ١٧٦٠ م ، وحملت عنوان « وصية والد لولده » .

وطبعته مرة ثانية جمعية محبي الكتاب الفرنسية عام ١٨٢٤ ، النص اللاتيني مصحوبا بالترجمة الفرنسية النثرية التي تمت في القرن الخامس عشر الميلادي ، وصدرت بعنوان : « تربية العلماء » .

وطبع النص اللاتيني في برلين عام ١٨٢٧ ، وهو اكثر دقة من الطبعة الفرنسية وحمل عنوان الكتاب الأصلي « تربية العلماء » .

اما طبعات الكتب التي اقتبسته ، أو تضمنته الى جانب مواد اخرى ، فكثيرة ، ويتطلب حصرها بحثا مستقلا .

الطاهر أحمد مكي

أخطاء لغويـّة معاصرة

الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

بحريني :

المشهور عندنا في الخليج انهم ينسبون التابع لدولة البحرين « بحريني » اى تابع للبحرين ، وهذا خطا ، والصواب في نسبته الى البحرين « بحراني » وذلك من وجهين :

١ ـ إن الاسم اذا نسب الى المثنى ، فان علامة التثنية (الألف والياء) تحذف فنقول مثلا في النسبة الى زيدان ، وزيدين « زَيْدِيّ » اى ينسب الى مفرده فحسب دون زيادة .

٢ ـ إن النسبة الى البحرين جاءت على غير قياس ، فنقول في النسبة الى البحرين « بحراني » والقياس ان يقال « بحري » اي ارجاعه الى المفرد وهو « البحر » دون زيادة الألف .

هكذا جاء في كتب اللغة ، فيحفظ ، ولا يقاس عليه ، كما تقول في النسبة الى البصرة « بِصري » بكسر الباء والقياس « بَصري » والى الدهر « دُهري » بضم الدال والقياس « دَهري » بفتح الدال والى مرو « مَرْوَزِيّ » والقياس « مَروي » .

ونسبوا بحراني الى البحرين ولم يقولوا « بحري » لئلا يلتبس بالمنسوب الى البحر ، فالنسبة اليه على الصحيح « بحري » أما ما نسبه ابن سيده الى سيبويه والخليل من ان النسبة الى البحر « بحراني » فذلك غير صحيح كما نقل ابن منظور عن السهيلي ، وانما الذي قالوه هو نسبة « بحراني » الى البحرين وانه جاء على غير قياس كما في « صنعاني » . نسبه الى صـنعاء و « بهراني » نسبة الى بهراء ، والقياس ان يقال « صنعائي » ، و « بهرائي » .

ثوري :

ويقولون « توروي » بواوين ويقصدون الثائر المنسوب الى « الثورة » والصـواب « ثوري » بحذف الواو الثانية : ذلك ان علامة التانيث تحذف من المفرد في حالة النسبة اليه ، فالواو الثانية منقلبة عن التاء في « الثورة » فيجب ان تحذف ، كما تقول في النسبة الى مكة « مكي » والى المدينة « مدني » والى قرية « قروي » والى جهينة « جهني » .

ولا يلتبس هذا بالنسبة الى ثور فنقول كذلك « ثوري » لأن سياق الكلام يحـدد المقصود لكل منهما .

سوية :

ويقولون : ذهبنا الى الجامعة « سوية » هذا اليوم ، والصواب : ذهبنا الى الجامعة « معا » هذا اليوم ، ذلك ان « سوية » : مؤنث « لسوي » والسوي من المكان المستوى المعتدل ، تقول هذا مكان « سوي » وهذه ارض سوية ، ورجل « سوي » الخلق ، وامراة سوية .

ويقال : هما على « سوية » في هذا الامر بمعنى مستويان ، وقسمت بينهما المـال « سوية » اى بالانصاف بحيث اخـذ كل حقه .

على سوى :

ويقولون : لم احصل سوى على تفاحة واحدة ، ولم اخسر سوى في سـيارتين ، والصواب : لم احصل على سوى تفاحة واحدة ، ولم اخسر في سوى سيارتين .

ذلك ان سوى لا تضاف إلا الى اسم مفرد اى لا تضاف الى الحرف ، ولا الى جملة ، او شبه جملة (الجار والمجرور والظرف والمظروف) فما بعدها يكون دائما مجرورا بالاضافة .

اما اذا اتيت « بالا » بدل سوى فان ذلك جائز ، فتقول : في المثال الأول : لم احصل الا على تفاحة واحدة ، ولم اخسر الا في سيارتين .

والمعنى واحد غير ان « سوى » اسم ، و « الا » حرف لا يضاف لما بعده .

من المسؤول عن هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية ؟

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

في تشرين الثاني عام ١٩٧٤ ، عقد في عمان ، «اجتماع خبراء في تعليم اللغة العربية لتحديد مشكلاتها ، وترتيب اولياتها ، واقتراح خطط لبحثها » . وقد اشرفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الادارة التربوية ـ على هذا الاجتماع ، وكان مكان انعقاده مديرية المناهج في وزارة التربية والتعليم الاردنية ، واستمر انعقاده من ٢ الى ٧ تشرين الثاني من ذلك العام . وخرج المجتمعون بتقرير نهائي ، وتوصيات .

وعلى الرغم من بعد المسافة الزمنية ، من عام ١٩٧٤ الى اليوم ، وهى عشر سنوات تبدلت فيها اشياء كثيرة فى العالم ، فان هذا التقرير يظل صالحاً لكى نعود الى المعالجات والآراء والتوصيات الواردة فيه ، والتى لا تزال الى اليوم « مكانك سر .. » من حيث التنفيذ العملى .

وها انا اعود اليوم الى هذا التقرير من جديد ، لان موضوع اللغة العربية يهمني مثلما يهم كل غيور على هذه اللغة حريص على ان يراها فى احسن حال من العافية والسلامة . وسأتوقف عند بعض خطوات هذا التقرير ، لنرى كيف عالج الخبراء موضوع اللغة العربية ، وماذا استطاعت وزارات التربية والتعليم العربية ، وماذا استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ وهي من اهم منظمات الجامعة العربية ـ ان تفعل ، وان تحقق من توصيات هؤلاء الخبراء ، من اجل اصلاح حال اللغة العربية فى الوطن العربى .

وقبل ان ابدا المعالجة ، احب ان اشير الى ان الاجتماع المذكور قد عقد بناء على توصية من مؤتمر وزراء التربية والتعليم فى البلاد العربية . ومعنى هذا ان الاجتماع كان نتيجة الشعور العام لدى أعلى المستويات المسؤولة فى الوطن العربى كله ، ممثلة بوزراء التربية والتعليم والجامعة العربية ، فمن المفروض ان يكون بالتالى ، موضع التنفيذ ، الذى هو بايدى هذه الجهات ، لا بايدى سواها .

سأبدا اذن بمرافقة هذا التقرير النهائي الذى وضعه خبراء فى اللغة العربيـــة وتعليمها ، يمثلون مختلف اقطار الوطن العربى .

يقول التقرير إن « وزارات التربية والتعليم والمعارف فى الوطن العربى ، دعت الى استخدام اللغة العربية باستمرار فى جميع مستويات التعليم ، والعناية بدراسة مشكلاتها » . وهذا ما اوصى به المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ، كما جاء فى التقرير .

ما الذى انجز ؟

فهل تحقق هذا فعلا فى الوطن العربي ، فى (جميع مستويات التعليم) ؟

قد يكون تحقق فى المراحل قبل الجامعية وليس فى كل أجزاء الوطن العربى ، ولكنه حتما لم يتحقق بعد ، ولا يزال يجابه بالرفض العنيد المستـــميت فى اغلب الجامعات العربية ، بل لعلي اقول فى كل جامعات العالم العربى ، باستثناء سوريا .

اوليست الجامعات العربية جزءا من (جميع مستويات التعليم) ؟

واذا كانت مراحل التعليم قبل الجامعية لا تجد ادنى صعوبة فى تدريس جميع العلوم باللغة العربية ، فى جميع المراحل الدراسية ، فهل من المعقول ان يصيبها الاعياء والعجز فى المرحلة الجامعيـــــة وحدها ؟ وهل هى حقا عاجزة عن الوفاء بحاجات الجامعات فقط ؟

الذين يقفون فى وجه اللغة العربية بعناد واصرار فى الجامعات العربية ، يدعون ان العربية عاجزة فعلا عن الوفاء بحاجات التعليم العلمى الجامعى . واما الواقع الذى استطاع ان يثبته مجمع اللغة العربية الأردنى ، بتجربته القصيرة فى ترجمة كتب العلوم الجامعية ، واستطاعت ان تثبته كذلك جامعة دمشق بتجربتها الطويلة ، فهو ان اللغة العربية جواد طيع وفي لكل الاغراض العلمية وغير العلمية ، ولكن بعض المسؤولين من اهلها يحاربونها ويصرون على ان يكون التدريس بلغة اجنبية ، وعلى ان تحرم اللغة العربية من حقها فى بيتها وفى اهلها . وهذا ، دون ريب هو التغريب بعينه ، وفيه الحرمان للطالب العربى من ان يفهم النص العلمي ويستوعبه ، ومن ان يستطيع فيما بعد المشاركة فى الابداع العلمي .

ومن المؤسف والمخزى والمحزن معا ، ان

هؤلاء المتشددين فى محاربة اللغة العربية فى الجامعات ، قد استطاعوا حتى الآن أن يجمدوا العربية فى جامعاتهم ، ويمنحوا الحياة والازدهار للغات الأجنبية ، بعكس جميع الأمم والشعوب التى تحرص على ان تكون السيادة للغاتها القومية دون سواها ، فى كل جانب من جوانب حياتها العلمية والعملية ، والادارية ، والتقنيـة . أو ليس هذا مظهرا من مظاهر التخلف فى العالم العربى ، حتى فى أعلى مستويات الثقافة عندنا ؟

ويقول التقرير ، تعليقا على قرار المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب هذا « ويدرك الخبراء أن هذا القرار له اثاره البعيدة فى حياة اللغة العربية ، لانه ينقل السياسة التعليمية لهذه اللغة الى نطاق الوطن العربى كله ، ويربط تعليمها بالمفهوم القومى الواسع الشامل .. ووراء هذا الربط حفاظ على الشخصية العربية .. لأن اللغة العربية .. هى أقدر شيء على ان تحفظ لهذه الشخصية ملامح العروبة ، وسمات الدين ، وانطباعات الحيـاة المشتركة .. وهى الامتداد الحي بين ماض مجيد ، وحاضر مكافح ، ومستقبل مامول » .

كلام جميل وسليم جدا . ولكن ماذا كانت النتيجة خلال السنوات العشر التى مرت منذ أن اتفق الخبراء العرب على هذا الكلام الجميل والسليم ، ورفعوا توصياتهم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والى وزراء التربية والتعليم العرب ؟ ماذا أستطاع الوزراء أن يفعلوا لتحقيق هذا الكلام ، وتحويله الى عمل ؟ وماذا أستطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تفعل ؟

لقد ظل الكلام الجميل كلاما جميلا ، ولم يخرج عن حدود الكلام الجميل الى التطبيق فى الجامعات العربية ، على الرغم من أنها تقوم فى البلاد العربيـة ، وطلابها عرب ، والأغلبية الساحقة من هيأتها التدريسية عربية ، ومن المفروض أن تكون لغتها هى العربية ، ولا شيء غير العربية .

قرار سياسي

ويعود التقرير مرة اخـرى ، فى التوصيات ، الى موضوع تعريب التعليم العلمى فى الجامعات ، فيقول :

« تدارس الخبراء مشـكلة التعليم الجامعي والعالي ، وعدم استخدام اللغة العربية فى الكليات العلمية والتقنية فى كثير من الدول العربية .. وايمانا منهم بالأهداف القومية التى ترمي الى التخلص من آثار الفترة الاستعمارية السابقة .. واقتناعا منهم بأثر العلم والتقنيات الحديثة فى النهضة الحضارية المرجوة .. وايمانا منهم بأن تعـريب العـلم لا يتعارض مع اتقان اللغات الأجنبية ، ومتابعة البحث العلمى والمشاركة فيه ، وانتفاعا بتجارب الأمم الأخرى التى جعلت لغتها القومية لغة التعليم الجامعي ، دون ان تكون أرقى من الأمة العربية لغـة وحضارة .. يوصون بما يلي :

١ ـ ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغـة التدريس فى الكليات الجامعية والمعاهـد العالية .

٢ ـ أن تسعى المنظمة لاستصدار قرار سياسي فى هذا الموضوع على أعلى المستويات ، لوضع حد للتردد فى تنفيذ هذا المبدأ ، الذى أصبح ضرورة قومية أساسية ، وحاجة علمية ملحة » .

قضية تعريب التعليم الجامعي هى اذن (من الأهداف القومية التى ترمي الى التخلص من آثار الفترة الاستعمارية السابقة ، وما احدثته فى الأمة العربية من عوامل الفرقة ، وضعف ثقتها بذاتها ولغتها) ، كما يقول التقرير .

فهل نفهم من هذا ـ استنتاجا وتعقيبا ـ أن من يحاربون اللغة العربية فى جامعات الوطن العربى ، هم كلهم من الحريصين على بقاء الروح الاستعمارية التى اشاعت الفرقة فى الأمة العربية ، واضعفت ثقتها بذاتها وبلغتها ؟ وهل نفهم من هذا ، بالتالى أن الاستعمار الأجنبي لم يخرج من الارض العربية ، بل بقيت فيها جذوره فاعلة عن طريق أعداء اللغة العربية من المسؤولين فى الجامعات العربية ؟ وهل نفهم ، بالتالى أيضا ، أن السياسة فى البلاد العربيـة لا تدرك ذلك ، وأن السلطات العربية لا تريد لهذا الاستعمار الفكرى أن يزول ؟

اذا كانت الوسائل تؤدى الى الغايات ، فهذا هو المعنى الوحيد لبقاء اللغـات الاجنبية لغات التدريس الوحيدة فى الجامعات العربية ، ولبقاء اللغة العربية غريبة فى بيتها وفى أهلها .

كان العرب المسلمون فى اسبانيا يتزوجون نساء اسبانيات ، الى جانب زوجاتهم العربيات المسلمات ، غير أنهم كانوا يميزون بين الاجنبية والعربية ، فيدعون الزوجة العربية (الحرة) ، تمييزا لها ، واعتزازا بمكانتها على الأجنبية . أما اعداء اللغة العربية من المسؤولين فى الجامعات العربية فليست لديهم هذه الروح العربية الأصيلة ، اذ جعلوا اللغة الأجنبية هى (الحرة) ، واللغة العربية هى (العبدة) فى البيت الذى كان يجب أن يكون لها وحدها ، دون سواها .

ثم يجيء الحديث عن (استصدار قرار سياسي) ، يعجل فى تعريب التعليم العلمى الجامعي . ولست افهم للقرار السياسى معنى على الاطلاق ، اذ ان القضية قضية كرامة قومية وايمان قومى . انها من البدهيات التى لا تحتاج الى أكثر من أن يشعر المسؤولون بانهم عرب ، وان الجامعات عربية ، وفى بلاد عربية ، ويدرس فيها طلاب عرب ، لا اجانب . هذا الشعور وحده كاف ليجعل اللغة العربية هى لغة التدريس ، لا سواها . وما اظن الا أن الجامعات العربية تقوم على دساتير ـ مثل دساتير الجامعات الأردنية ، تنص على أن اللغة العربية هى لغة التدريس ، الا فى حالات استثنائية شاذة .. ويكفي عندئذ أن تطبق هذه الجامعات دساتيرها لكي توضع الأشياء فى محلها الصحيح .

اللغات الأجنبية

هذه كانت الخطوة الأولى فى التقرير . ثم تجيء الخطوة الثانية ، وتتعلق بتدريس اللغة الأجنبية فى مرحلة التدريس الابتدائية . ويقول التقرير :

« أن اللغة الأجنبية تزاحم اللغـة العربية فى مدارس بعض الدول منذ الصف الأول فى المرحلة الابتدائية ، وفى بعضها فى الصف الثالث أو الرابع أو الخامس ، على حين ترجئها أكثر الدول الى المرحلة الاعدادية ، المتوسطة » . ثم يتحدث التقرير وراء ذلك مباشرة عن (ازدواج التعليم فى بعض الدول) .

أنا أؤمن بأن لابد للطالب العربى من أن يكون عارفا بلغة اجنبية ، الى جانب اتقانه للغته العربية . ولست أرى مانعا من أن يبدأ تدريس لغة اجنبية ابتداء من الصف الثالث من المرحلة الابتدائية ، على أن لا يكون فى ذلك اي لون من الوان (المزاحمة للغة العربية) . فاللغة الأجنبية تدرس كلغة فقط ، واما مواد الدراسة الأخرى كلها فتدرس بالعربية وحدها ، لكي يتمكن الطالب العربى من اتقان لغته أولا .

وفى هذا المجال يجب ان يعتبر كل معلم نفسه معلماً للغة العربية ، سواء فى ذلك معلم الرياضيات ، ومعلم الكيمياء ، ومعلم الفيزياء ، ومعلم الاحياء ، ومعلم الجغرافيا ومعلم التاريخ . ومن الضرورى جداً أن يطلب الى كل واحد من هؤلاء المعلمين ان يكون متمكناً من لغته العربية ، لكي يستطيع أن يعطى دروسه بلغة عربيــة سليمة ، فهذه هى الطريقة الوحيدة لكي تصبح لغة الطالب سليمة كذلك .

العامية والمصطلحات العلمية

العربية الصحيحة هى التى ينبغي أن تكون لغة المدرسة : لغة الطالب ، ولغة المدير ، ولغة المعلم ، مثلما هى لغة الكتاب يجب أن لا يسمع الطالب فى المدرسة غير اللغة العربية السليمة ، حتى وهو فى الملعب ، مع زملائه ومعلميه . بذلك تقضي أصول التربية ، وهذا هو الواقع الذى تعيشه الشعوب التى تعرف قيمة لغاتها القومية ، وتحرص على شيوعها ، وعلى سلامتها . حتى المحفوظات والأناشيد فى صف الحضانة ، وصف البستان ، ينبغى ان تكون كلها بلغة عربية نقية . وينبغى ان تنتفى العامية انتفاء تاماً ومطلقاً من حياة المدرسة ، من اول يوم فى حياة الطفل ، الى اخر يوم فى حياة الشاب ، فى المدرسة ، ثم فى الجامعة .

فما هو الواقع فى مدارسنا ؟ وهــل استطاع وزراء التعليم العرب ، بعد كل مؤتمراتهم ، وبعد كل التوصيات التى صدرت عنها ، ان يحققوا شيئاً من ذلك ؟ وهل استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؟ أم أن مدارسنا لا تزال تدرس حتى اللغة العربية الفصيحة باللهجة العامية ، وليس فى مراحل التدريس الدنيا فقط ، بل فى ما هو أعلى من ذلك ؟ ؟ ..

فما فائدة المؤتمرات اذن ؟ وما فائدة اجتماعات الخبراء ؟ وما فائدة التوصيات والقرارات ؟ وما فائدة كل المال الذى يسفح على المؤتمرات والندوات واجتماعــات الخبراء ، اذا لم يكن فى النية العمل بها ؟

والخطوة الثالثة التى تعرض لها التقرير هى (المصطلحات فى المجال التعليمي) . فقد راي الخبراء ان هذه المصطلحات . تختلف بين دولة واخرى ، ولذلك اوصوا « بان تعمل المنظمة على عقد مؤتمر للتربويين واللغويين لدراسة وسائل التقريب بين الخطط الدراسية للغة العربية .. والتوحيد بين المصطلحــات التعليمية » .

ان قضـــية المصطلحــات العلميــة والتكنولوجية والتعليمية قضية معقدة ومهمة جداً ، ففى كل بلد عربي مصطلحات تختلف عن مصطلحات البلد الآخــر ، والمشتغلون بوضع المصطلحات كثيرون جداً ، سواء على مستوى الأفراد ، ام على مستوى الهيئات والمؤسسات ، وليس بينهم اى اتصال للاتفاق على توحيـــد هـــذه المصطلحات ، بل إن الاتصال نفسه عسير احياناً ، وقد يستحيل فى احيان اخرى .

لقد تعددت اللغات العلمية فى الوطن العربى ، بتعدد الجهات المشتغلة بوضع المصطلحات . بل قد تتعدد المصطلحات فى البلد الواحد ، لعدم وجود جهة تنسيق وطنية ، او قومية ، تكون حلقة اتصال بين العاملين فى حقل المصطلحات .

حتى مجامع اللغة العربية ـ على قلة عددها ، ومع وجود اتحاد يجمعها من بعيد لبعيد ـ يعمل كل منها فى وضــــع المصطلحات على حدة ، دون تنسيق بينها ، ودون محاولة للاتصال والاتفــاق على ما يشتغل به كل مجمع من مصطلحات . بل إن الكثير جداً مما وضعته المجامع منفردة لم يصل الى المجامع الاخرى ، ولا الى ايدى الناس . ولذلك كانت الاستفادة من جهود هذه المجامع فى المصطلحات قليلة .

اين مكتب تنسيق التعريب ؟

ومكتب تنسيق التعريب ، الذى قام لغاية توحيد المصطلح العربى . لم يستطع ان يصل بجهده ، بشكل نافع وكاف ، الى كل الجهات المشتغلة بالتعريب ووضع المصطلحات . ومنذ ان قام المكتب فى أوائل نيسان عام ١٩٦١ م . لم يعقد غير اربعة مؤتمرات للتعريب ، الأول منها هو الذى انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب وثلاثة مؤتمرات فقط هى التى عقدت بعد انشائه . وقد اتفقت هذه المؤتمرات الثلاثة على عدد محدود جداً من جــــداول المصطلحات ، او معجماتها . وسيعقد المؤتمر الخامس للتعريب فى اواخر هذا العام ، ١٩٨٤ ، فى الاردن ، وفى رحاب مجمع اللغة العربية الأردني ، للاتفاق على عدد اخر من المعاجم الجديدة .

لقد مر على انشاء هذا المكتب الدائم لتنسيق التعريب نحو اربعة وعشرين عاماً وهو يعمل باستمرار ، ويتصل بكل اقطار العالم العربى ، ويجمع المصطلحات من هنا وهناك ، وينسقها ، ويعقد الندوات للخبراء لمناقشتها ، ويستعين بالمجاميع اللغوية ، والجامعات ، والهيئات والمؤسسات العاملة فى حقل التعريب والمصطلح ، وباصحاب معاجم المصطلحات ، غير ان النتيجــة لا تزال محدودة الفائدة جداً ، ولم تستطع مصطلحــات المكتب المتفق عليها ان تصل الى الكتب المدرسية فى الاقطار العربية ، ولا الى حيز الاستعمال العام فى الوطن العربى . ولم يستطع المكتب ، رغم جهوده المشكورة ، ان يتوصل الى توحيد المصطلح العلمي والتكنولوجي ، وايصاله الى كل الجهات التى يمكنها ان تستفيد منه ، وعلى الاخص المدارس والجامعات .

فهل كانت العلة فى مكتب تنسيق التعريب ، وفى مجامع اللغة العربية ؟

فى يقيني ان العلة اوسع من ذلك كثيراً : العلة والعيب فى العرب انفسهم ، فهم فى اقطارهم المختلفة يعملون ، فى الواقع ، على اساس ان كل شعب فى بلده يؤلف امة وحده ، ولا يشعرون شعور الايمان بوحدة الأمة العربية . السياسة هى التى تطبع معاملاتهم ، بين بعضهم البعض ، بطابعها التفريقي . ولهذا لم يتفق قطران من اقطارهم على ثقافة واحدة ، ومنهاج تعليمي وتربوى موحد . حتى هذا اللون من الوان الثقافة ـ وحدة الثقافة ـ لم يستطيعوا ـ ولم يفكروا بعد ـ فى الاتفاق عليه . ومن هنا ليس غريباً ان يعمل كل قطر عربى عمله مستقلاً فى مجال المصطلح العلمي والتكنولوجى ، كلون من الوان الاستقلال فى العمل . قصدوا ذلك ام لم يقصدوه .

فهل من الممكن والمنتظر أن يجيء يــوم بمعجزة ، يشعر فيه العرب بوحدتهم القومية ، فينطلق من هنا عملهم على اساس التنسيق ، والتكامل ، لأجل الوصول الى توحيد التربية القومية ، والثقافة القومية ، خطوة اولى الى تحقيق التكامل ، فالوحدة الصحيحة فى العمل القومي الجميع ؟

عيسى الناعورى

أسماء البلاد أساور الدّم

شعر: محمد الظاهر

راحلٌ انت في المدى ، حيث تمضي شهوةُ الموت ، والممالكُ
تُقعي ككلاب اليفة ، خلعتها ، من ضلوع الشعوبِ خيلُ التردّى
ورمتها وحيدة تتشظى فى فراغ الحروبِ تَرْتَدُّ وَهْمَاً ، ينشر
الخوف فى عروق العواصم

موشك أنْ تقول : جُرحى حِصارٌ
وغبارُ الحروب رَوْثُ بهائم

خطف الجند بَرْقَنَا فانطفانا ، وقرانا كتابَنا غير أنَّا لم نجدْ
فى الحروف وهجَ خطانا ، وافتقدنا دماءنا فانكسرنا ، واتخذنا
من الخطاة رؤوساً ، ونثرنا على البلادِ الهزائِم

موسم الخوف والكوابيسِ ارضٌ
وانتحار الرمال سقف الجرائم

اى جدوى من غَيْمَةٍ نَصَّبَتْنا
فوق سطح البلاد حقلَ جماجم

لا تَبِعْ للخطاة خيلك واسكنْ شهقةَ الرعدِ ، والتجيءْ
حيث تمضى ، بقميص الشهيدِ الذى لم يُساوِم

هذه الأرض مهرةٌ ويداها
فى سماء البلاد سربُ حمائم

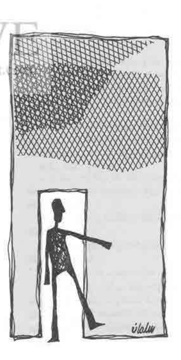
يدخل العاشقون منها إليها
فاعبر الآن فى ربيع المواسم

كل غيب فى دورة الروح موجٌ ، يغسل القلب من ظلال
المعانى ، يطلق الريح فى المسافات ، تمحو آيةَ الرعبِ
من شواهد عصرٍ ، دمهُ العرسُ والضّحايا الولائِم

حَرِّرِ الجَمرَ وانتسبْ للشظايا
واتْبِعِ النّسغَ وانتسبْ للبراعمْ

وامـلا البحر بالمتاريس ، وانحتْ من صخور الجبال كهفاً
واكمل نَزَقَ الطفل حين يمضي اليها ، حجراً ثائراً ،
حديداً محمّى ، وازرع الحقد في الخلايا ، وَفَجِّرْ
مرجلَ النفيِ فى الجهاتِ لتقطفْ ، من حقولِ المُحالِ
وردَ العزائِم

انتَ لا تملك الجهاتِ ولكنْ
ذَرّةٌ انتَ فى البلاد تقاوم





بقلم : عبـــاس خضـــر

يمتلىء ادبنا العربى الشعبى بقصص البطولات والابطال الذين خاضوا الحروب واحرزوا الانتصارات . والملاحظ ان تلك الحروب انما كانت حروبا دفاعية ، يتجه خط الدفاع فيها إلى اعداء العرب والمسلمين ، اولئك الاعداء الذين كانوا يغيرون على الحدود الاسلامية ويبطشون باهل البلاد ويقتلون النساء والاطفال والشيوخ ، فيهب العرب لقتالهم وردهم الى بلادهم .

وقصصنا تلك لم تخل مع ذلك من لمسات انسانية ، بل هى مملوءة بهذه اللمسات . فهى تقدم لنا البطل على انه انسان قبل اى شيء ، فاذا اضطرته الظروف القاسية الى القتال فانما ذلك يكون احقاقا للحق وازهاقا للباطل .

فى اكثر الاحيان تصور البطل شجاعا مقداما منذ مولده ،وفى احيان اخرى تفعل العكس ، فالولد جبان رعديد يخاف من ظله ، كما يقولون .ثم تتدرج به فى تصوير فنى ممتع حتى يصير من المغاوير الشجعان .

وفى خلال ذلك تعطينا اللمســـــة الانسانية التى تدل على ان الانســـان انسان قبل كل شيء .

شريحة من ذات الهمة

هذه شريحة من « سيرة الاميرة ذات الهمة » الحافلة بالامجاد العربية .

كان لاحد القادة العرب ولد اسـمه « ثعلب » نشا اول ما نشا على عكس والده « الحصين » الذائع الصيت فى الضرب بالسيف وصراع الابطال ، خاض المعارك بين العرب والروم ، واحرز فيها نصراً عظيما .

وتشاء المقادير ان يبتلى هذا القائـد الشجاع بذلك الولد « ثعلب » الكسلان والجبان ، وقد حاول أبوه أن يدربه على القتال ،وكتب اسمه فى ديوان المجاهدين ، وصار له بذلك خمسمائة دينار كل سنة ، ياخذها من والده كاى مقاتل فى الجيش .

ورغم ذلك لم يكن يحضر حربا ولا ضربا ، بل كان يفزع اذا راى فارآ فى الدار او سمع من الثور الخوار ،وبلغ من الكسل الى حد انه اذا كان نصفه فى الظل والنصف الاخر فى الشمس الحامية وهو نائم .. يكسل ان يزحف من الشمس الى الظل ..

ضاق « الحصين » بابنه ، وتحير فى امره ، ثم قال فى نفسه : ما اظن ولدى هذا يكون فارسا فى يوم من الايام ، فماله جراة على الحرب ، والقتال ، وليس لى الا ان ادفعه الى الفقيه « عقبة » ليعلمه القران وشيئا من العلوم .

ولله فى خلقه شئون .. فقد أمات الله نشاط « ثعلب » البدنى واحيا فى نفسه الفهم والفطنة وسرعة الحفظ ، حتى كان يحفظ فى يوم واحد ما يحفظه غيره فى شهر .

محاربة الروم

هب العرب لحرب الروم الذين أغاروا على حدود بلادهم ، واختار الحصين فى موقف ولده « ثعلب » كيف ياخذ راتبه كمحارب فى الجيش وهو لا يذهب الى الحرب ولا يقدر على القتال ؟ ثم عزم ان يامره بالمسير الى الميدان ، وليكن ما يكون .. قال له :

ـ يا ولدى انت تعلم انى كتبت اسمك فى ديوان المجاهدين ، واخذت راتبك فى ثلاث سنين ، ولابد من خروجك للقتال .

فبكى الولد وقال :

ـ يا ابى ، هل قلت لك اكتب اسمى فى الديوان ؟ انى لا استطيع ركوب حمار فضلا عن جواد .

وشكاه ابوه الى استاذه « عقبة » فقال الشيخ لتلميذه :

ـ اذهب يا ولدى مع المحاربين ، وما تقدر عليه افعله ..

فبكى ثعلب ، ثم مسح دموعه وقال :

ـ يا سيدنا ، مالى على شيء مما تدعونى اليه يدان .. ولست ادرى كيف يكون حالى اذا اصطفت الفرسان فى حومة الميدان ، وتشابكت الرماح وجَد الضرب والطعان .

فضحك الوالد وقال لولده :

ـ البس عدة الحرب ، واخرج فى زى المجاهدين ، ولا تدخل فى معمعة القتال ، وما

عليك الا أن تهلل وتكبر اذ الروم انكسروا .

ـ وان كانت الحرب علينا ؟!

ـ اذا كانت علينا ـ لا قدر الله ـ فكن اول من يطلب الهرب .

ـ وان كانت الكسرة على العرب ، وحاولت الهرب ، ثم وقعت فى كمين الست اهلك مع الهالكين ؟

فقال والده غاضبا :

ـ يا اشام الاولاد ، اليست لك اسـوة بهؤلاء المجاهدين الذين جاءوا من كل فج ، وقد باعوا انفسهم لله ؟

وقال عقبة للحصين :

ـ لا فائدة ترجى من ولدك هذا فى حرب او نزال ، فارح نفسك واعد ما اخذته من راتبه الى بيت المال .

ولم ييأس الحصين من ولده ، فاراد ان يثير فيه الحمية قائلا له :

ـ يا ولدى ، لا تكن عارا علينا ، كيف يقال إن للحصين ولدا ضعيفا جبانا قد قعد ولم يلب دعوة الجهاد ؟

التقى الجمعان

ثم لجا الى إغرائه واستدراجه الى الحرب فقال :

ـ لن اتركك فى الميدان ، بل اركبك الجواد ، ولا تبرح عنك عينى ، واذا رايت خطرا عليك اخذتك ونجوت بك .

فقال ثعلب مستسلما :

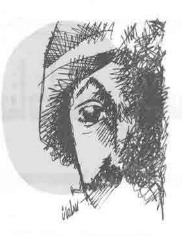
ـ يا ابت افعل ماتراه ، فهانذا مطيع لك والله يتولانى برحمته .

لما اصبح الصباح زعقت بوقات الروم ، وخفقت راياتهم ، وتحركت جموعهم ، وصهلت خيل العرب ، واستلت السيوف ، وانقضت السهام ، والتحم الفريقان فى قتال ليس كمثله قتال .

وما راى ذلك ثعلب حتى ارتعـدت فرائصه ، واصطكت أسنانه ، واهتزت رجلاه ، فصارتا تضربان .. ولم يستطع ركوب الحصان .. ولما شاهد أبوه حاله اخذه من يده الى ربوة عالية بعيدة عن القتال وقال له : قف هنا ولا تخف .

فى الجبن سواء

وبينما هو واقف يرتعد اقبل نحوه رجل من الروم ، فتملكه الخوف ، وزاد به الرعب وقال له :



ـ بـ .. بالله يا .. سيدى .. مـاذا تريد ؟

ـ لا تخف .. فانا مثلك خائف .

ـ من تكون يا جبان ! يا ذليل يا مهان !

فقال الرومى ساخرا :

ـ انا .. الجبان ؟ يا شجاع ! يا مهاب ! تعال .. اننا فى الجبن سواء ..

ـ قل لى لماذا يقتل بعضنا بعضا ؟ اليس هؤلاء « الشجعان » مجانين .. ؟

ـ بلى ، انهم والله مجانين .. ولكن قل لى انت ما الذى اخرجك من بلادك والقى بك الى هنا ؟

ـ ساقونى على الرغم منى .. زعموا انكم اعداء يجب ان نتغذى بكم قبل ان تتعشوا بنا !

ـ ولكن ها انتم اولاء لا تتغدون !

ـ مجانين .. الم اقل لك مجانين ؟

وبينما هما كذلك اذا سهم طائش يمرق بينهما ويغوص فى الارض قريبا منهما ، فصاح الرومى ، ووقع ثعلب مغشيا عليه .. وبعد برهة افاق ، فقال له الرومى :

ـ يا اخى .. هل انت سالم ؟

ـ الحمد لله .. وانت يا اخى هل اصابك مكروه ؟

ـ إنى بخير ، فا احب الحياة ولا اريد ان اموت .

ـ ومن ذا الذى لا يحب الحياة ايها الاحمق ؟

ـ انا احمق يا جبان ؟

فقال ثعلب ساخرا :

ـ العفو .. يا فارس وقاهر الشجعان ..

ـ رجعنا الى الكلام الفارغ ، الم نكن الآن اخوان ؟

ـ بلى ، ما اعجب الانسان ! عند الروع يتعاطف الناس ، وعند السلم يتخاصمون

ونظر ثعلب غير بعيد ، فراى ما اثار دهشته .. فقال للرومى :

ـ انظر .. السهم يتحرك !

ـ انه يهتز .

ـ عجبا .. تعال ننظر .

وتقدما الى مكان السهم ، وامسك به ثعلب وجذبه بكلتا يديه ، فاستعصى عليه ، فاخرج السيف الذى معه وحفر حوله ، وهاله المنظر :

ـ ثعبان .. انظر .. تعال هنا وانظر .. ان السهم مغروس فى ثعبان ، ودم الثعبان يسيل .

والتفت ثعلب الى الرومى فوجده قد ولى بعيداً مذعوراً .. اما هو فقد شعر بجراة لم يعرفها فى نفسه من قبل .. امسك بالثعبان الدامى وجعل يقلبه ويقول : سبحان الله ! هذا الثعبان المختفى فى باطن الارض ينفذ اليه السهم فيرديه ، ونحن على ظهر الارض مستهدفون للسهام فلا يصيبنا سوء !

ونظر ناحية الرومى فراه ملقى على الارض جثة هامدة وفى صدره سهم طائش !

« مات .. لم يمنعه من الموت خوف ولا حذر ، وكم من شجاع خاض المعركة وعاد سالما » .

تطوير الشخصية

وهنا يعمل قصاصنا على تطوير شخصية ثعلب ، فهو اى القصاص بصدد « التعبئة » ضد المعتدين ، والحرب للدفاع لا تنافى الانسانية ، يقول :

« بينما كان ثعلب واقفا يحدث نفسه ذلك الحديث ـ راى جوادا يعدو وليس على ظهره احد ، فاعترض طريقه .. وفى لحظة خاطفة كان على ظهره ، وقد جرد سيفه ، وحمل على الاعداء مع الحاملين عليهم من قومه ، وصال وجال فى ميدان القتال ، وحمل يبارز الفرسان ويصرع الابطال .

ولمحه ابوه ، فدنا منه هاتفا :

ـ ويحك من انت .. ؟

ـ أنا ولدك ثعلب .

ـ حقا ؟ كم انا فخور بك .. هذا يوم ميلادك .

ـ انا اليوم يا ابى اشجع خلق الله .

ـ انت منذ اليوم رجل ، إن مت مت شهيدا ، وإن عشت عشت عزيزا » .

أذهان بلا حدود • الجزء الأخير •

التنويم المغناطيسي والأسرار الخفية في عالم الحرب والسياسة !

إعداد : محمد العزب موسى

- **هتلر يطارد « عرافاً » أوروبياً تنبأ بنهاية النازية ومصير الفوهرر !**
- **رجل يسرق بنكاً بقوة التنويم المغناطيسى**
- **قصة المرأة التى تحرك أعواد الثقاب والسجائر والدبابيس بمجرد النظر اليها**
- **محاولات مضنية لكشف أسباب مادية وعلمية وراء الظواهر الخارقة**

فى اوائل الحرب العالمية الثانية ، وبعد ان اجتاحت القوات النازية بولندا كان من اهم ما يشغل بال هتلر ان تعتقل قواته رجلا بولنديا يدعى وولف ميسينج وتاتى به الى برلين حيا او ميتا . كان قد اشتهر عن هذا الرجل انه يتمتع بقوى خارقة كوسيط روحى وعراف متنبىء ، وكان قد تنبأ لهتلر قبل اجتياح بولندا بانه سيخسر الحرب فى النهاية ويلقى نهاية شخصية سيئة ، ولما كان هتلر من اشد المتطيرين الذين يؤمنون بالعرافة والتنجيم لذلك فقد اسرها فى نفسه ، وعزم على الانتقام من ميسينج عندما يقع يوما فى قبضة يده .

واستطاع ميسينج ان يهرب فى اخر لحظة ويلجا الى موسكو ، ولكنه كان كالمستغيث من الرمضاء بالنار ، اذ نجا من قبضة دكتاتور ليقع فى قبضة دكتاتور اخر .. ستالين الرهيب هذه المرة . فقد سمع الدكتاتور السوفيتى بحكايته وقرر ان يختبر قواه التليباثية وحدد بنفسه الامتحان .. ان يستخدم ميسينج قواه المزعومة فى سرقة بنك سوفيتى !

واختار وولف ميسينج بنكا كبيرا فى موسكو ، لا يعرفه فيه احد ، وفى اليوم المحدد دخل ميسينج البنك بخطوات ثابتة ، وتقدم الى الصراف الذى يجلس خلف نافذته الزجاجية ، وقدم اليه ورقة بيضاء منتزعة من دفتر مدرسى ، ووضع امامه حقيبة فارغة مفتوحة ، وامره تليباثيا ان يصرف له مبلغ ١٠٠ الف روبل .

ونظر الصراف الى الورقة ، وفحصها جيداً ، لم يشك لحظة فى انها « شيك » صحيح .. ولم يلبث ان فتح خزانته وراح يخرج منها رزم البنكنوت ويضعها فى الحقيبة ، حتى عد ١٠٠ الف روبل بالتمام والكمال .

وحمل ميسينج الحقيبة ، وخرج من البنك ، وهناك اطلع رجال ستالين على النقود مثبتا نجاحه فى سرقة البنك ، وبعد ذلك عاد إلى الصراف مرة اخرى وبدا يعيد اليه رزم البنكنوت . ودهش الصراف واخذ ينظر اليه ، والى النقود والى الورقة البيضاء الخالية امامه ، ثم سقط على الارض مصابا بازمة قلبية ..

ولحسن الحظ فقد نجا الصراف من الازمة القلبية ، ولكن ميسينج لم ينج من قبضة ستالين ، كان ينتظره امتحان اخر اراد به ستالين ان يتاكد شخصيا من قواه الاستثنائية ، فامره ان يدخل عليه فى مكتبه بالكرملين بدون الحصول على اذن كتابى خاص شان كل من يدخل هذا المكان كائنا من كان حتى لو كان من زعماء الحزب والقادة السوفيت .

وفى اليوم المحدد تقدم رجل الى قصر الكرملين وقطع ساحته ، وعند الباب حياه الحرس برفع السلاح ، واخذ الرجل يقطع دهاليز الكرملين ، ويصعد درجاته ، امام اعين الحراس ورجال المخابرات المبثوثين فى كل مكان ، وهؤلاء كانوا يحيونه عندما

يمر بهم ، الى ان وصل الى غرفة ياور ستالين ، فقام هذا وحياه وصحبه الى غرفة مكتب ستالين ، وفتح له الباب وهو ينحنى انحناءة كبيرة ، وعندئذ رفع ستالين عينيه عن الأوراق التى امامه ، ونظر الى الزائر فاذا به امام ميسينج وجهاً لوجه !

والتفسير الذى اعطاه ميسينج فيما بعد انه اوحى للحراس والمخبرين انه هو نفسه بيريا رئيسهم الذى وضعهم فى هذا المكان ، ومدير المخابرات السوفيتية الرهيب ، وكان هو الوحيد الذى يستطيع الدخول الى ستالين بدون تصريح وفى اى وقت يشاء ..

● ●

هذه عينة من الاقاصيص التى انتشرت عن وولف ميسينج ، وسواء كانت حقيقية او من نسج الخيال والمبالغة ، فالثابت ان السوفيت لم يكونوا اقل من الغربيين اهتماماً بظواهر الباراسيكولوجى ، بل لعلهم كانوا اكثر جدية فى فحص هذه الظواهر التى تبدو متعارضة مع الفلسفة المادية . وكان هدفهم الاكبر البحث عن اساس مادى لهذه الظواهر على فرض ان قد ثبتت صحتها ..

● ●

عالم من علماء الباراسيكولوجى يجرى تجاربه الهامة على الظواهر الخارقة التى مازالت محل نزاع منذ قديم الزمان حتى عصرنا الحالى

تجارب بالتنويم المغناطيسى

ويفضل الباحثون فى اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى اسلوب التنويم المغناطيسى كوسيلة للبحث فى ظواهر الباراسيكولوجى بعكس الباحثين الغربيين الذين يترددون فى اتباع هذا الاسلوب بدعوى تعارضه مع الحرية الفردية ، بل ان الاطباء الغربيين انفسهم نادراً ما يلجاون الى التنويم المغناطيسى للمساعدة فى علاج الامراض . اما الروس فلهم وجهة نظر مختلفة ، وفى وقت مبكر يعود الى اوائل العشرينات قام اثنان من الباحثين النفسانيين فى الاتحاد السوفيتى هما البروفيسور زيليكوفسكى والدكتور كوتكوف باجراء عدة تجارب على « التليباثى المغناطيسى » باستخدام طالبة شابة دون ان تدرى ، فقد سئلت الطالبة ان تتردد على البروفيسور زيليكوفسكى للمشاركة فى بعض التجارب ، وفى كل مرة تاتى الى معمله كان البروفيسور زيليكوفسكى يعتذر عن عدم اجراء التجربة بدعوى ان بعض الاجهزة لم تصل بعد ، وكانت الفتاة تمكث معه بعض الوقت يثرثران فى اى شىء ، ولكن كان يحدث احيانا ان يدهمها النوم وهى واقفة على قدميها ، ثم تفيق ولا تستطيع ان تفسر سلوكها ، فتعتذر وتنصرف ، ولكن اصحاب التجربة كانوا يعرفون السبب جيداً ، فقد كان الدكتور كوتكوف يجلس فى حجرة اخرى فى نفس المبنى يسلط اشعة تاثيره عليها .

هذه القصة توحى الى الاذهان بقصص العالم الشرير المجنون فى افلام الرعب ، ولكنها عرفت عن مصدر موثوق به هو الدكتور ليونيد فاسيليف اشهر عالم باراسيكولوجى سوفيتى والوحيد الذى ترجمت كتبه الى اللغة الانجليزية . وقد ذكر فاسيليف فى كتابه « تجارب على الايحاء الذهنى » الذى صدر عام ١٩٦٢ قبل وفاته بعدة سنوات ان العلماء الروس بداوا يجرون تجارب منتظمة على التليباثى والتنويم المغناطيسى منذ الثلاثينات ، بعد النجاح المبدئى الذى احرزته تجارب زيليكوفسكى وكوتكوف ، وانهم تلقوا اوامر من « سلطات عليا » بالقيام بهذه التجارب . مما يوحى بانه ربما كان ستالين يشعر بان ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس يمكن ان تكون لها قيمة استراتيجية .

اذا كان فى قدرة انسان ان ينوم آخر مغناطيسياً وهو على مسافة بعيدة منه قد تصل الى الف ميل دون ان يدرى ذلك الشخص الآخر شيئا عما يجرى ، فتلك بلاشك قدرة رهيبة قد تكون لها نتائج بالغة الخطورة فى العلاقات الانسانية . ولكن هذا بالضبط ما فعله احد زملاء البروفيسور فاسيليف واورد ذكره فى كتابه . كان الرجل من سيفاستبول بالقرم ، ومحل التجربة فتاة فى لينتجراد ، وادبرت التجربة بحيث يحدث التنويم المغناطيسى اثناء وجود الفتاة الخالية الذهن تماماً عن كل شىء مع طبيبها النفسى الذى كانت تتردد عليه ، وكان هذا

الطبيب مشاركا في التجربة ومكلفا بتسجيل سلوك الفتاة عند تنويمها مغناطيسيا . وفي تقرير العلماء السوفيت ان اربعة اشخاص من كل مائة شخص لديهم استعداد للتنويم المغناطيسي على البعد .. ولكن الباحثين الغربيين لم يحاولوا التاكد من صحة هذا الزعم .

نظرية الموجات

وكانت قد انتشرت شائعات بان البحرية الامريكية تقوم بتجارب على التليباثي كوسيلة للاتصال بقادة الغواصات في اعماق المحيطات حيث يكون الاتصال اللاسلكي متعذرا او ضعيفا ، وادت هذه الشائعات الى قيام الاتحاد السوفيتي بنشر ابحاث فاسيليف في اوائل الستينات ، وقبل ذلك كان البروفيسور فاسيليف يجري تجاربه وابحاثه في سرية مطلقة ، لان التليباثي وظواهر الباراسيكولوجي بصفة عامة تثير مشكلة ايديولوجية بالنسبة للروس ، فما لم يثبت ان هذه الظواهر لها اساس مادي ، اي يمكن تفسيرها على نحو ما بنظرية الموجات فانها تعتبر بمثابة تخريب في الفلسفة المادية الرسمية ، ولذا فقد تركزت ابحاث فاسيليف على محاولة اكتشاف الطاقة المادية التي تكمن وراء ظواهر الباراسيكولوجي ، وما هي الموجات التي تعمل في مثل هذه الظواهر .

من التجارب التي اجراها فاسيليف في هذا الشان انه كان يضع الفتاة التي يجري عليها تجاربه داخل قفص فاراداي وهو صندوق من المعدن السميك يقاوم نفاذ موجات الراديو والموجات الكهرومغناطيسية ، ومع ذلك كانت الفتاة تسقط نائمة عندما يامرها الراسل التليباثي بذلك ، وهو يقف خارج القفص ، ثم وضع الراسل في كبسولة من الرصاص وغمرها في حوض مليء بالزئبق ، ومع ذلك استمرت الفتاة في قفص فاراداي تسقط نائمة كلما امرها الراسل في كبسولته بذلك . وهكذا بدا واضحا ان نظرية الموجات لا تفسر ما يحدث ، فاستبعدت بهدوء ، ولكن برنامج الابحاث ظل مستمرا .

الراديو الذهني

في عام ١٩٦٦ اجريت في الاتحاد السوفيتي تجربة على التليباثي نالت شهرة كبيرة ، وسمح للصحف بنشرها ومتابعتها ، كان الوسيط في موسكو ، والفاعل على بعد الفي ميل في سيبيريا وهو الممثل والصحفي كارل نيكولاييف . اما الوسيط فهو عالم الطبيعة البيولوجية يوري كامينسكي ، واشرف على التجربة مجموعة من العلماء السوفيت ، وقد استطاع كامينسكي بنجاح ان ينقل الى نيكولاييف صورا ذهنية عن ستة اشياء اعطيت له في اظرف مغلقة مستقلة في بداية التجربة ، وفي تجربة اخرى استطاع نيكولاييف ان يسجل ١٢ هدفا صحيحا من ٢٠ ورقة من اوراق الادراك خارج نطاق الحواس عندما كانت تقلب واحدة بعد الاخرى في موسكو ، في حين ان حد الصدفة في هذه الحالة لا يتجاوز اربعة اهداف .

وتجارب الابحاث السوفيتية على الادراك خارج نطاق الحواس لا تذكر شيئا عن ظاهرة الاستبصار او الرؤية عن بعد ، بالرغم من ان الابحاث الامريكية تشير الى انها ربما كانت اقوى ظواهر الباراسيكولوجي ، وبالرغم من ان ما فعله نيكولاييف يمكن ان يفسر بالاستبصار كما يفسر بالتليباثي إلا ان الروس ظلوا ثابتين على افتراض وجود نوع من « الراديو الذهني » لتفسير هذه الظواهر .

وبالرغم من انهم لم يستطيعوا الاهتداء الى موجات هذا الراديو إلا ان ابحاثهم القت الضوء على بعض الحقائق المثيرة الخاصة بموجات المخ ، فمثلا عند اجراء احدى التجارب على البعد بين موسكو ولينينجراد وصلوا بالاسلاك بين نيكولاييف واجهزة كهربائية لقياس التغيرات الفسيولوجية وموجات المخ ، ووضع نيكولاييف نفسه في حالة استعداد ذهني للاستقبال ثم انتظر ، لم يكن يعلم متى سيبدا كامينسكي على بعد



هذه السيدة بهرت علماء الباراسيكولوجي بقدرتها على تحريك الاشياء بالطاقة الذهنية .. السيدة اسمها : نيليا ميخايلوفا .

٤٠٠ ميل محاولة التخاطر معه ، ولم تكن لديه اية فكرة عن نوع الرسالة التى يتوقعها ، ومع ذلك فقد سجل جهاز تسجيل موجات المخ زيادة مفاجئة فى نشاط مخ نيكولاييف فى نفس اللحظة التى بدأ فيها كامينسكى تركيزه لبث الرسالة ، واكثر من ذلك لوحظ ان تزايد هذا النشاط حدث فى ذلك الجزء من المخ المناسب لتلقى نوع الرسالة ، فمثلا إذا ارسل كامينسكى رسالة مصورة كانت تنشط فى مخ نيكولاييف المنطقة التى تتحكم فى النظر ، وإذا ارسل رسالة سمعية ، كصفارة مثلا ، فان المنطقة الخاصة بالسمع هى التى تنشط . وقد اشاد بهذه الابحاث عالم الباراسيكلوجى الكبير دكتور ميلان رايزل فى مقالة نشرها بالمجلة الدولية للباراسيكلوجى فى عام ١٩٦٨ ، وقال ان النتائج التى توصل اليها السوفيت قد تقربنا مسافة كبيرة من التحكم فى ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس .

الهالة الكهربائية

ويتصور البعض ان هناك سباقا سريا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى للتحكم فى ظواهر الباراسيكلوجى وان السوفيت اكثر تقدما فى هذا السباق ، ولكن هذا التصور لا يقوم عليه دليل قوى فى شقيه ، وربما يكون نتيجة فن الخيال العلمى ، ولكن ذلك لا ينفى ان السوفيت اثبتوا تقدما ما فى مجالات معينة منها ابحاث جولاييف على « الهالة الكهربائية » التى تحيط بالاجسام الحية ، وابحاث نوفوميسكى على « القراءة بالاصابع » ، ودراسات مختلفة على ظاهرة الاستحراك لدى السيدة نيليا ميخايلوفا .

ويسمى السوفيت التليباثى « بالاعلام البيولوجى » مما يشير الى تحيزهم الظاهر لفكرة وجود اساس مادى لهذه الظاهرة ، وهم يحاولون ردها الى التغيرات التى تحدث فى « الهالة الكهربائية » حول الاجسام الحية . فقد اكتشف البروفيسور بول جولاييف الذى خلف العالم فاسيليف كرئيس لمعمل « السبرنطيقا » بجامعة لينتجراد باستخدام اجهزة بالغة الحساسية مصممة خصيصا لهذا الغرض ، ان كل الاجسام الحية يحيط بها مجال من الكهرباء الاستاتيكية الضعيفة ، اسماه بالهالة الكهربائية ، وهذا المجال تحدث فيه تغيرات مستمرة ، وحتى الافكار التى تطوف فى ذهن الشخص تؤدى الى تغيرات فى هذا المجال يمكن كشفها وقياسها ، ويقترح جولاييف ان تكون هذه التغيرات فى الهالة الكهربائية هى التى ترسل اشارات تحمل معلومات ، وان هذه هى الوسيلة التى تتفاهم بها بعض الأسماك والحشرات وغيرها من انواع الحيوان ، ومن الممكن ايضا من الناحية النظرية ان يؤدى النشاط الذهنى الى تقوية هذه الهالة الكهربائية بحيث تنتج طاقة قادرة على تحريك الاشياء .

وقد اجريت ابحاث سوفيتية على العلاقة المحتملة بين ظاهرة الاستحراك وهذا المجال الكهربائى الاستاتيكى بالتعاون مع السيدة الشهيرة نيليا ميخايلوفا ، وكانت هذه السيدة ـ وهى ربة منزل فى لينتجراد ـ قد بهرت الباراسيكلوجيين السوفيت عدة سنوات بقدرتها على تحريك الأشياء بالطاقة الذهنية ، ومن بين الذين اجروا تجارب عليها دكتور جيرادى سيرجييف الذى صمم جهازا لالتقاط المجالات الكهروستاتيكية والمغناطيسية المنبعثة من الجسم البشرى على مسافة تصل الى اربعة اقدام وقد وجد دكتور سيرجييف بمساعدة اجهزته ان نيليا ميخايلوفا فى حالتها العادية تنتج من الجهد الكهربائى المنبعث من مؤخرة راسها ما يعادل خمسين ضعف الجهد المنبعث من مقدمة الراس . فى حين ان معظم الناس ينتجون ما يعادل ثلاثة اضعاف او اربعة فقط .. اما عندما تباشر نيليا قواها التحريكية وتقوم بتحريك الأشياء الصغيرة الموضوعة امامها على المائدة فقد اظهرت الأجهزة ان الحقول المغناطيسية المحيطة بجسمها تبدأ فى النبض ، وهذه النبضات تتفق فى وقعها مع نبضات المخ والقلب ، واكثر من ذلك فقد بدا أن فى استطاعتها تركيز مجال القوى المنبعثة منها فى اتجاه الشىء الذى تنظر اليه وتريد تحريكه .

وقد شاهد عدد من الكتاب والباراسيكلوجيين الغربيين نيليا ميخايلوفا وكتبوا عنها ، وشهدوا جميعا بقدراتها الاستثنائية . وقد كان فى امكانها أن تحرك اعواد الثقاب ، والسجائر ، والدبابيس وغيرها من الاشياء الخفيفة التى توضع امامها على المائدة بتحريك يديها فوقها او بمجرد النظر اليها ، وفى تجربة اخرى استطاعت تهبيط احدى كفتى ميزان حساس متوازن فى كل منهما ثقل وزنه ٣٠ جراما ، وظلت الكفة هابطة بعد اضافة ثقل اضافى وزنه ١٠ جرامات الى الكفة الاخرى ، ولكنها ما ان تتوقف عن التركيز وتبعد عينيها فان الكفة الثقيلة تهبط على الفور ، ولتحقيق مثل هذه الظواهر كانت ميليا ميخايلوفا تقضى وقتا طويلا فى استجماع قواها ، وبعد ان تنتهى يبدو عليها التعب ، واحيانا وجد انها تفقد بعض وزنها .

القراءة بالأصابع

وقد اكتشفت موهبة نيليا ميخايلوفا فى الاستحراك بواسطة دكتور فاسيليف اثناء قيامه بفحص ظاهرة خارقة اخرى تملكها هذه السيدة هى القدرة على « الرؤية » باصابعها . والواقع ان القراءة بالأصابع او القراءة بدون نظر تعد من الاهتمامات البارزة فى الابحاث الباراسيكلوجية السوفيتية . وكانت ميليا ميخايلوفا قد اكتشفت لديها هذه المقدرة ذات يوم فى اوائل الستينات عندما كانت تقضى فترة نقاهة من المرض فى مستشفى لينتجراد ، فقد كانت تمضى الوقت فى اعمال التطريز ، ووجدت ان فى استطاعتها ان تعثر على الخيط ذى اللون المطلوب داخل كيس الخيوط دون ان تنظر الى محتويات الكيس ، فكانت تلتقط باصابعها من داخل الكيس اى لون تريده بين عشرات الخيوط والالوان المتماثلة فى الحجم والملمس .

وحدث بعد ذلك ان قرات نيليا مقالا فى احدى المجلات عن سيدة شابة فى مدينة تاجيل بجبال الأورال قيل انها تستطيع ان « ترى » باصابعها ، فابلغت نيليا تجربتها الخاصة الى طبيبها الذى لفت بدوره نظر فاسيليف الى هذه الحالة .

وكانت هذه السيدة الشابة من مدينة تاجيل ، وتدعى روزا كوليشوفا ، قد ذهبت الى طبيبها ذات يوم فى عام ١٩٦٢ ، وابلغته انها اكتشفت ان فى استطاعتها أن تميز بين الالوان وان تقرا الحروف المطبوعة باستخدام اصابعها ، وبالطبع لم يصدق الطبيب الى ان عرضت روزا قدراتها عليه فاقتنع بها ، وابلغ زملاءه الاطباء باكتشافه . ومن بين هؤلاء البروفيسور ابرام نوفوميسكى الذى





لقطتان للظاهرة الاستحراك ، حيث يبدو في احداهما الطبق مثلا على المائدة والحساء ينسكب منه .. وفي الصورة الأخرى يبدو الكرسي معلقا في الهواء !

اختبر بنفسه قدرات روزا وشهد بانها حقيقية .

وسرعان ما استدعيت هذه القروية التاجيلية لتقوم بعرض قواها امام فريق من اكبر علماء موسكو ، في معهد الطبيعة الحيوية باكاديمية العلوم السوفيتية ، واجرى العلماء عليها تجارب صممت بحيث تستبعد احتمال تفسير الظاهرة بالتليباثي أو الاستبصار ، واكدوا بعد ذلك ان روزا تملك حساسية خاصة في جلدها تمكنها فعلا من « الرؤيـــة » باصابعها !

وكان من الممكن اعتبار حالة روزا كوليشوفا غير ذات اهمية كبيرة لو انها كانت حـــالة نادرة ، غير ان الابحـــاث والتجـــارب التاليـــة التى اجراهـــا البروفيسور نوفوميسكى وفريقه اظهرت ان « الرؤية بالجلد » امكانية يمكن تنميتها لدى كثير من الناس ، وقد تمكنت روزا نفسها من تنمية هذه القدرة تدريجيا ، ففي اول الامر كانت تستطيع ان « ترى » باصابع يدها اليمنى فقط ، ولكنها تعلمت فيما بعد ان ترى باصابع يديها الاثنتين وباجزاء اخرى من جسدها كالمرفق . ووجد نوفوميسكى ان شخصا على الاقل من بين كل ستة اشخاص يستطيع خلال نصف ساعة ان يتعلم كيف يفرق بين لونين بواسطة اللمس ، وبعض الاشخاص اســــتطاعوا تمييز الالوان كلهـــا وهم يتفقون عامة على أن كل لون له ملمس خاص ، فالأزرق الفاتح ، ناعم ، مثلا ، بينما الاصفر منزلق ، والبرتقالي جامد وجاف ، وهكذا . كما وجد الاشـــــخاص الذين يستطيعون تمييز الالوان باللمس ان كل لون يشع الاحساس الخاص به الى مسافة ما ، فاصبح في امكانهم ان يعرفوا اللون بمجرد مرور الاصبع من فوقه بدون لمسه بالفعل ، فاشعاع اللون الاحمر مثلا هو أعلى الاشعاعات المحسوسة بينما ادناها هو اشعاع الازرق الفاتح ، وعلى اساس هذا الدليل اقترح نوفوميسكى ان الرؤية بالجلد يمكن تفسيرها بالتفاعل بين الحقول الكهرومغناطيسية الناتجة من اللون وتلك المحيطة بالجسم البشري .

تصوير كيرليان

ومن أشهر ابحاث الباراسيكلـوجي السوفيتية ما يعرف باسم « تصـــوير كيرليان » . فقد تمكن سيميون وفالنتينا كيرليان منذ ٣٠ عاماً ، وباستخدام تيارات كهربائية عالية التردد ، من الحصول على صور للكائنات الحية تحيط بها هالة من اللمعان متعددة الالوان ، هذه الهالة التى اسمياها « الجسم البلازمى » ربما هي التى اكتشفها وفحصها فيما بعد علماء من أمثال جولاييف وسيرجييف ، ويقال ان جميع الأجسام الحية يحيط بها هذا الجسم البلازمى ، وقد تمكن كيرليان من التقاط صور لأوراق النباتات تبدو فيهـا بوضوح اشعاعات مرئية ، كما ثبت ان هذه الهالة تتغير اذا اصيب النبات بمرض ، وبالمثل فان التغيرات في الهالة التى تحيط بالانسان تدل على تقلبات حالته الذهنية والبدنية .

ومن الطريف ان نتذكر هنا اعتقاد القدماء بوجود مايسمى بالجسم الاثيري متفاعلا مع الجسم العضوي ، وبهذا تبدو اكتشافات كيرليان وزملائه الباحثين في الاتحاد السوفيتي كما لو كانت تؤيد اعتقاداً قديما يعتبره العلماء الآن في الشرق والغرب بمثابة خرافة !

وعلى اى الاحوال ، فان اكتشاف هذا المجال يمكن ان يؤدي الى تطورات هامة في علم الباراسيكلوجي ، اذ يبدو من المحتمل ان تفسر هذه الطاقة المادية المنبعثة من الجسم ظاهرة الاستحراك ، كما يمكن ان تلعب دوراً في العلاج الروحي وفي ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس ، مما يشير الى احتمال ان تشهد السنوات القـــادمة تطـــورات مثيرة في الباراسيكلوجي تخرج من معامل الأبحاث في دول المعسكر الشرقي .

● ●

عود على بدء

قد يكون من المفيد فى ختام هـــذه المقالات عن الباراسيكلوجى ، ذلك العلم الجديد الذى بدا يفرض نفسه على معامل الابحاث فى الغرب والشرق ، ان نعود فنلخص اهم معالم الموضوع كى يتبلور فى ذهن القارىء ..

هناك نوعان رئيسيان من الظواهــر الباراسيكلوجية :نوع يتعلق بالمعرفة كما فى حالة التخاطر (التليبـــاثى) والاستبصار (كلير فويانس) والعرافة والتنبؤ ، وفى هذه الحالات يعتقد ان الشخص قد تلقى معلومات او معرفة من افكار شخص اخر او من احداث المستقبل بدون استخدام وسائل الاحساس العادية ، ومن هنا جاء تعبير « الادراك خارج نطاق الحواس » . والنوع الآخر ذو طبيعة مادية كالقدرة على تحريك الاشياء بدون لمسها والارتفاع فى الهواء ، واستحضار الاشياء البعيدة ، والخروج من الجسد ، والطب الروحى ، وهذه يجمعها تعبير « الاستحراك النفسى » ، والنوعان بالطبع يجمعهما تعبير الظواهر الباراسيكلوجية او علم النفس الغيبى .

وبالرغم من ان الاعتقاد فى وجود هذه الظواهر قديم ومسجل منذ فجر التاريخ المكتوب إلا ان الاهتمام العلمى بها حديث نسبياً ولا يرجع الى اكثر من قرن من الزمان . وقبل انتصار العلم الحديث على الخرافة كانت اسباب مثل هذه الظواهر غير مفهومة ، فكان الناس يرجعونها الى تدخل قوى او كائنات فوق بشريــة (كالاشـــباح والشـــياطين والسحرة والجن والكائنـــات الاسطوريــة) . وكان ميدان هذه الظواهر مفتوحا امام جميع انواع المحتالين والدجالين لاستغلال البسطاء من الناس ، ولكن حتى العلماء كانوا يعتقدون فى صحة هذه الظاهرة ، فمثلا كان العالم الفلكى الكبير جوهانز كيلر يكسب رزقه بقراءة الطالع للاثرياء .

ولا يزال وجــــود الظـــــاهرة الباراسيكلوجية الى يومنا هذا محل نزاع كبير ، بالرغم من ان جمعيات كثيرة تضم عديداً من العلماء البارزين والباحثين المنزهين قد تصدت لبحث هذه الظواهر منذ اكثر من قرن ، وبالرغم من ان الموضوع اصبح يبحث الآن فى كثير من الاقسام الاكاديمية فى الجامعات الامريكية والاوربية والسوفيتية . وكثيراً ما تخرج الخصومة حول هذا الموضوع عن حــد المناقشة العلمية الهادئة ، ويتمسك المعارضون والمؤيدون على السواء بان موقفهم هو الموقف العلمى الوحيد الذى لا يقبل النقض ، ومن هنا يصبح من العسير الوصول الى اتفاق .

وترجع هذه الحساسية البالغة ازاء الظواهر الباراسيكلوجية الى انها تبدو مناقضة لما استقر عليه العلم الحديث من مفاهيم ثابتة كالوزن والكثافة والزمن والطاقة والمادة والسببية ، ومعنى ذلك اما ان تكون هذه الظواهر خاطئة اساساً وضرباً من الوهم والخيال او ان يكون علينا ان نغير من مفاهيمنا العلميـــة الثابتة .

ولكن ، هل نحن حقاً أمام حدين متناقضين ينفى احدهما الآخر ، كالنور والظلام ، والوجود والعدم ؟ ان كثيراً من الأشياء التى كانت مستحيلة علمياً فى الماضى قد ثبتت صحتها العلمية الآن ، وكثيراً مما كان يعتقد انه من قبيل المعجزات وضروب السحر اصبحت اسرارها مفهومة الآن ، وكثيراً من الامنيات التى فكر فيها الانسان كضرب من الخيال لتعارضها مع المفاهيم الثابتة انذاك ، اصبحت حقيقة واقعة .

والامر لا يختلف ازاء ظواهــــر الباراسيكلوجى ، فنحن اذ نرصد وجودها لا نعرف بعد كيف تعمل ، واى القوانين تنطبق عليها ، فالمشكلة تكمن فى حدود معرفتنا ، ولا تتعلق باستحالة ذاتية فى الظاهرة ، واذا عرفنا القوانين التى تتحكم فى الظواهر الباراسيكلوجية زالت اية دهشة بصددها واصبحت من طبيعة الاشياء ، فنحن مثلا لا ندهش الآن لالتقاط موجات الراديو واللاسلكى على بعد آلاف الأميال ولكننا نقف مدهوشين امام ظاهرة التخاطر . ولا نكذب جهاز التليفزيون ولكننا نقسم على تكذيب ظاهـــرة الاستبصار . ولا نستبعد السباحة فى الفضاء خارج نطاق الجاذبية الارضية ولكن لا نتصور امكان السباحة فى الهواء او تحريك الاشياء بدون لمسها .

والواقع ان المشكلة الرئيسية التى تواجه البـــاراسيكلوجيين هى عدم الاهتداء حتى الآن الى نظرية علمية شاملة تفسر هذه الظواهر رغم وجودها الفعلى ، وقد قبلت عدة نظريات فى هذا الشان ولكنها لم تكن اكثر من محاولات فلسفية لا ترقى الى مستوى الدليل العلمى القاطع ، ومن الممكن تجميع هذه النظريات فى المجموعات التالية :

(١) النظريات المادية ، التى تفسر الظاهرة محل الجدل بانها ترجع الى نوع من الطاقة المادية لم يكتشف بعد ، وهذه الطاقة تختلف عن انواع الطاقة الاخرى فى انها لا تخضع لقانون التربيع العكسى اذ يبدو ان المسافة لا تاثير لها فى ظواهر الباراسيكلوجى .

(٢) نظريات المجال ، وهى لا تختلف كثيراً عن النظريات المادية ، ولكنها تفسر الظاهرة بمجالات القوى لا بالطاقة فى حد ذاتها ، وهى ايضا تواجه نفس الصعوبة وهى ان المجال الذى يفسرها لم يكتشف بعــد .

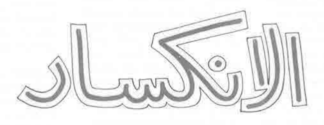
(٣) نظرية العقل اللاواعى الجماعى ، وبمقتضى هذه النظرية تشترك جميع الكائنات الحية فى مصدر واحد مشترك غامض لا واع للمعرفة ، ويمكن لاجزاء من لا وعى احد الاشخاص ان تتعامل مع لا وعى شخص اخر . ولكن مثل هذا التفسير يثير من المشاكل اكثر مما يحل منها ، فانه لا سبيل الى فحص هذا اللاوعى الجماعى بله الاقرار بوجوده ، فهو تفسير فلسفى نظرى لا يقوم عليه دليل .

(٤) نظرية القذف الــــذهنى .. وبمقتضاها يتمتع الذهن البشرى بالقدرة على العمل خارج نطاق العالم المادى ولكنه يستطيع التاثير ايضا فيه . ومثل هذه النظريات معناها فى الحقيقة الاقرار بوجود الظاهرة ، لا تفسيرها .

وهناك نظريات اخرى مماثلة ، ولكنها جميعا لم تكتسب قبولا عاما ، ولم تثبت اى منها فائدة عملية للعاملين فى مجال الابحاث الباراسيكلوجية . او باختصار ، اننا لا نعرف كيف ولماذا تعمل ظواهر البـــاراسيكلوجى ، هـذا اذا اعترفنا بوجودها فعلا .

والخلاصة ان هناك ظواهر يبدو انها تعمل خارج نطاق القوانين المعتادة فى الطبيعة وعلم النفس ، ولكننا لم نستطع حتى الآن ان نخضع هذه الظواهر لرقابة تجريبية كافية ، والى ان يحدث ذلك ، والى ان يمكن وضع نظريات كمية شاملة تفسر هذه الظواهر فعلا ولا تتسول هذا التفسير تسولا ، قد يكون من الحكمة ان نتوقف عن الخوض فى مثل هذه الظواهر . !

محمد العزب موسى



قصة بقلم : كلثم جبر

(١)

الوقت فجر .ونداء المؤذن يخترق ضباب هذه المدينة الصامتة وحزنها ، ويتغلغل من خلال الستائر للسدلة فوق النوافذ فيوقظ من شف نومه طيبا ذلك النداء .

تمدد الحزن سكن الخافق منه والذاكرة .. تشبث بزر « الاباجورة » بجانبه وبقية من إرادة . التهم الصراع بداخله الحزن وجر قدميه متوضئا متسللا عبر ابواب منزله حيث النداء ، مرتكنا بعد ذلك طرفا من المسجد . تهاطل الدمع به والأسى !

(٢)

يعلم أن العيون بالداخل تحاصره .. وتحصى حركاته .. تابط أوراقه والحزن ، راقبته النظرات النهمة بوجع .. اخترقت المسام منه حتى النخاع تناول الكوب الدافىء من الحليب .. العيون لم تزل تحاصره ابتسم لهم قبل أن يتجرع القطرات الاولى الدافئة .

وهمس :

– صباح الخير .

صاح صوت اجش اقتبس وحشية الحياة :

– إلى أين تتجه فى هذا الصباح ؟

ابتسم ثانية رغم الوجع ..

– إلى العمل يا أبي .

واصل رشف الحليب الدافىء بهدوء .. تمازجت القطرات اتحدت بدهشة برزت السخرية من العيون .. تعالت حتى القهقهة المكتومة ردد الصدى صوت غاضب ..

– قلت إلى اين ؟

وضع كوب الحليب وغضـــبه فى الصينية .. تابط الورق وحزنه .. دلف خارجا . وهو يجابه الصوت هامسا والدمع بداخله :

– إلى العمل يا اخى .

(٣)

يتسلل النور وخوفه إلى « البناية » الضاربة حتى السماء ، يدلف من البوابة الحديدية يلقي بنفسه فى « المصعد » بتلك الوزارة التى يعمل بها قبل ان ... يواجه نفسه كاملا لاول مرة فى مراة « المصعد » الطويلة يتحسس الوجه الحليق منه واليدين ،ويتابع رحلة نظراته عبر الثوب المهندم والرائحة الطيبة به .. يستجدى الثقة والقوة ـ ويبتسم وتراكم الهموم بداخله .. يفتح باب المصعد النظرة الأولى للمنتظر بالخارج قدوم « المصعد » تصعقه يرجف الرجل المنتظر حينما تلاقت النظرات .. يتراجع للوراء ويهرول راكضا .

يستجدى الثقة والقوة يتابع السير حيث مكتب « المدير العام » متجاهلا هرولة الرجل الراكض .. يقرع الباب ويدلف ..

يتوارى بالمقعد العريض يمد اوراقه وحزنه يفردها فوق مكتب المدير يواجـه نظراته الجزعة ويهمس بوجع يتساقط فى نفسه ..

– إنها شهادة الطبيب .. وتاكيد فى رئاسة الصحة العامة على شـــفائي وصلاحية عودتى للعمل ثانية .

يزمجر المدير برعب مكتوم ..

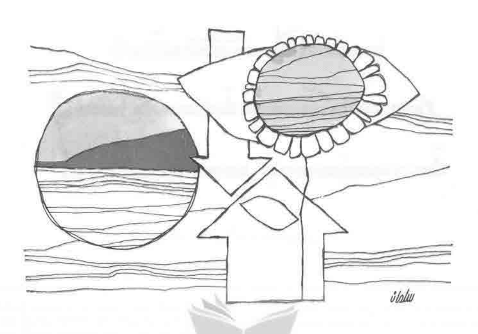
– ولكن .. ؟!

يستجدى القوة .. ويصمد ..

– يحق لي العودة للعمل قانونا .

(٤)

تتكسر الاضاءات بداخله .. يتلون القهر .. يتحد .. يمتزج .. يقاوم الضباب الزاحف إليه يحاول الانتصار .. يود الحديث ودفء الاسرة .. هربت العيون والوجوه منه لاذت ببقية غرف المنزل .. تنمر الوريد منه الوحدة .. يود الحديث .. يقرع الهاتف بجانبه .. يقاوم الضباب ويرفع السماعة :



ـ لماذا تأخرت فى الرد ؟

كقطرات ينبوع بارد فى امسية هجيرية ارتشف صوتها الهامس عبر الأثير وبقايا الضباب الزاحف إليه ..

ـ اقاوم السواد .

ـ هل عدت للعمل ؟

ـ اقاوم السواد .

ـ هل استقبلك الجميع بود ؟

ـ اقاوم السواد .

ـ امازالوا يخافونك ؟

ـ اقاوم السواد .

ـ اود الزواج بك .

ـ آه .

وصمت .. وهى تمارس الصدق بطلبها يوم أن وعت أن للانسان بعــدا أعمق .. من بعده المادى .

(٥)

يرعد المساء بالقسوة والوجع ..

تتساقط الصور فى الذاكرة تبرز امام عينيه ..

المكاتب خالية .. الغرفة ملساء خالية .. الجدران موحشة .. الأقدام والوجوه أين هى .. بحث عن رفاق المكتب لم يجدهم فتح الباب واستفسر :

ـ اين ذهبوا ؟

اجابه الصوت المحب له لعامل يقــوم بخدمتهم بتلك الوزارة ..

ـ لقد انتقلوا لمكتب اخر يا بني خوفا منك .

يمد الظلام رماديته الموغلة فى الحزن والنحيب يكسو الجدران الملساء حوله؛ اصوات الهمهمات وقسمات « المرض » الشاحبة .

تنحب الذاكرة حزنا فتتجسد الصور .

ـ امى اود الزواج بها .

ـ من ؟ ابنة عمك .. ولكن ؟

ـ هى موافقة يا امي .

ـ ولكن .. ؟

ـ هى قالت ذلك يا امي .

يزمجر صوت وراء كتفيه لوجه غــاضب يسحب الكتف منه ويصرخ :

ـ انت يا هذا تود الزواج بمن ؟

ـ ابي !

ـ هل نسيت ما انت به ؟

ـ ولكن .. الطبيب اكد شفائي ،

يهز الحزن بداخله حتى النخاع ويصرخ

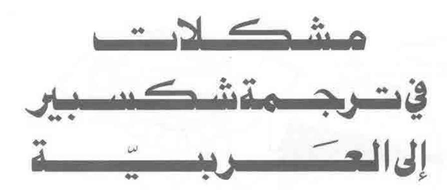
ـ اغرب عن وجهي .

فوق الأرض الباردة يتكوم قنفــذي الاحساس ـ عشرات العيون تلاحقه تبرق بالحزن والهذيان تتساقط باروقته الداخلية .. يتكوم اكثر ـ وجه « المرض » يقترب منه وعشرات العيون .. يلتصق بالحائط .. العويل بداخله والخواء .. يعوي .. يعوي ..

كف راكضة تنهال فوق وجهه .. صوت والده يرعد بالذاكرة .

ـ لم اجن بعد حتى ازوج مجنونا من ابنة اخي .

الداخل موغل بالظلمة والرعب .. تتساقط الأشياء بداخله .. تنكفيء .. تموت .. تموت .. فوق وجهه آثار الصفعة .. يعوي .. ويدا المرض القويتـــان تقيدانه فوق السرير !!



بقلم: الدكتورة أمل أمين زكي

استهوت مسرحيات شكسبير بلغتها الغنية الجزلة ومواقفها الدرامية الاخاذة ذوق العرب فى اوائل عهد نهضتهم الحديثة واتصالهم بالعالم الغربى فكانت مسرحياته من اوائل ما ترجم الى العربية فى العصر الحديث منها مسرحيات ترجمت اكثر من مرة من قبل ادباء من مختلف الاقطار العربية .

وشكسبير فى الانجليزية ظاهرة ادبية قائمة بذاتها عكف على دراستها العديد من المتخصصين والفوا فى معانيها وتعابيرها المعاجم وكتب الشروح . بل ان هناك كتبا خاصة بقواعد اللغة الشكسبيرية وصرفها ونحوها . وما توقف الدراسون عن تناول مؤلفات شكسبير ولا اخالهم سيتوقفون .

والذى لا نعلمه هو مدى اطلاع المترجمين العرب الاوائل على هذه المعاجم والتفاسير . فان المترجم العربى لم يذل حظا كبيرا من التوفيق فى الترجمة سواء اعتمد المعاجم المتخصصة ام انه استعان بما كان فى متناول يده من القواميس العامة . وكثير من التعابير الشكسبيرية والمعانى واللمحات الفنية استغلقت على فهمه . كما انه واجه عددا من التحديات والمشكلات التى استوجبت البراعة والكياسة عند الترجمة لكي تكون لغة المسرحية سلسة واضحة للفهم مستساغة من قبل جمهور المشاهدين العرب . ومن بين تلك التحديات ترجمة ما جاء فى المسرحيات من قسم او لعنة . وقد عالج المترجمون تلك المشكلات كل على طريقته الخاصة . وهذه الدراسة تعقد مقارنة بين الاساليب التى اتبعها المترجمون فى ذلك : وهى تتناول الترجمات التى اطلعت عليها شخصيا وقارنتها مع النص الاصلي لمسرحيات شكسبير ● ●

إن التهاون فى اطلاق القسم وفى استنزال اللعنات فعل غير مستحب فى جميع الديانات السماوية لما يقتضيه ذكر المولى سبحانه وتعالى من اجلال وتبجيل وفى القرآن الكريم ذكر صريح للغو فى الايمان فى كلام الناس . ولكن برغم ذلك تكثر عبارات القسم واللعن فى كل اللغات وفى كافة الحضارات . وللقسم وظيفة معروفة يحددها كاظم الراوى (١) بقوله « القسم يتخذ وسيلة من وسائل تاكيد القول او الخبر خاصة إذا اريد العزم او الاصرار على امر من الامور او الزام النفس بشيء معين » . الا ان صياغة القسم واسلوبه ووقعه على الاذن وفى النفس يختلف باختلاف الشعوب ويتباين ذوقها ومزاجها وبناها الثقافية واللغوية . من هنا كانت ترجمة الايمان واللعنات الى العربية واحدة من التحديات اللغوية والفنية التى جابهت المترجم لمسرحيات مكتوبة فى الاصل لمشاهد تختلف خلفياته الفكرية والثقافية عمن تترجم له المسرحية .

وشكسبير لم يتردد فى استعمال القسم كلما استوجبت حوارياته ذلك (٢) . فان ابطاله وشخوصه ، رجالا ونساء ، وسواء كانوا من النبلاء او العوام ، جميعهم ورد على لسانهم ذكر الله جل جلاله . ضارعين اليه تارة مقسمين به طورا ، متوكلين عليه وواثقين به فى احيان كثيرة . كما جاءت على لسانهم اسماء مشاهير القديسين للغرض نفسه . ومع أن الطابع المسيحى يغلب على ايمانهم عادة ، الا ان شكسبير كثيرا ما اقحم الهة الاغريق الوثنية بدلا من اسم المسيح عليه السلام او اسم العذراء او القديسين تقليدا او تحرجا من ابتذال القسم بالله جل جلاله . ولعلها كانت اساليب فى القسم مستعملة فى زمانه وموروثة من العصور الوثنية .

الايْمان التى يطلقها ابطال شكسبير تكون مستمدة من اساليب القسم عند المسيحيين كما اسلفنا الا ان بعض الصياغات او التعابير قد تبدو للمشاهد المسلم كفرا وتجديفا . كما أن البعض الآخر قد يستعصي على فهمه وتقديره .

هـــــؤلاء هم أهم من ترجمـــــوا شكســــبير إلى العربيـــــة



محمد السباعي



علي احمد باكثير





جبرا ابراهيم جبرا



د . محمد عوض محمد





د . محمد عنانى



خليل مطران

وليم شكسبير



د . لويس عوض

وقد واجه مترجم مسرحيات شكسبير هذا الاشكال حسب مقتضى الحال . فغالبـــا ما قام باجراء تحوير بسيط على القسم لجعله مناسبا للعقيدة الاسلامية او انه لجا الى حذفه منعا للحرج . والاعجب من هذا وذاك ان المترجم العربى عمد احيانا الى اضافة ايْمان من عنده فى مواضع لا وجود للقسم فيها فى النص الاصلى لانه شعر بان المتكلم المسلم لابد ان يطلق يمينا فى مثل تلك المناسبة ! وسوف يتناول هذا البحث الاساليب التى عولج فيها القَسَم من قبل الادباء الذين ترجموا مسرحيات شكسبير الى العربية من ترجمته ترجمة حرفية عن الاصل الى إدخال بعض التحوير عليه ، او استبداله بقسم اسلامي معروف ، إلى حذفه من الترجمة كليا .

تحويرات ضرورية

والمعروف ان محمد السباعي أديب معروف له فضل القيام بترجمة عدد من مسرحيات شكسبير الى جانب كتب عديدة عربها عن الانكليزية . هذا المترجم كان ابرز من حرصوا على صياغة اليمين الشكسبيرى صياغة اسلامية صرفة . مثلا فى مسرحية كوريولانس (٣) التى نشرت ترجمتها عام ١٩١١ ـ وهى مسرحية تقع احداثها فى اقدم حقبات التاريخ الروماني فى اواخر القرن الخامس قبل الميلاد ـ فى ترجمة هذه المسرحية بالذات كانت الايمان التى استعملها السباعى اسلامية المفهوم والصياغة اكثر منها فى اى ترجمة اخرى . مثلا فى هذه المسرحية يغضب كايوس مارسيوس فى حواره مع منينيوس فيستعمل يمين « الموت » (كوريولانس ف ١ ، م ١ ، س ٢٠٣) * وذلك يعنى كما يفسره هاريسون (٤) « قسما بموت الرب » وهذا القسم كما لا يخفى لا يقبله المشاهد المسلم بل يراه كفرا وتجديفا لعلمه بان الله خالد ازلى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام » لذا فان القسم فى الترجمة العربية يجب ان يتغير

تغييرا جذريا او ان يحذف . وقد اثر المترجمون العرب ان يحوروا هذا القسم بما يلائم مجتمعهم . فترجمه السباعي هكذا : « قسما بالموت الزؤام » اي بالموت المفاجيء (كوريولانس صفحة ١٤ ، س ١٤) (٣) . اما على امام عطية الذى ترجم هذه المسرحية عام ١٩٢٧ اى بعد السباعى بستة عشر عاما ، فانه حور القسم كما فعل السباعي ولكنه استعمل تعبير « قسما بالموت » (ص ١٦ ، س ١٠) (٥) .

وسواء كان المترجمان الفاضلان على علم بحقيقة معنى هذا القسم المرفوضة من قبل مستمعيهم ام لم يعلما ، فان الاسلوب المنبرى الذى استعملاه فى الترجمة كان موفقا كما ان التعبير جاء مقبولا لا يسبب احراجا لاحد . اما فى ترجمة جبرا ابراهيم جبرا لهذه المسرحية عام ١٩٧٤ (٦) فقد انقلب القسم الى سباب بقوله « باللعنة » (ص ٥١ ، س ٣) . ومع ان هذا التعبير لا يلتزم بحرفية النص الا انه يحافظ على مزاج الغضب الذى قصده شكسبير فى المشهد .

وعند تناول اللعن الوثني « بلوتو والجحيم » (ف ١ ، م ٤ ، س ٣٦) الذى يرميه ماريوس فى وجه الجنود الرومان حين تراجعوا امام العدو ، فقد تصرف السباعى بهذه اللعنات تصرفا جميلا وكانها سباب صادر من مسلم حانق يتكلم فى جمع من المسلمين ذلك لانه كان يعلم بانه يكتب لجمهور تجهل اكثريته شخوص الأساطير اليونانية ـ الرومانية امثال بلوتو فاختار ان يغير التعبير بما يشبهه بعض الشيء بدلا من التمسك بحرفية النص ثم قام بشرح ذلك فى هامش للصفحة فترجم التعبير هكذا « اين انت يا مالك واين جهنم فتبتلعهم » (كوريولانس ص ٣٠ ، س ١٥) . وبذلك غير اسم بلوتو سيد العالم السفلي فى اساطير الرومان باسم مالك خازن النار فى العقيدة الإسلامية . ومالك مفهوم اسلامي صرف بعيد عن عالم شكسبير وعقائده وثقافته . الا انه يلائم اذن المستمع العربى وذوقه الى جانب تعبيره عن المزاج الذى اراده شكسبير للمشهد . اما المترجم عطية (٥) فانه تجاهل شخصية بلوتو ولم يعوضها بشخصية اخرى بل انه وضع جملة جديدة من عنده فقال « ليت جهنم تفغر فاها فتبتلعهم » (ص ٢٦ ، س ٢) وهو تعبير لا يتعارض مع عقائد العرب ولا يمس اوتارا حساسة . كما ان استعمال كلمة جهنم باللغة العربية لا يحمل وقعا غير مهذب كما هو الحال فى الانكليزية . لذا فقد تناولها المترجمون بسهولة ومن دون تحرج كما سيظهر لنا فى هذا البحث .

اما جبرا فان ترجمته المتأخرة للمسرحية عام ١٩٧٠ كانت لجمهور عربى اوسع اطلاعا على اداب اليونان والرومان من جمهور المترجمين السابقين لذا فانه ترجم اللعنة ترجمة تكاد تكون حرفية « يالبلوتو والجحيم » (ص ٦٥ ، س ١٦) معتمدا على حسن فهم المثقفين من العرب لهذه المعانى .

وفى الخطبة ذاتها من هذه المسرحية يقسم مارسيوس مهددا جنوده بقوله « قسما بنيران السماء سوف اترك العدو واشن حربى عليكم » (ف ١ ، م ٤ ، س ٣٩ ـ ٤٠) وهنا يسوق السباعى قسما مليئا رائعا عظيم الوقع فى النفس ماخوذا من القران المجيد نصا فيترجم « والسماء والطارق » . والطارق الذى ورد فى الاية الكريمة فى مستهل سورة ٨٦ من القران المجيد هو النجم الثاقب . وقد فسر كل من هاريسون (٤) وريفر وكتردج (٧) نيران السماء بانها النجوم . فتعبير السباعى اذن يمكن ان يعتبر ترجمة حرفية جميلة بليغة امينة للنص وملائمة لذوق ومزاج المستمع العربى . اما عطية فانه اهمل ذكر هذا القسم ولم يورده كليا فى ترجمته . واما جبرا ، فانه تمسك حرفيا بنص بيت الشعر دون معناه فقال : « قسما بنيران السماء » (ص ٦٥ ، س ١٧) متجاوزا المعنى المتفق عليه والذى يشير الى نجوم السماء .

وهنالك فى المسرحية نفسها نصيحة من منينيوس الى كوريولانس حين يهم الاخير بان يقوم خطيبا فى الناخبين اوردها شكسبير حرفيا هكذا « بهدوء اتوسل اليك (ف ٣ ، م ٣ ، س ٣١) . وقد طور عطية هذا التعبير باضافة قسم من عنده ليس فى النص فقال : « استعمل الهدوء وفقك الله الى هداه » (ص ٨٠ ، س ٢٠) . اما جبرا فانه كعادته تمسك بحرفية النص فترجم العبارة هكذا « بهدوء اتوسل اليك » (ص ١٥٠ ، س ٩) وفى رايي اننا لو ترجمنا العبارة بقولنا « بهدوء رحماك » او « وكن هادئا رحماك » لجمعت الترجمة بين حرفية النص وايجازه وبين سلامة الاستعمال اللغوى وطبيعة مزاج المستمع العربى فى ان واحد .

وفى مسرحية روميو وجولييت فى اول بيت منها يمين بسيط من قبيل اللغو فى قول احد خدام بيت كابيوليت « كريكورى وكلمتي ، لن نحمل الفحم » . وهذا قسم غير مستعمل فى العربية . لذا تصرف فيه المترجمون بما راوه مناسبا . فقد ترجمه باكثير (٨) بكلمة « قسما » وترجمه عنانى (٩) بكلمة « اقسم » اما مؤنس طه حسين (١٠) . فقد استعمل كلمة «لعمرى» وكلها تعابير سليمة كثيرة الاستعمال فى العربية . الا اننا نرى فى ترجمة مؤنس طه حسين معنى قريبا جدا من القسم الذى استعمل فى الانكليزية الى جانب سلامة التعبير واصالته وجمال وقعه على المشاهدين .

اما يمين « مارى » (ف ١ ، م ١ ، س ٣٤) الذى جاء بعد ذلك فى الحوار بين الخادمين والذى تقول ادوردز (١١) بانه تعبير مشتق من اسم العذراء عليها السلام ، فقد اهمل ذكره المترجمون الثلاثة جميعهم من دون مبرر . ومرة اخرى لم يشكل ذكر الجحيم فى هذه المسرحية صعوبة تذكر عند الترجمة . ففى قول تيبلت « اكره هذه الكلمة كما اكره الجحيم » (ف ١ ، م ٢ ، س ٦٤ ـ ٦٥) تمت ترجمة هذه العبارة من قبل المترجمين جميعا باستعمال كلمة « جهنم » او « جحيم » من دون تحرج او تردد .

اضافة للنص

وفى اضافة المترجم لقسم لا وجود له فى النص امثلة عديدة منها ما فعل باكثير (٨) فى مسرحية روميو وجولييت عند ترجمة قول الامير « لتكونن ارواحكم طعما للسلام » (ف ١ ، م ١ ، س ٩٠) فترجمها باكثير والله لتكونن ارواحكم طعما للسلام » . وقد اضفى هذا اليمين على الاصل تلقائية فى استرسال الكلام . ذلك ان القسم فى هذا الموضع وارد جدا على لسان العربى الذى يريد ان يعطي كلامه صفة التاكيد والتاثير ، فارتاى باكثير ان يضيفه بصرف النظر عن النص الشكسبيرى . كذلك فعل عند ترجمة قول

لیدی مونتاكو عن ولدها « انا مسرورة لانه لم يحضر هذه المماحكة » (ف ١ ، م ١ ، س ١١١) فجاءت ترجمة باكثير منسجمة مع ما تقوله ام عربية فى مثل هذه المناسبة « يا رب لك الحمد اذ لم يكن حاضرا اليوم » (ص ١٤ ، س ٤) والحمد بهذه المناسبة ينطلق من الام العربية تلقائيا من دون شك لذا فقد اضافه باكثير بصرف النظر عن الالتزام بحرفية النص كما اسلفنا .

كذلك فعل باكثير فى مشهد اخر من المسرحية ذاتها حين يسال بنفوليو والد روميو (مونتاكو) هل يعرف لماذا يبدو روميو متعزلا متجنبا لقاء الآخرين فيجيب مونتاكو بانه سال روميو كما تساءل عن ذلك الكثير من الصحاب . ونص هذا البيت هو « من قبلي ومن قبل كثير من الاصدقاء » (ف ١ . م ، س ١٤٠) . فيضيف باكثير نصا لا وجود له فى النص فيقول « اى وربي كم توخيت بنفسى وكثير من صحابى ذاك » (ص ١٥ ، س ٤ ـ ٥) . ومرة اخرى اضفى اليمين على قول الوالد المشفق تلقائية عربية سلسة على كونه مقحم على النص الشكسبيرى .

وفى مكان اخر حشر باكثير قسمه المفضل حيث لا يحوى النص قسما وذلك حين يتحدث بنفوليو مع روميـــو عن روزالين فيجيب روميو بالايجـــــاب « She hath » (ف ١ . م ١ ، س ٢١١ ـ ٢١٢) فترجم ذلك باكثير بتعبير « اى وربي » (ص ١٨ ، س ١١) .

وبهذه المناسبة نذكر بان لكل مترجم قسمه العربى المفضل الذى يتكرر كثيرا فى الترجمة . فان احب قسم الى نفس باكثير عند ترجمة شكسبير الى العربية هـــو « اى وربي » الذى يرد كثيرا فى ترجماته . اما مؤنس طه حسين فانه يفضل تعبير « لعمرى » . واما عنانى فانه لا يؤثر قسما واحدا بل هو يغير تعابيره حسب ما يراه ملائما لمقتضى الحال .

و مربية جولييت بالنظر لعقليتهـــا وطبيعة صفاتها تكثر من استعمـــال الايمان . ولكن معظم ايمانها تكون خفيفة من قبيل اللغو فى الايمان . كالقسم الذي تفوه به حين تسال كم تبلغ جولييت من العمر فتقول والعقيدة استطيع ان اعطي عمرها الى حد الساعة » (ف ١ ، م ٣ س ١١) . هنا حذف باكثير هذا القسم من الترجمة في حين ترجمه مؤنس طه حسين

ترجمة موفقة بقوله « لعمري » (ص ٤١ ، س ٢١) . وفي المشهد ذاته تقسم المربية مرة اخرى فتقول « والصليب » (ف ١ ، م ٣ س ٣٦) والمقصود هو صليب السيد



صورة نادرة تجمع بين د . طه حسين وقرينته السيدة سوزان ، وابنهما مؤنس طه حسين الذى ترجم بعد ـ انهاء دراساته ـ بعض مسرحيات شكسبير إلى العربية .

المسيح عليه السلام (٧) فيهمل باكثير هذا اليمين ويترجمه مؤنس طه حسين حرفيا بتعبير مستعمل في اوساط النصارى العرب فيقول « باسم الصليب » (ص ٤٢ ، س ٣٦) وكذلك يفعل في ترجمته (ص ٨٥ س ٤٠) التزاما منهما بحرفية النص الذي له ما يطابقه في العربية .

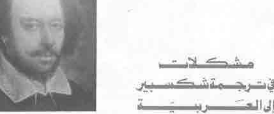
وفي مشهد اخر يقول ابن عم كابيوليت « قسما بسيدتنا » (ف ١ ، م ٥ ، س ٣١) وقد ترجم مؤنس طه حسين هذا القسم بتعبيره المفضل « لعمر العذراء » (ص ٥٧ س ٣٢) اما باكثير فقد اعطاه طابعا اسلاميا باستعماله صفة قرآنية للسيدة العذراء فقد ترجمه هكذا « وحق البتول » (ص ٣٦ ، س ١٣) . فجمع بين امانة الترجمة وجمال التعبير . في حين ترجمه العناني بقوله « اقسم بالعذراء » (ص ٨٧ س ١٦) . وكل هذه التعابير امينة للنص الا اننا نرى في ترجمة باكثير تعبيراً منسجما والجو الشعري الشكسبيري .

ولا يفوت باكثير فرصة لاضافة قسم الى ابيات شكسبير حين يحس بان المناسبة تقتضى ذلك لاضفاء تلقائيـة الحوار العربي عليها . لذا فانه اضاف الى قول تيبالت الذي نصه « انه هو ، روميو ذلك اللئيم » (ف ١ ، م ٥ ، س ٦٢) قسما من عنده فجعله « اي وربي انه روميو اللئيم » (ص ٣٧ ، س ٢٣) .

مترجم اخر لشكسبير هو خليل مطران الذي ينتمي الى جيل السباعي نراه يتعامل مع الايمان الشكسبيرية بشكل كثير الشبه بتعامل السباعي معها . مثال على ذلك يظهر في المشهد الاول لمسرحية هاملت (١٢) حين يتبادل برناردو نوبة الحراسة من فرانسسكو يقول له في النص الانكليزي « حسناطاب مساؤك » (ف ١ ، م ٢ ، س ١١) فيترجم مطران الدور هكذا « اذهب راشداً ، طاب مساؤك » (ص ١٠ ، س ٢) . وهذا التمني الاسلامي الشائع في كلام العرب « اذهب راشداً » يعيد الى الذهن معالجة السباعي التي مر ذكرها بكلام منينيوس الى كوريولانس حين ينصحه بكبح غضبه والتزام جانب الهدوء .

مشاكل اخرى

ومن العجب ان النصوص الشكسبيرية حين اوردت ايمانا قريبة من الايمان العربية كان ذلك يشوش بعض المترجمين العرب فيلجاون الى ترجمة حرفية غالبا ما حورت طبيعة القسم نفسه . مثال ذلك في مسرحية هاملت جـاء على لســان هوراشيو حين راى ظهور شبح الملك الميت « امام ربي / ما كنت لاصدق هذا / لولا التاكد الصحيح الواعي / لعيني راسي » (ف ١ ، م ١ ، س ٥٧ ـ ٥٩) . والقسم بسيط لا تعقيد فيه كما انه مستعمل في كلام العرب الذين كثيرا ما يقولون « الله شاهد او الله شهيد او الله وكيل في لهجتنا العراقية » . ولكن ترجمته اختلفت على ايدي المترجمين . ولقد جاء في معجم شمدت (١٣) ومعنى هذا القسم هكذا « والله » وهو قسم بسيط وشائع في كلام العرب . ولكن مطران اعطاه اداء معقداً بترجمته « اعترف بين يدي ربي » (ص ١٣ س ٦) . ومحمد عوض (١٤) ترجمه هكذا « اقسم امام الله » (ص ٣١ ، س ١٩) . اما ترجمة عبد القادر القط (١٥) التي



يقول فيها « اشهد الله » (ص ٥١ ، س ٧) فاراها تجمع بين حرفية النص وجمال التعبير وشيوعه على لسان العرب . كما أن الترجمة البسيطة لكل من سامي جريديني (١٦) وجبرا ابراهيم جبرا (١٧) « والله » تجمع بين البساطة والامانة للنص والانسجام مع كلام العرب .

مرة اخرى فى مسرحية هاملت تتباين الترجمات العربية حين يذكر هاملت الهة الاغريق الوثنية فى قوله « ذلك الملك الممتاز / مثل هايبريون الى ساتر » (ف ١ ، م ٢ ، س ١٤٠) فقد اثر المترجمون الاوائل لشكسبير اهمال ذكر هذه الآلهة كما فى ترجمة كل من جريديني ومطران ، للاسباب التى جعلت السباعى يهمل ذكرها فى ترجماته ايضا . وهى ادراك المترجم بان اكثرية من يترجم لهم من المشاهدين كانت تجهل اساطير الاغريق ولا تدرك قيمة ما ترمز اليه شخوصها . اما الترجمات المتاخرة لكل من جبرا وعوض والقط فانها تتعامل مع هذه الرموز بشكل مختلف بالنظر لعلمها بزيادة اطلاع الطبقة المثقفة العربية على اساطير الاغريق واسماء ابطالها وشخوصها ورموزها . مثلا جبرا فى تعريبه يضع اسماء الآلهة الاغريقية كما جاءت فى النص الاصلى ، ولكنه يفسر ماهية استعمالها فى شارحة على الهامش جامعا بذلك بين حرفية النص وبين تعريف القارىء العـــربى (وليس مشاهد المسرحية) بماهية الرموز الاسطورية . ذلك لان جبرا الاديب المبدع لا يمكنه ان ينسلخ عن جبرا الاستاذ الجامعى ورسالته فى نشر العلم . وعوض يفعل ذلك ايضا الا انه يسمى ساتر باسم « تيس » اى العنز (ص ٤٤ ، س ١١) . اما القط فكانه يحاول ان يسهل على المشاهد عبء التساءل عن تلك الاسماء فيترجم الاسماء برموزها ويسمى (هايبريون) « الشمس » (ص ٤٤ ، س ١) و (ساتر) « الشهوات » (ص ٦٥ ، س ٢) .

وفى مسرحية هاملت ايضا ، وبعد لقاء هاملت لشبح والده ، يساله صديقاه عن اخباره فيتردد فى البوح بسره خشية ان يفشياه لاحد فيطمئنه هوارشيو بقوله « لست انا ياسيدى والسماء » (ف ١ ، م ٥ ، س ١١٩) . فيتحول هذا القسم على يد مطران يمينا عربيا اسلاميا اذ يقـــول « اقسم برب العزة » (ص ٥٠ ، س ١٣) . وجبرا يترجمه « والله » وهو اليمين الشائع بين الناس . اما جريديني والقط فانهما يلتزمان بحرفية النص « وحق السماء » . واما عوض فانه يحذفه من ترجمته من دون مبرر والموقف يستوجب التاكيد لتطمين هاملت على سره .

كذلك يؤثر جبرا احيانا ان يحذف قسما موجودا فى النص الشكسبيرى كما فى المشهد الذى تذهب فيه اوفيليا الى والدها وتخبره بانها خائفة كثيرا . ففى الاصل يسالها والدها « مم تخافين ، بسم الله ؟ » (ف ٢ ، م ١ ، س ٧٦) ولكن جبرا حذف القسم فى نهاية السؤال وقال « ما الذى افزعك يا هذه ؟ » (ص ٥٦ ، س ٢٨) . ولا ارى مبررا لحذف هذا القسم فان الوالد العربى المسلم يستعمل قسما كقسم بولونيوس فى مناسبات مماثلة . وقد ارتاى مطران ان يحذف هذا المشهد كليا من ترجمته . اما جريديني فانه ترجمه مرة اخرى بالقسم الشائع « بالله » (ص ٣٩ ، س ٦) . ومحمد عوض يترجمه بقـــوله « ناشدتك الله » (ص ٧٤ ، س ٩) . والقط يترجمه « بالله عليك » (ص ١٠١ ، س ٨) . وكلها ايمان مقبولة للاذن العربية منسجمة مع اشفاق اب على ابنته فى موقف كهذا . ولكن حرفية النص التى تقول « بسم الله » تكاد ان تطابق التعبير العربى الاسلامى الشائع ولا افهم لماذا تجنب استعماله المترجمون جميعا .

اخيرا وكما يقول كمال نادر (١٨) فان قضايا العقيدة والدين والقسم لا تشكل مسالة اساســـية فى النصوص الشكسبيرية . ولم يقصد شكسبير ان يستخدم مسرحياته للتبشير الدينى ولا للمواعظ العقائدية قط . والقسم فيها لم يكن مقصودا لذاته بقدر ما كان جزءا من طبيعة كلام شخوصه . ولكن عند الترجمة الى العربية لابد ان تؤخذ صيغة اليمين واسلوب ذكر الله بنظر الاعتبار كشـــان بقية اوجه اساليب الترجمة الموفقة ، علما بان اكثرية الايمان يمكن ترجمتها حرفيا الى ايمان عربية اســـلامية شائعـــة فى لسان العرب . فان نجاح المسرحية المترجمة يقاس بسلاسة حوارها وحسن وقعه فى اذان جمهور المشاهدين الى جانب امانتها للنص الاصلى للمؤلف فى اللفظ والفكر والروح .

امل أمين زكى
رئيسة قسم اللغة الانجليزية ـ كلية الآداب
جامعة الامارات العربية المتحدة ـ العين

هـــــوامـــــش

(١) كاظم فتحي الراوى ـ اساليب القسم فى اللغة العربية . بغداد (١٩٧٧) مطبعة الجامعة .

(٢) للاستزادة : انظر والتر رالي كوبـدج (١٩٦٧) ايمان ولعنات شكسبير . اطروحة غير منشورة ـ جامعة انديانا .

(٣) محمد السباعي ـ كوريولانس ـ القاهرة (١٩٢١) مكتبة التاليف .

(٤) ج . ب . هاريسون ـ الاعمال الكاملة ـ صفحة ١٢٧٢ ملحوظة ٢٢١ .

٭ ف = فصل ، م = مشهد ، س = سطر .

(٥) علي امام عطية ـ كوريولانس ـ المكتبة الملوكية ـ القاهرة (١٩٢٧) .

(٦) جبرا ابراهيم جبرا ـ كوريولانس (١٩٧٤) وزارة الاعلام ـ الكويت .

(٧) ربنر وكتردج (١٩٧١) .

(٨) علي احمد بلكثير ـ روميو وجولييت ـ القاهرة ١٩٦٩ ـ مكتبة مصر .

(٩) عناني ـ روميو وجولييت ـ القاهرة ١٩٦٥ مسرع تيسان المجلد (١٦) .

(١٠) مؤنس طه حسين ـ روميو وجولييت ـ القاهرة ١٩٦٨ دار المعارف .

(١١) ادوردز ، ملريان (١٩٧٤)

(١٢) خليل مطران ـ هاملت ـ القاهرة ١٩٥٨ ـ دار المعارف .

(١٣) شمت (١٨٦٨) Shakespeare Lexicon

(١٤) محمد عوض ـ هاملت ـ القاهرة ١٩٧٢ ـ دار المعارف .

(١٥) عبد القادر القط ـ هاملت ـ الكويت ١٩٧١ ـ وزارة الاعلام .

(١٦) سامي الجريديني ـ هاملت ـ القاهرة ط . اولى ١٩١٢ ط. ثانية ١٩٣٢ المطبعة الرحمانية .

(١٧) جبرا ابراهيم ـ هاملت ـ القاهرة ١٩٧٠ ـ دار الهلال .

(١٨) كمال نادر ـ شكسبير والمشاهد المتكلم العربية ـ اطروحة غير منشورة (١٩٥٨) جامعة برمنكهام صفحة ١٦٦ .



مسيرة الخير في قطر

جزء خاص بمناسبة ٢٢ فبراير

كلنا يعرف عظمة ماضي أمّتنا في العهود التي تجلى فيها تمسكنا بأهداب مبادئ ديننا السامية. وجدير بنا ونحن نستذكر هذه الحقيقة التاريخية، أن نتخذ منها نبراساً يهدينا إلى السبيل الأمثل لمواجهة الظروف البالغة الدقّة التي نجتازها، ذلك السبيل الذي أمرنا الله سبحانه باتّباعه، ألا وهو توحيد صَفّنا وتحقيق تضامننا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع أمّتنا على طريق الحق، وأن يوفقها إلى الاعتصام بحبله، لتحقق - بما تملك من إمكانات هائلة - ما تنشده لنفسها من مكانة وعِزّة وقوّة ومنَعة، وتسهم بنصيب موفور في تأمين ما نرجوه من خير عميم للإنسانية جمعاء.

قال الله تعالى، وهو أصدق القائلين:

"وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم"

من خطاب سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
في افتتاح الدور العادي الثاني عشر لمجلس الشورى
"٦ ربيع الأول ١٤٠٤هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٨٣م"





حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

معالم السياسة التعليمية في قطر



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

بصادف ٢٢ فبراير ذكرى تولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى مقاليد الحكم فى البلاد . وهذه الذكرى تعنى اشياء كثيرة وكبيرة بالنسبة للتربية والتعليم . إن صاحب السمو امير البلاد المفدى كان من اول قادة مسيرة التربية والتعليم في دولة قطر الحديثة ، وبقيادة وتخطيط ومتابعة منه اتخذ قرار تعميم التعليم المنهجي المنتظم فى دولة قطر ، لذلك ما ان تولى سموه مقاليد الحكم فى البلاد حتى اخذ يعمل بكل اخلاص على تحويل الحلم الكبير الى حقيقة تعيش على ارض الواقع ، وبرغم اعباء الحكم فقد بقي سموه يوالى التربية والتعليم بالتوجيه الرشيد والارشاد السديد ، ويولى المشروعات التربوية كل اهتمام وعناية ورعاية .

لذلك كله حظيت التربية منذ ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٢ حتى اليوم بقفزات رائعة فى تطورها من حيث الكيف والكم ، فقد توسع التعليم افقيا حتى شمل كل تجمع سكاني على ارض قطر للبنين والبنات والصغار والكبار ولجميع مراحل التعليم . ورأسيا حتى شمل مراحل التعليم بما فيها التعليم الجامعي . وشملت مجانية التعليم جميع مراحله بما فيها التعليم العالي حتى حصول المتعلم على اعلى الدرجات العلمية التى تحمله اليها امكاناته وقدراته . وتحسنت جميع مدخلات العملية التعليمية البشرية من إدارة تربوية وتوجيه وإدارة مدرسية ومعلمين ووظائف مساعدة ، ومادية من مناهج وكتب ووسائل واجهزة ومعدات والات وادوات وبيئة مدرسية وتسهيلات تعليمية ، وتضاعف الانفاق على التعليم للارتقاء بالكيف والكم معاً .

ومجرد مقارنة بين ما كان عليه التعليم فى العام الدراسى ١٩٧٣/٧٢ والعام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ توضح مدى التطور الحادث فى كم التعليم :

- كان عدد الطلاب فى التعليم العام والتخصصى ٢٣٣٩٢ طالباً وطالبة فاصبح ٤٧٢٨٥ طالباً وطالبة .
- وكان عدد طلاب البعثات ٥٥٢ فاصبح ٤٢٠٢ طالباً وطالبة .
- وكان عدد طلاب مدارس الكبار ومحو الأمية ٣٢٨٢ فاصبح ٩٤٦٥ طالباً وطالبة .
- وكان عدد المدارس ٩٣ فاصبح ١٦١ مدرسة .
- وكان عدد المعلمين ١٣٧٤ فاصبح ٤٥٤٩ معلما ومعلمة .
- وكانت الميزانية ٦٨/٣٦٩/٥٢٠ فاصبحت ١/٠٨٤/٥٩٨/٩٧٤ ريالا قطريا .

وهذا بخلاف اعداد الطلاب فى جامعة قطر الذين اصبحوا ٤٢٠٢ طالبا وطالبة هذا العام ، واعداد الخريجين الجامعيين الذين وصلوا عام ١٩٧٣ إلى ١٤٥ خريج وخريجة ، فاصبحوا فى العام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ (٢٨٥٩) طالبا وطالبة .

ويتبين من هذه المقارنة مدى النمو الحادث فى العملية خلال فترة تعتبر وجيزة جداً فى عمر الزمن . على ان النمو الحادث فى نوع التعليم من حيث نوعية المناهج والكتب المدرسية والوسائل والتسهيلات التعليمية والمستحدثات التربوية . يعتبر اهم ما تحقق للتعليم فى بلادنا ، حتى غدا مستوى التعليم فى دولة قطر محل تقدير مختلف الأوساط التعليمية والتربوية اقليميا وعربيا ودوليا .

وتتميز التربية فى دولة قطر بعدة أمور قد تلتقي فيها مع التربية فى دول اخرى اقليمية وعربية من قريب او بعيد . ولكنا نعتبرها أهم مميزاتنا التربوية وهى :

- استقلالية الشخصية التربوية : اننا امة لها مميزاتها الخاصة بها كامة عربية اسلامية لها عقيدتها السمحة ، ودينها الحنيف ، وحضارتها العريقة ، وتراثها الاصيل ، وتاريخها الناصع ، وسجاياها الجليلة ، وقيمها النبيلة ، لذلك يجب ان يشب ابناؤنا على الولاء الوجداني العميق لهذه الأمة ، وعلى الاعتزاز بالانتماء اليها انتماء لا يخالجه شك ، ولا يخامره تردد ، مهما عصفت بها

الانواء ، وتراكمت امامها التحديات .

ومن هذا المنطلق تحرص مناهجنا على ترسيخ التربية الايمانية فى نفوس ابنائنا من ايمان بالله الواحد الأحد وايمان برسوله صلى الله عليه وسلم ودينه وشريعته ، الى تمثل هذا الايمان منهاج سلوك وأسلوب حياة ، ونموذج عمل وتعامل ، وتتضح هذه الصورة لكل من يطلع على مناهجنا سواء اكان ذلك فى العلوم الشرعية من علوم القران الكريم والحديث الشريف والفقه والتوحيد والسيرة او فى اى مادة من المواد او اى ممارسة على المستوى الاجرائي فى العملية التعليمية . ويوضح الميثاق الاخلاقى لمهنة التربية والتعليم فى دولة قطر هذا الاتجاه بما لا يدع مجالا للشك .

● المواءمة بين الاصالة والتجديد : واننا مع حفاظنا على اصالتنا وعراقتنا وتراثنا واعرافنا وتقاليدنا المستمدة من ديننا الحنيف ، بحيث تبقى لنا شخصيتنا العربية الاسلامية المتميزة ، لم ننس اننا نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ، حيث التقدم العلمي والتفجر المعرفى والتطور التقني ، وحيث كل يوم يحمل جديداً فى عالم تميز بازدياد الترابط وسرعة الاتصال . لذلك فاننا قد عملنا بحرص على التوازن بين هذا وذاك ، نرعى اصالتنا بعين ونرمق التجديد والتطوير فى عصر الذرة وغزو الفضاء بالعين الاخرى .

● منطلقات السياسة التربوية : وسياستنا التربوية تنطلق من القيم والمثل التى نؤمن بها وندين لها ، ومن المبادىء التى تتبناها الدولة فى الرعاية الشاملة لابنائها ، وفى مقدمتها الرعاية التربوية لذلك تؤكد السياسة التربوية على مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لابنائنا ، وعلى مجانية التعليم مجانية مطلقة ، وعلى مسئولية الدولة مسئولية مباشرة فى تامين التعليم الملائم لابناء وطننا ، بما فى ذلك الموهوبون والمعوقون ، وعلى أن التعليم حق لكل من يعيش على ارض قطر ، وعلى قيام الدولة بواجبها فى ميدان التربية والتعليم تجاه البلاد العربية والاسلامية الشقيقة ، وتجاه الجاليات الاسلامية فى شتى ارجاء المعمورة ، لذلك تجد فى مدارسنا طلاباً من مختلف البلاد العربية وفى معاهدنا وكلياتنا طلاباً من عشرات الجاليات الاسلامية فى شرقى العالم وغربيه ، وبذلك تنطلق سياستنا التربوية من قيمنا ومثلنا وانتمائنا الوطنى والقومى والدينى .

● موضوعية استراتيجية التطوير : واستراتيجية التطوير التربوي لدينا تنبثق من احتياجات حقيقية ، تقوم على الدراسة الجادة والبحث المتعمق والتغذية الراجعة من الميدان ، فالتطوير له اهميته فى مواكبة المعاصرة ولكنه يجب ان يبنى على ارض صلبة بحيث يتقبله الواقع ولا يلفظه ، ويهضمه ويتبناه ، ويتحمس له ، فالتطوير ليس حلية تربوية ولا يجب ان يتم التطوير لوجه التطوير ، وانما لضرورات تربوية ملحة ، ولهذا فان التطور لدينا يقوم على البحث التربوى المتعمق وعلى تحليل موضوعي لمعطيات الواقع ، ومن هنا ياتي اهتمامنا بالبحوث التربوية والبحوث العلمية ، وتشارك كل الكفايات المتوافرة لدينا فى عمليات البحث حتى اذا ما اكدت المعطيات والمؤشرات والوقائع ضرورة التطوير ، نجري عمليات التطوير ، بادئين بالتجريب للمنهاج المطور او النظام المطور مع موالاته بالمتابعة والتقويم المستمر ، وبعد ذلك يعمم .

● التحسب للمستقبل : ونحن ندرك ان ابناءنا خلقوا لزمان غير زماننا ، وهم رجال المستقبل بكل فئاته ، وواقع المستقبل يختلف كليا وجزئيا عن واقع الحاضر الحياتي ، لذلك نحاول ان تستوعب مناهجنا تحسباً علميا مدروسا لهذا المستقبل .

والتربية والتعليم تعنى بالانسان والانسان بطبيعته حي نام متطور ، لذلك يجب ان تكون التربية بكل مدخلاتها متطورة نامية متجددة على الدوام وإلا حكم عليها بالتحجر والجمود والتوقف ، وتطوير اليوم لا يمكن ان يكون نهاية المطاف بل هو تطوير مرحلي سيناله التطوير غداً او بعد غد او فى اي فترة زمنية لاحقة . اما عن جهود التطوير فقد احتوت كل مدخلات العملية المادية والبشرية ، ومن اهم هذه الجهود : تطوير المناهج والكتب المدرسية ، وتطوير التقنيات التربوية ، وتطوير البيئة المدرسية ، وتطوير اعداد المعلم وتدريبه ، وتطوير الخدمات الصحية المدرسية الوقائية والعلاجية ، وتطوير النظم التربوية ..

اما التعاون الخليجى فى مضمار التربية والتعليم فهو يعود بجذوره التاريخية الى بداية النهضة التعليمية فى دول الخليج العربية ، فمنذ البدايات الاولى كان التعاون قائماً على اساس تبادل المعرفة والراي والمشورة ثم تعزز هذا التعاون بتوقيع اتفاقيات ثقافية ثنائية بين بلدان المنطقة وفى اوائل السبعينات شعر وزراء التربية والتعليم والمعارف فى دول المنطقة بضرورة تنظيم جهد تعاوني جماعي بين دول المنطقة وبخاصة فى مضمار التربية والتعليم ، نظراً لشعورهم بالتقارب الكبير بين دول المنطقة فى الاهداف والغايات والطموحات واشتراكها فى مواجهة التحديات والمصير المشترك ، وتمخض عن هذه الجهود انشاء مكتب التربية العربى لدول الخليج فى الرياض ويمكن القول ان المكتب قد خطا خطوات كبيرة فى اجراء عمليات التنسيق والتكامل بين الجهود التربوية المختلفة .

اما النتائج الفعلية فقد كان من اهمها : انشاء جامعة الخليج فى البحرين بجهد مشترك ، وانشاء مركز البحوث التربوية فى الكويت ، وتوحيد الاهداف التربوية لدول المنطقة ، وعقد لقاءات دورية بين وكلاء وزارات التربية فى المجلس التنفيذى للمكتب ولقاءات دورية بين وزراء التربية والتعليم فى مؤتمرات وزراء التربية بدول الخليج ، ولقاءات متعددة ومتنوعة بين الاختصاصيين والمسؤولين فى مختلف قطاعات التربية ومديري الجامعات ، وكذلك اللقاءات الطلابية ، وهذه اللقاءات لها نتائج كبيرة على المدى البعيد اذ توحد المنطلقات الفكرية للعاملين فى التربية ، والمفاهيم الاساسية لاجيال المستقبل ، بما تتيحه من تبادل الآراء والأفكار والخبرات وتفاعلها .

وما نؤكده هو اننا نشعر باننا نسير على الطريق الصحيح والسبيل القويم ، ومعنى ذلك اننا سنصل يوما ان شاء الله فنحن ابناء شعب واحد ودين واحد واصول واحدة وتراث واحد ، وتاريخ مشترك ، ونواجه اليوم نفس التحديات ونفس المصير المشترك الواحد . واننا نرجو الله تعالى ان يبارك هذه الجهود لما فيه خير شعوبنا وامتنا .

محمد بن حمد آل ثاني

العمل الاجتماعي في قطر

واقعه الراهن وطموحاته المستقبلية



بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

استطاعت دولة قطر خلال السنوات الماضية ان تمضى فى مسيرتها المباركة بخطوات ثابتة ، وان تقطع شوطا جديدا هاما على طريق الانجازات الكبيرة ، من اجل تحقيق اكبر قدر من التنمية فى اقصر وقت ممكن ، واثبتت الدولة الفتية طوال هذه السنوات ان انجازاتها التى تبلورت فى شكل مشروعات عمرانية وخطط تنمية ومواقف سياسية ، كانت ومازالت تشكل ترجمة عملية للمبادىء والالتزامات التى حددها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة ابن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى ، فى النظام الاساسى المؤقت المعدل للحكم فى قطر .

والواقع ان مقومات التنمية الاجتماعية التى أكدها النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم فى البلاد ، ما هى فى الحقيقة إلا مقومات كل مجتمع ديمقراطى سليم ، تسوده العدالة الاجتماعية التى هى قمة الطموح الانسانى .

ومن هذا المنطلق كان تطلعنا إلى تحقيق تلك الأهداف السامية بأمل مفعم بالايمان ، حيث سعت وزارة العمل والشئون الاجتماعية إلى وضع هذه الأهداف موضع التنفيذ بقدر المستطاع ، فاعطت القسط الاكبر من العناية والاهتمام لكافة مشروعات الرعاية الاجتماعية ، مستهدفة العمل على تطويرها على احدث وافضل السبل المتاحة .

وقامت خطة العمل فى وزارة العمل والشئون الاجتماعية على أسس عامة اهمها : رسم سياسة الوزارة على ضوء السياسة العامة للدولة واهدافها ، العمل فى اطار الخطة العامة للدولة ، التنسيق الشامل بين الخدمات الاجتماعية فى كافة المجالات تحقيقا لمبدا التكامل والتوازن فى الخدمات تبعا للاحتياجات ، اتباع سياسة تطوير اعمال الوزارة فى المضمون والأسلوب ، التعاون مع باقى الوزارات والهيئات ذات الصلة بميادين عمل الوزارة وتنسيق العمل معها اسهاما فى تحقيق الأهداف المرجوة ، الالتزام بمبدا الاولوية فى أداء الخدمات والاستفادة منها ، وضع الضوابط الكفيلة بتنظيم ممارسة العمل ووضع مقاييس لجدية العمل فى ادارات الوزارة والأقسام التابعة لها ، ربط العمل بسياسة التخطيط العلمى ، وضع افضل الحلول للمشاكل والصعوبات التى تعترض كفاية الأداء وحسن التنفيذ .

العمل والتنمية الاجتماعية

ولان العمل الاجتماعى لم يعد محصورا ضمن اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند تقديم الخدمات ، فان الأنشطة المتعددة لوزارة العمل والشئون الاجتماعية وضعت فى اعتبارها اهمية ارتباط العمل الاجتماعى بالتنمية الاجتماعية المرتكزة على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية فى ظل رؤية واضحة للاهداف، وخطة العمل السليمة التى تنشر تحقيق الرقى والرخاء للمجتمع كله .

وقد قامت وزارة العمل والشئون الاجتماعية على الصعيد الاجتماعى ، بتنمية الأنشطة الجماعية من خلال ايجاد المؤسسات الاجتماعية والأهلية ودعمها وتوفير الامكانات الفكرية والفنية التى تمكنها من القيام بدورها فى تنمية وتطوير المجتمع .. اما فى ميدان العمل فانها تتبع احدث تشريعات العمل ونظمه وأساليبه وظروفه ، وتعمل على ايجاد المناخ الذى يساعد على رفع الكفاءة الانتاجية وتحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى ظل علاقات سليمة ومستقرة بين طرفى الانتاج .

وقد نهجت الوزارة منذ انشائها على تطوير وتعزيز اداراتها المختلفة ، فاعدت مشروع قانون باعادة تنظيمها تضمن انشاء ادارات جديدة للتعاون والتخطيط والشئون الفنية والشئون الادارية والمالية ، فصدر القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ بتنظيم وزارة العمل والشئون الاجتماعية وتحديد اهدافها وصلاحياتها ، ونظامها

الداخلى بشكل يؤمن تيسير وتنسيق وحسن تادية العمل الادارى بالوزارة .

وأعطت الوزارة اهتماما كبيرا للجانب الاجتماعى ، فاصبحت هناك ادارة خاصة بالشئون الاجتماعية تعمل على تطبيق الضمان الاجتماعى وتوفير المساعدة والعون للفئة المحتاجة ، وانشات مكاتب فرعية فى مدينتي الخور والشمال لتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين فى اماكن اقامتهم ، بالاضافة الى انشاء مركز التدريب والتاهيل الاجتماعى للسيدات والفتيات القطريات بهدف تحسين الوضع الاجتماعى للأسرة ، وإتاحة الفرصة أمام المتدربات للعمل المنتج والانتفاع به من خلال التدريب على بعض المهارات والحرف التى تتوافق وقدراتهن . وقد بلغت المساعدات الاجتماعية التى شملت ٦٦٠٩ حالة اجتماعية هذا العام (٧٦٫٥٠٤٫١٥٠) أى ستة وسبعون مليونا وخمسمائة واربعة الاف ومائة وخمسون ريالا قطريا .. وهذا بالاضافة إلى تعاون الوزارة مع بعض المخلصين من ابناء قطر لانشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، التى حققت العديد من المساهمات الاهلية فى هذا المجال الاجتماعى والانسانى الهام .

وقد استمرت الوزارة ـ بالتعاون مع وزارة الأشغال العامة ـ فى تنفيذ سياسة الدولة الهادفة إلى انشاء المزيد من المساكن الصحية والعصرية للمواطنين ، فبلغ مجموع المساكن الشعبية والمجانية التى سلمت لاصحابها هذا العام (٧٢٧) مسكنا ، تتناسب مع عدد افراد اسرة المنتفع والتقاليد والعادات الاجتماعية .. كما انها حرصت ـ فى نفس الوقت ـ على تدعيم الحركة التعاونية وتعزيز الخدمات التى تقدمها الجمعيات التعاونية للمواطنين ، فرأينا افتتاح سبع جمعيات تعاونية استهلاكية فى أماكن عديدة من البلاد ، ويجرى الاعداد لافتتاح المزيد من الجمعيات فى مناطق مختلفة ، وتولى الوزارة عنايتها ورعايتها لتامين مقومات النجاح لها ، وقد لمس الجميع النتائج الطيبة التى حققتها الجمعيات التعاونية القائمة ، وستظهر النتائج الفعلية بعد قيام الجمعيات الاستهلاكية الأخرى التى لا تزال قيد الانشاء فى مختلف المناطق الماهولة بالسكان فى البلاد .



منظر خارجي لاحدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية

المساكن الشعبية

تنظيم العمالة

اما فى مجال العمل ، فقد سعت الوزارة إلى تنظيم استقدام العمال العرب والاجانب وتسجيلهم لديها ، وتم توقيع خمس اتفاقيات مع كل من جمهورية مصر العربية، والجمهورية التونسية، والمملكة المغربية، وجمهورية السودان الديمقراطية وجمهورية الصومال الديمقراطية ، لتوثيق أواصر الاخوة والتعاون بين دولة قطر والدول العربية الشقيقة . ولتوفير القوى العاملة اللازمة لتنفيذ المشاريع الانمائية فى الدولة .. وعملت الوزارة أيضا ـ على تحسين ظروف العمل للعاملين فى القطاعات المختلفة ، وتحسين مستويات العمال والحفاظ على حقوقهم التى يكفلها لهم القانون .. وفى هذا الصدد سعت الى تنظيم جهاز التفتيش العمالى وتطويره ، وقسم الاستخدام الذى ينظم مع اجهزة الوزارة الاخرى والجهات المختصة فى وزارة الداخلية عملية استقدام العاملين من خارج البلاد ، واصدار بطاقات العمل وحفظ السجلات الخاصة بالعمالة وطلبات الباحثين عن العمل او العمال .

المشاركة الدولية

وبالاضافة لكل ذلك ، كان حرصنا الدائم على المشاركة فى العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية التى تعقد على المستوى الاقليمى والعربى والدولى للإطلاع على كل ما يجرى من تطورات فى مجالات العمل والشئون الاجتماعية ، من اجل تحقيق تطلعنا الدائم إلى التوسع فى العمل الاجتماعى وتعميق الشعور بالمسئولية لدى المواطنين،والاستمرار فى انشاء المزيد من المراكز الاجتماعية والجمعيات التعاونية ، وتشجيع العمل الأهلى التطوعى وأن تحتل رعاية الطفولة والامومة مكانا بارزا فى خطتنا المستقبلية . حتى نكون قد ادينا بعضا من الواجب الملقى على عاتقنا ، خدمة لبلد الخير والمحبة ـ قطر ـ فى ظل رعاية رائد نهضته صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير البلاد المفدى ، وولى عهده الامين سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى .

علي بن أحمد الأنصارى



عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى



في لقاء مع سعادة عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى ، دار الحديث حول أهداف مجلس الشورى واختصاصاته ، واهم الوفود العربية والأجنبية التى زارته خلال السنوات الماضية ، واهم التوصيات التى اصدرها ، واول اجتماع عقد عقب إنشائه ، وعدد اعضاء المجلس والشروط التى يجب ان تتوفر فى عضو مجلس الشورى ، وغير ذلك من القضايا الهامة المتعلقة بهذا الصرح الذى يقوم بدوره الحيوى فى إرساء قواعد الديمقراطية فى البلاد ، انطلاقا من شريعتنا الاسلامية السمحاء .

في بداية الحديث قلت لسعادة عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى :

● نريد ان نتعرف على كافة الجوانب المتعلقة بالمجلس الموقر الذى يؤكد باستمرار اهمية التجربة الديمقراطية المستمدة من مبدا الشورى فى النظام الاسلامى كاسلوب للحكم .. ولذا هل تتفضلون بالحديث عن اهداف مجلس الشورى واختصاصاته ؟

ـ جاء فى النظام الاساسى للحكم الصادر عام ١٩٧٢ ان الهدف من انشاء مجلس الشورى هو معاونة سمو الأمير ومجلس الوزراء فى اداء مهامهما . فمجلس الشورى انطلاقا من هذا الهدف يعاون سمو الأمير ومجلس الوزراء فى معالجة شئون الدولة فى مختلف المجالات ، ويسعى الى وضع التقاليد البرلمانية وتثبيت القواعد الديمقراطية فى البلاد .

ولعل المجال يتسع هنا للتنويه بنجاح المجلس فى تحقيق الاهداف التى انشىء من اجلها وما ذلك الا لحرص سمو امير البلاد المفدى على دفع عجلة هذه التجربة الديمقراطية وارساء قواعدها على اسس متينة مستقاة من احكام الشريعة الاسلامية ونابعة من واقعنا وظروفنا السياسية والاجتماعية ، كما يعود نجاح المجلس ايضا الى حرص الأعضاء على التزام جانب الموضوعية فى المناقشات تحقيقا للصالح العام للبلاد ، وكذلك التعاون البناء القائم بين المجلس والحكومة الموقرة .

● وماذا عن قرار انشاء المجلس وتاريخ انشائه واول اجتماع له ومحاضر جلساته ؟

ـ منذ ان تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني مقاليد الامور فى البلاد فى ٢٢ فبراير ١٩٧٢ حرص على ان تكون الديمقراطية اسلوبه فى الحكم فاصدر النظام الأساسى المؤقت المعدل فى شهر ابريل ١٩٧٢ ، وقد تضمن هذا النظام الاساسى انشاء مجلس الشورى والاحكام المنظمة له ، ثم صدر قرار اميرى بتعيين اعضاء المجلس . وفى اول مايو ١٩٧٢ عقد المجلس جلسته الاولى التى افتتحها حضرة صاحب السمو الأمير بكلمة نوه فيها إلى الهدف من انشاء المجلس « ... ليعاون برايه على معالجة شئون الدولة فى مختلف النواحى ويساهم بمشورته فى تهيئة وسائل تحقيق النهضة الشاملة التى نصبو اليها جميعا فى كافة المجالات » .

واما عن محاضر الجلسات المتضمنة لاعماله ومناقشاته وانشطته فقد جرى تجميع محاضر كل دور من ادوار الانعقاد السنوية فى كتاب مستقل تسهيلا للرجوع اليها باعتبارها مراة حقيقية ومظهرا من مظاهر الديمقراطية فى هذا البلد منذ فجر الاستقلال .

● ما عدد اعضاء المجلس وما هى احكام العضوية ؟

ـ تطبيقا لاحكام المادة (٤١) من النظام الاساسى المؤقت لسنة ١٩٧٢ فقد اصدر سمو الأمير قرارا اميريا بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٧٢ بتعيين اعضاء مجلس الشورى وكان عددهم اذ ذاك عشرين عضوا .

ثم قام سمو الأمير استنادا لنص المادة (٤١) المعدل بتعيين عشرة اعضاء جددا

فى مجلس الشورى وذلك بالقرار الأميرى رقم ١٢ لسنة ١٩٧٥ حيث كان ذلك القرار بمثابة تدعيم للمجلس الذى اثبت منذ نشاته انه أهل لتحمل المسئولية والذى ثبت بالتجربة انه أدى دوره على احسن وجه .

وطبقا لأحكام المادة (٤٢) من النظام الأساسي للحكم فانه يشترط فى عضو مجلس الشورى ان يكون قطرى الجنسية أصلا ، والا تقل سنه عند تعيينه عن أربع وعشرين سنة ميلادية ، والا يكون قد سبق الحكم عليه فى جريمة مخلة بالشرف مالم يكن قد رد اليه اعتباره طبقا للقانون . كما بينت المادة (٤٣) من النظام الاساسى المؤقت المعدل للحكم ان عضو مجلس الشورى يجب أن يكون من ذوى المكانة من اهل الراى والكفاية . ولقد روعى فى اختيار الاعضاء ان يكونوا ممثلين لكافة المناطق وفئات الشعب القطرى المختلفة بقــدر الامكان .

● وكم عدد الموظفين العاملين بالمجلس؟

ـ تضم السكرتارية العامة لمجلس الشورى ، التى هى الجهاز التنفيـذى بالمجلس الذى يتولى كافة الشئون الادارية والمالية والفنية والقانونية ، ويقوم بتنفيذ قرارات المجلس وتوصياته .. تضم ثلاثة وثلاثين موظفا وعاملا موزعين على اقسام السكرتارية العامة التى يراسها السكرتير العام

● ما اهم الوفود العربية والأجنبية التى زارت المجلس ؟

ـ يحتفظ مجلس الشورى منذ انشائه بعلاقات طيبة مع مختلف المجالس النيابية سواء أكان ذلك على مستوى منطقة الخليج أم على المستويين العربى والدولى ، والوفود البرلمانية الزائرة هى احدى صور هذه العلاقة القائمة على التعاون المثمر البناء ولقد استقبل المجلس العديد من هذه الوفود القادمة من دولة الكويت وجمهورية مصر العربيــــة ولبنـــــان والولايــات المتحدة الامريكية وسويسرا وفرنسا والمانيا وانجلترا واستراليا وموريشوس وغيرها .

● ما هى اهم التوصيات التى اصدرها المجلس ؟

ـ لقد قدم مجلس الشورى منذ انشائه عام ١٩٧٢ توصياته للحكومة فيما عرض عليه من مشروعات القوانين او المراسيم بقوانين ، اضافة الى ما تصدى له المجلس من مشاكل ومسائل تهم المواطنين،وذلك من خلال طلبات المناقشة العامة والاقتراحات برغبة التى تقدم بها السادة الاعضاء . وحيث ان المجال لا يتسع لذكر كل هذه الانجازات التى حققها المجلس على مدى الســـنوات الماضية ، فاننا ســـنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

ففى مجال مشروعات القوانين : قـــام المجلس بدراسة ومناقشة عدد كبير منها كمشروعات القوانين المتعلقة بانشاء ديوان المحاسبة وانشاء بلديات جديدة فى المدن القطرية وانشاء جامعة قطر وانشاء المركز الفنى للتنمية الصناعية وتنظيم وزارة الخارجية ، والمناقصات والمزايدات ، وتوحيد المقاييس والمكاييل والموازين ، وانشاء مؤسســـــة النقــــد القطـــرية ، والجمعيات التعاونية ، ومشروع قانون المطبوعات والنشر ، وايجار الاماكن والمبانى ، والتوثيق ، ومشروع قانون المرور وتقاعد الموظفين القطريين ومشروع قانون مزاولة مهنتى الطب البشرى وطب جراحة الاسنان وتنظيم مهنة الصيدلة والوسطاء ووكلاء مصانع وشركات الادوية ومشروع قانون ببدء الخطوات التنفيذية للاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

وفى مجال المراسيم بقوانين التى عرضتها الحكومة على مجلس الشورى طبقا لأحكام المادة (٢٧) من النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم الصادر فى سنة ١٩٧٢ فقد كانت هناك ـ على سبيل المثال ـ مراسيم بقوانين تتعلق بتحديـد اختصاصات وزارة الشئون البلدية ، وبوقف تصدير البترول الى كل من الولايات المتحدة الامريكية وهولندا فى عام ١٩٧٣ ، وانشاء المؤسسة العامة القطرية للبترول ، وتنظيم المدارس الخاصة ، وانشاء الجهاز المركزى للاحصاء ، وزيادة الرســــــوم الجمركية على السيجار والسجاير والتبغ ومنتجاته .

وهذا بخلاف طلبات المناقشة العامة التى تقدم بها السادة الاعضاء واتخذ المجلس بشانها التوصيات المناسبة ورفعها الى مجلس الوزراء

كما كان هناك العديد من الاقتراحات التى ناقشها المجلس مثل اقتراحـــات برغبة فى شان زيادة أطباء قسم الطوارىء بالمستشفى العام ، وتوزيع قطع من الأراضى على ذوى الدخل المحدود من المواطنين القطريين ، والاسراع فى تنفيذ طلبات الحصول على مساكن ، وتوسيع خطوط سيارات ركوب النقل العام داخل مدينة الدوحة ووضع تعريفة محددة لأجور سيارات الأجرة داخل مدينة الدوحة وخارجها ، ومساعدة المزارعين ومربى الماشية ، وانشاء قسم للكلية الصناعية بالمستشفى العام ، وزيـــــــادة المعونة الاجتماعية ، وانشاء ملجا للعجزة والمسنين ، وانشاء الحدائق والمنتزهات والمطاعم والشاليهات على السواحل ومدن لالعاب الاطفال ، وتشجيع الشباب القطرى على الزواج وذلك بمنحهم المساعدات المادية التى تعينهم على ذلك .

يوسف الحرمى

مجلس الشورى أثناء انعقاده

الإعلام القطري ولغته الجديدة

بقلم : عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

كانت الكلمات - وسوف تظل - مرادفة للافكار فنعرف ان اختراع الانسان للكلمة كان بداية الخطوات لتقدم البشرية ، ونعرف ايضا انه لولا التوصل إلى صياغة الأفكار على شكل كلمات لما كان لتلك الافكار معنى سوى أنها تهويمات تدور فى العقل دون ان تؤدى إلى فعل إيجابى او حركة ملموسة .

ولو قارنا ما نتداوله اليوم من كلمات بيسر وسهولة بتلك التى كانت شائعة منذ خمسين سنة لوجدنا البون شاسعا والفرق كبيرا ، ليس فقط فى موسيقى الكلمة او أسلوب الصياغة، بل ايضا فيما تؤدى إليه من معنى وربما معان ، مما يؤكد ان الكلمات ما هى فى حقيقة الامر إلا افكارا ، وانه كلما نما العقل البشرى ولم تعد تسعفه الثروة اللغوية المتاحة ، لجأ إلى نحت كلمات جديدة تلبى متطلباته المتجددة .

والاعلام كلمات ، فى البدء كانت مكتوبة وهى فى عصرنا الحديث مسموعة ومرئية ايضا - وهو نهر متدفق تنساب فيه المعلومات من مجال إلى اخر بسرعة فائقة .

وفى عصرنا الراهن دخلت إلى لغة الاعلام ، بل إلى لغة التخاطب اليومى ، الفاظا جديدة ، إضافة إلى ان الكلمات التى كانت متداولة قبل ذلك اكتسبت مضامين جديدة .

والاعلام القطرى كمؤسسة قومية عايشت انتقال هذه الدولة الفتية من طور إلى طور حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من تقدم استثمر الثروة اللغوية المتاحة واضاف إليها واعطى للكلمات



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

مدلولاتها المؤثرة .

فقد ساهم بكل الجهد فى تعميق معنى المواطنة وترسيخها فى وجدان كل مواطن يعيش على هذه الارض ، وقد ادى ذلك إلى عمق احساس مواطنى هذا البلد بقيمة وطنهم واعتزازهم به واستعدادهم للحفاظ على ترابه حتى النفس الاخير . كذلك فقد اعطى للتنمية ملامح محددة تخلص فى وجوب مشاركة المواطن للدولة فى جهدها الدؤوب للنهوض بالبلاد اقتصاديا واجتماعيا .

والثقافة فى الاعلام القطرى اصبحت فعلا وحركة فهى بما تقدمه للمواطن من زاد ثقافى مستمر ، تعطى للحياة معنى وقيمة حضارية ، وهى تسير فى خط مرسوم ، إذ تبسط أعقد ما أبدعته حضارتنا الراهنة فى عبارات سلسلة قريبة إلى فهم الجميع ، وقناعتنا بذلك الدور هى بلا حدود ، فنحن لسنا مع بعض القائلين بان الاعلام بتبسيطه للمادة الثقافية فيه إفساد للفروق وهدم للثقافة ، فالثقافة للجميع وليست لقلة من الصفوة .

إن الحس القومى بما يتضمنه من مدلولات إزاء كافة القضايا المصيرية ، اصبح علامة من علامات اعلامنا فى العصر الحديث ، يعطيها البعد الحقيقى والمعنى الفعلى ، بما يصدر عنه من مادة مقروءة او مسموعة أو مرئية ، تشرح وتحلل وتفسر قضايا الأمة العربية وتبرز ما فيها من عدالة وهو بذلك يكسب - باستمرار - ارضا جديدة كل يوم ويستقطب تجاه تلك



قادة دول مجلس التعاون الخليجى اثناء اجتماعاتهم التاريخية فى الدوحة

القضايا متعاطفين ومؤيدين فى انحاء كثيرة من العالم .

وإذا كانت الضرورات المحلية والدولية قد املت قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى هذه الظروف الهامة ، فان الاعلام القطرى كان على مستوى الحدث استيعابا وتفاعلا ، واصبحت كلمة « التعاون » مركزا تشع منه انشطة عديدة يقوم بها الاعلام القطرى شارحا معناها مؤكدا ضرورتها .

ولقد كان عقد القمة الرابعة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى الدوحة فى نوفمبر من العام الماضى محكا اظهر عمق فهم الاعلام القطرى لدوره فى هذه المرحلة التى تمر بها البلاد ومنطقة الخليج ككل ، فلقد كان صدق نبرته وموضوعية كلمته مثار الاعجاب فى كل مكان ، الأمر الذى بقي أثره فيما يصلنا إلى الآن من رسائل عديدة من كثير من دول العالم تسال وتستفسر، بل وتحلل وتطلب المزيد من المعلومات عن المنطقة ودورها ، وهو مكسب نعمل على استثماره للصالح العام .

قاعة المركز الصحفى اثناء انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

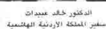
إن الانسانية تمر فى هذه الايام بمرحلة من أهم مراحلها ، فقد زالت الحدود بفضل التطور المتواصل فى وسائل الاتصال ، واصبح من غير المعقول عدم الاستفادة بهذه الوسائل الحديثة ، التى تواجدت فى هذه الأيام من اجل تنوير الناس وتثقيفهم ، ويقع على عاتق الاعلام فى ذلك العبء الاكبر بما هو متاح له من إمكانات ، وبما هو ميسر له من انتشار فى جميع المجالات وبين كل الفئات .

وإعلامنا القطرى ـ والحمد لله ـ يعي دوره بعمق ويحقق مهامه باقتدار ، وهو يسير وسلاحه الكلمة ، ومنهاجه الحوار ، وهدفه الاقناع والاقتناع ، وهو ينعم بثمار النهضة الشاملة التى نراها فى مجتمعنا فى كل مكان ، بقيادة سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وولى عهده الامين .

ماذا يقول السفراء العرب عن مسيرة الخير في قطر؟

إعداد: عبدالرحيم أبوعوف





الدكتور خالد عبيدات
سفير المملكة الأردنية الهاشمية

محمد المحرزي
سفير الجمهورية التونسية





عبد المحسن السليمان الزيد
سفير المملكة العربية السعودية

خالد عثمان الراوى
سفير الجمهورية العراقية

● قطر والقيادة الحكيمة ●

نحن عرب الأردن قوميون فى كل منطلقاتنا، لسبب واضح وهو أن مرتكز فكرنا ومحور تصرفنا نابع من المبادىء العظيمة للثورة العربية الكبرى ، وبالتالى فنحن ننظر الى كل مناسبة وطنية فى كل قطر من اقطار امتنا بمنظار المحبة والتهنئة والامل .

إننا فى الأردن ملكا وحكومة وشعبا نشارك اخوتنا فى قطر فرحتهم واعتزازهم بذكرى المناسبة الوطنية التى تولى فيها سمو الأمير القائد الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني مهام الحكم ، والذى شهد له القاصي والداني بحنكته وحكمته وقدرته .

واذا كنا فى الاردن نفتخر بالانجازات التى حققناها بقيادة جلالة الحسين بدءاً بالكفاح من اجل الاستقلال ووصولا الى المثابرة والاصرار من اجل التنمية .. فاننا ننظر بعين التقدير والأعجاب الى الانجازات التى حققها اخوتنا فى قطر .. ويطيب لي ان اصف هذه الانجازات كما يلى :

- صادرة عن قيادة حكيمه تعتمد فى قراراتها على الدراسة والتانى والشمولية .
- تسير هذه الانجازات بتان ولكن برسوخ وثقة .
- يعم خيرها جميع المواطنين .
- تقع كلها فى اطار مجلس التعاون الواقع فى المدار العربى العام .

وهذا الوصف للانجازات القطرية ينسحب على الانجـــازات الداخلية منها والخارجية على حد سواء ..فدولة قطر الفتية اصبحت تخطو خطوات واسعة ومرموقة على الصعيد الدولى . وليس تاهيلها الوحيد الى ذلك البعد الاقتصادى فقط بل وايضا صواب نظرة قيادتها سواء فى المجال الاقليمى او العربى او الاسلامى او العالمى .

ولا يخفى على اى مهتم بالشئون العربية ذلك الاعجاب المتبادل بين قيادتينا وبين شعبينا ، وهذا الأعجاب المتبادل لم ينبع من فراغ .. بل جذوره عميقة جدا تغوص فى اعماق الفهم والتفاهم .. وستنمو وتتفرع وتزهر وتثمر باذن الله تضامناً عربياً نسعى اليه جميعـاً ..

الدكتور خالد عبيدات
سفير المملكة الأردنية الهاشمية

● كلمة حق ●

ليس من الانصاف فى شىء ان تخصص صفحة .. او بعض صفحة لضيف من ضيوف هذا البلد الأمين ليتحدث عما يغمره من مشاعر وانطباعات فى هذه المناسبة الوطنية السعيدة التى يحيي فيها شعب قطر ذكرى استلام صاحب السمو الشـــيخ خليفة بن حمد ال ثاني مقاليد الامانة العظمى على راس هذه الدولة الشقيقة .

واذا كانت كلمة الحق التي اريد ان اقولها فياضة ونافذة من اعمق المشاعر الا انها دون الحدث لا محالة .

فهذه معالم النهضة الشاملة واليقظة الكاملة بادية فى الريف والمدينة ، تشهد عما تم انجازه من خطوات فى سبيل تغيير واقع البلاد والعباد من حسن الى احسن فى كل يوم وفى كل مجال .. خطوات ثابتة على طريق بناء دولة عصرية بكل ما فى لفظـــة

الامير سلطان بن عبد العزيز والشعب السعودى الى مقام حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى وولى عهده الأمين والشعب القطرى الشقيق راجيا الله ان يعيد هذه الذكرى اعواما عديده وان يحفظ دولة قطر الشقيقة من كل مكروه .

عبد المحسن السليمان الزيد
سفير المملكة العربية السعودية

● قطر وقضايا الأمة العربية ●

بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم فى البلاد ، يسرنى ان اشارك اخوانى ابناء دولة قطر الشقيقة افراحهم بهذه المناسبة ويسعدنى ان اقدم التهنئة الى سمو الامير الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وسمو ولى العهد الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى باسمي شخصيا وباسم اعضاء سفارة الجمهورية العراقية فى قطر الشقيقة متمنيا لهذا البلد العربى وشعبه الأبي .. دوام التقدم والعز والمنعة .. وبالرغم من التحاقى بعملى قبل فترة قصيرة فانني المس وبشكل مستمر الاهتمام والمتابعة من قبل اجهزة الدولة لتطوير الخدمات والسهر على راحة المواطنين والعمل الجاد والدؤوب لايصال فرص الحضارة والتقنية الى كافة ميادين العمل وتسخيرها لغرض التسريع فى تنمية امكانيات البلد والاخذ بيد هذا الشعب الشقيق نحو التقدم والازدهار .. وبكل اعتزاز اشير الى مواقف دولة قطر القومية فى قضايا الأمة العربية وخاصة ما يتعلق بقضية العرب الكبرى فلسطين والذى عبرت عنه كافة الأجهزة الرسمية والاعلامية بصدق العربى الحريص على مستقبل امته ، وكذلك الموقف الايجابى لدولة قطر الشقيقة من الحرب العراقية الايرانية ومطالبة ايران بالاستجابة الى نداءات السلام والحذو حذو العـراق عمـلا بروح الدين الاسلامى الحنيف .

اكرر تهنئتي لدولة قطر الشقيقة حكومة وشعبا داعيا الله جل وعلا ان يمن على هذا البلد الآمن باضطراد التقدم والرفاهية .. مع شكرى الجزيل لادارة مجلة الدوحة الغراء والعاملين فيها .. لاتاحة هذه الفرصة لنا للتعبير عن اعتزازنا بهذه المناسبة .

خالد عثمان الراوى
سفير الجمهورية العراقية

● قطر : مواقف وانجازات ●

تنسمت فيك يا قطر ، عطر لبنان وارزه الاخضر ، حيث تنبعث منه فى هذه الأيام الكالحة رائحة البارود .

وتوسمت بحكامك الميامين وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد كل الخير والسلام وهو الرائد والصانع والداعم لكل حركة عمرانية لبلده الطيب قطر ، ولشعبه المخلص .

فمنذ أن تولى سموه مقاليد الحكم فى مثل هذا اليوم ، نذر نفسه لتحقيق كل تقدم لحركته العمرانية هذه ليضمن لشعبه القطري الحبيب الازدهار المتواصل والمستمر والمتطور في كافة الميادين منها :

السياسية ـ عنيت الدستورية منها والتشريعية بالاضافة الى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها من الميادين التى يطول بنا ذكرها الآن ..

إن الدور الذى لعبته دولة قطر بالأمس ومازالت تلعبه اليوم وغداً ، لايسعـنا الحديث عنه لتعدد مراميه بل يكفينا ذكر الدور الذى تقوم به دولة قطر متجسداً فى مجلس التعاون الخليجي وما بذلت وتبذل فى سبيله من نشاطات مختلفة ، بغية تعزيز وتدعيم فعالية هذا المجلس وامانته العامة ومختلف اجهزته ولجانه .

وعلى صعيد علاقات دولة قطر الدولية فقد قامت بها تحت رعاية صاحب السمو ، اجهزة وزارة الخارجيـــة ، خير قيـــام اذ تعمل هذه الأجهزة من اجل تحسين وتنشيط العلاقات الخارجية لدى كافة المحافل الدولية . فى الامم المتحدة ـ مجلس جامعة الدول العربية ـ والمؤتمر الاسلامي .

واخيراً لا يسعني هنا الا ان انوه بالعلاقات الثنائية المتينة القائمة بين دولتي لبنان وقطر منذ القدم وخير دليل على متانة هذه العلاقات وقوف دولة قطر الشقيقة واميرها بجانب لبنان فى محنته القائمة .

فباسم فخامة رئيس الجمهورية الشيخ امين الجميل وباسم الحكومة اللبنانية والشعب اللبناني وباسمى وباسم الجالية اللبنانية فى قطر ، اتقدم باصدق واخلص التمنيات لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين ولحكومته الرشيدة وللشعب القطرى الشقيق بان يعيد هذه الذكرى الطيبة عليهم جميعا بالخير والسلام والازدهار .

جان ملحه
سفير لبنان

● الدوحة : لؤلؤة الخليج ●

يسعدنى أن اقدم على صفحات مجلة « الدوحة » الغراء تهنئة خالصة الى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتولى سموه مقاليد الحكم فى البلاد .

وانتهز هذه الفرصة الطيبة لأسجل بكل الاعزاز والتقـــدير ما لمسته وشاهدته شخصيا خلال ثلاث سنوات سعدت فيها بالعمل فى هذا البلد الطيب ، من تقدم ونهضة فى شتى نواحى الحياة ، والمثل العربى يقول .. « ليس من سمع كمن رأى .. » .

فاذا ما عدت بذاكرتى للفترة الأولى من وصولى الى أرض قطر الشقيق ـ ومقارنة بما كان وبما هى عليه الآن اجد الفرق كبيراً بين ما كان وما هو كائن .. لقد تحولت العاصمة « الدوحة » ـ خلال هذه الفترة الوجيزة ـ الى لؤلؤة تفخر بالصرح المعمـــارية والحضارية التي تتميز بها .. وتطورت معاهد التعليم واصبحت جامعة قطر تقدم الخريجين فى كل عام من أبناء قطر الذين يعملون بنجاح فى ادارة البناء والتقدم .. ولم يكن التطور فى مجال الثقافة والفنون باقل مما حدث من تطور فى المجالات الأخرى .. وقد اضحى مسرح قطر الوطنى ، هذا التحفة المعمارية

نافذة على احدث ما يجرى على المسارح العالمية من مدارس فكرية وثقافية .. هذا الى جانب ما تزخر به البلاد من انشطة اخرى .. معارض وندوات ومواسم ثقافية وفرق مسرحية اهليه .. ناهيك عن المنجزات التى تحققت فى مجالات الاعلام والصناعة والزراعة والصحة وغيرها ..

والى جانب هذه المظاهر الحضارية التى تبشر بمستقبل زاهر لدولة عصرية تحتل مكانها اللائق بين الأمم فان مواقف دولة قطر من مختلف القضايا العربية والعالمية اتسمت بالحكمة والاعتدال والروح البناءة فى طريق السلام والرخاء وهو ما اضفى على العلاقات بين الشعبين القطرى والمصرى روح المودة وكان حافزا للمساهمة الناجحة بين الأشقاء المصريين لاشقائهم القطريين فى البناء والتقدم .

ولعل التحية التى ازجاها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك إلى اخيه سمو الأمير فى حديثه التليفزيونى الى رئيس بعثة التليفزيون القطرى والذى شاهده الجميع خلال الأيام القليلة الماضية هو اصدق ما اقدمه فى هذه المناسبة .. لسمو الأمير وللاشقاء القطريين .

محمود مهدى

الوزير المفوض ـ المشرف على
رعاية المصالح المصرية فى قطر

● الاصالة العربية والاســـــــلامية ●

... ان تسمع عن بلد وعن اوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وتعجب بما تسمع .. فتلك قضية قد لا تستطيع ان تصدق بكل ما تسمع عنها .. لكن ان ترى من الداخل ما تسمع وما لا تسمع .. ان ترى منجزات ومنشات وتجهيزات مما سمعت واشياء اخرى انجزت بصمت وهدوء وقامت شاخصة ناطقة بالعمل المتقدم .. الهادف الى بناء الدولة وبناء المجتمع وبناء الانســـان اســـاس هـذا وذاك واســـاس المســـتقبل ، فتلك هى الحقيقة التى لا تســـمح بالشـــك او الـتردد .

... ليس مهما ان تملك دولة ما ثروة هائلة كثروة البترول .. بقدر ما هو مهم ان يكون مردود تلك الثروة يعود بالخير على شعب الأرض التى اختزنت تلك الثروة .. وايضا على شعوب اخرى ممن لها علاقة ود وتعاون وسلام بشعب تلك الأرض .

والارادة الطيبة .. مع الادارة الحكيمة التى امتاز بها عهد النهضة فى قطر بقيادة سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني الأمير المعظم ، لها اكثر من شاهد ثابت فى اى مجال من مجالات الحياة .. والشواهد كلها تسير فى اتجاه واحد وتعبر عن التمسك بالاصالة العربية والاسلامية .. وتنطلق بها لهضم واحتـــواء ما جاء به التقدم الحضارى والتقنية الحديثة ، والشواهد تقول إن العمارة حديثة ، والتجارة نشيطة ،والمعروضات كثيرة ومتنوعة،والعمل مضمون وموصول .. والامن موفور والى جانب هذا فالمساجد بماذنها العالية تتوسط الأسواق والمنازل والمؤمنون يندفعون اليها شيبا وشبابا .. والمدارس والمعاهد والكليات والنوادى الرياضية تحتضن اليها جموع الأطفال والشباب من ذكور واناث .. والشارع .. انيق ونظيف .. ومنسجم ، وبكل المعانى المادية والمعنوية ، انيق ، ونظيف ومنسجم كاحدى علامات الحضارة والمدنية .

... استصحاب هذا الحال يوجب الرضى فى نفوس الناس من مواطنين ومتساكنين بما يكفله هذا البلد الطيب لمن يعيش فيه ويعمل من اجله ، وبما يوفره من حماية ، فهذا الحال يقوم على :

- حماية الانسان بتامين الكسب الحلال لحياة كريمة .
- حماية الفكر والروح من التشكيك والتخريب لصيانة المثل العليا والقيم السامية .
- حماية الانسان بتامين التطبيب والعلاج
- حماية الدولة والوطن بالاندماج فى حركات التعاون والتكافل مع الاشقاء والاصدقاء .
- حماية الانتماء الى المجموعة الاقليمية والقومية والمؤسسات والمنظمات الدولية .

... من هذا الواقع .. ومن موقع الاخوة الصادقة .. والتعاون المثمر الذي تتميز به العلاقات المغربية القطرية ، والتى يعمل الجميع على تطويرها وازدهارها .. يسعدنى كثيرا ان انقل للشعب القطرى الشقيق ، مشاعر المودة والوفاء من الشعب المغربى الذى يعيش ظروفا مماثلة من العمل الدؤوب والنهضة الشاملة بقيادة مليكه جلالة الحسن الثانى،وان اتقدم باجمل التهانى وابرك الامانى لكل فرد من افراد الشعب القطرى الشقيق فى هذا العيد الوطني ، حيث تتمثل مسيرة نهضته وتقدمه وازدهاره وحيث يرسى القواعد الثابتة للدولة الاصيلة والحديثة بقيادة القائد الحكيم صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني .

عبد الهادى بن جلون اندلسى
سفير المملكة المغربيـــة

● بناء الانسان والمجتمع ●

المتتبع لحركة التنمية والنهضة الحضارية فى دولة قطر يلاحظ التطور والبناء الحضارى المدروس والسليم بفضل القيادة القطرية الرشيدة ، وبتوجيهات صاحب السمو امير البلاد المفدى فترى ان البلاد تموج بنشاطات بغير حدود فى مجال النهضة الصناعية والتنمية الاقتصادية والبناء العمرانى وبناء الانسان والمجتمع .

فان خط النهضة والبناء والرقى بالمجتمع والنهوض به يسير سيرا حثيثا .

فهناك حركة صناعية منظمة تقوم على اسس ثابتة الى جانبها حركة فى مجال التطور والتوسع الزراعى والحيوانى للوصول الى مرحلة الاكتفاء الذاتى كما ان هناك حركة ثقافية واعلامية واجتماعية لتنمية قدرات الانسان وبنائه حتى تتواكب سلوكياته مع التطور الحضارى الذى تشهده البلاد ..

كما ان ما نشـاهده فى دولة قطر من تطور وتقـدم عمرانى وحركة تشييد على احدث التصاميم العمرانية العالمية مستقاة من واقع بيئتنا العربية الاسلامية .

كما اننا نلاحظ انفتاح دولة قطر على بقية دول العالم وارتباطها بالعالم الخارجى مما جعلها تتبوا مكانه لها وزنها .

كما تعمل ايضا الى جانب شقيقاتها فى دول مجلس التعاون بتنسيق وتحقيق مفهوم التعاون فى شتى مجـــالاته .

عيسى علي اسماعيل

القائم باعمال ، سفارة سلطنة عمان بالدوحة



يا نسيم الصبح

شعر: الدكتور محمد فوزي مصطفى - جامعة قطر

يا نسيمَ الصّبْحِ من أرضِ قطرْ
طابَ فى العيدِ حديث وسَمَرْ
يملأ الدنيا طموحاً وفِكَرْ
كشعاع الشمسِ فى الكَوْنِ عَبَرْ

● ● ●

وَصِحَابِى لاَ مُعِينٌ لا خَبَرْ
وَرَفِيقَ العمْرِ قَدْ مَلَّ الضَّجَرْ
فى شَكَاةٍ وحُرورٍ وَسَقَرْ
عَبْقَرِىَّ السِّرِّ فى صَمْتِ الحجَرْ

● ● ●

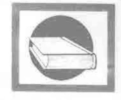
يَا غريبَ الدَّارِ قَدْ طَالَ السَّفَرْ
وَوَجِيبَ القلبِ فى النَّاسِ اشْتَهر
وتهادَتْهُ العَذارَى وتغنَّاهُ الوَتَرْ
إنَّمَا الدُّنيا حَدِيثٌ وَفِكَرْ

● ● ●

فاسْمعينَا لا تُبَالى بالْكَدَرْ
قَدْ طَرَحْنَا الأمْسَ فى طَىِّ القَدَرْ
وَقَضَيْنَا الليْلَ فِى نَحْرِ السَّحَرْ
نَمْسَحُ الأَحْزَانَ مِنْ وَجْهِ القَمَرْ

● ● ●

حَبَّذا الأوْصَافُ فى عِقْدِ الدُّرر
همّةٌ تُحْيِى مِنَ الْمَوْتِ البَحَرْ
وَيَفِيضُ الْعَذْبُ كَالنِّيلِ انْهَمَرْ
دُرّةُ الْخُلْجَانِ فِى الْعِيدِ قطرْ



بقلم : الدكتور محمد البهي

الحكمة

يقول الله تعالى فى سورة الاسراء (٢٣ ـ ٣٩) : « وقضى ربك : ان لا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ..» الى ان يقول « .. ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا » ..

ويشير بقوله : « ذلك مما اوحى اليه ربك من الحكمة » .. الى الوصايا العديدة التى ذكرت قبل الآية : ابتداء من عبادة الله وحده .. الى عدم الخيلاء فى حركة السير . وهذه الوصايا :

١ ـ عبادة الله وحده ،
٢ ـ والاحسان فى معاملة الوالدين ،
٣ ـ واعطاء حقوق ذى القربى ، واليتامى ، والمساكين .
٤ ـ والاعتدال فى انفاق المال على النفس .
٥ ـ وتجنب قتل الاولاد ، خشية الفقر .
٦ ـ وعدم الاعتداء على الاعراض بالزنا .
٧ ـ وعدم الاعتداء على النفوس بالقتل
٨ ـ وعدم المساس باموال اليتامى والضعفاء .
٩ ـ والوفاء بالعهد .
١٠ ـ والعدل فى التعامل ، والوفاء بالحقوق والواجبات .
١١ ـ وعدم التجسس ، وعدم تتبع مالا يغنى الانسان .
١٢ ـ وعدم الخيلاء فى حركة السير .

... وهى وصايا عملية فى سلوك الانسان حتى عبادة الله وحده ، تحدد منهج السلوك التطبيقى فى الحياة ، وتكون قواعد الاخلاق التى يجب ان يسير عليها الانسان .

وعقب ان يذكرها القرآن الكريم فى وصاياه ـ التى هى اوامر ، او نواهي هنا ـ يشير اليها بانها وحى من « الحكمة » لله : « ذلك .. مما اوحى اليك ربك من الحكمة » .. والحكمة اذن هى المنهاج العملى للسلوك ، فى مقابل الاعتقاد . فاذا قرنت الحكمة بالكتاب ـ اى جاءت مقترنة معه ـ فى اية من ايات القرآن ، كما فى قوله تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته .. لهمت طائفة منهم (اى من المشركين الماديين الملحدين) ان يضلوك ، وما يضلون الا انفسهم ، وما يضرونك من شىء ، وانزل الله عليك : الكتاب .. والحكمة » (النساء : ١١٣) فالمقصود بالحكمة كذلك : المنهج العملى او ما يسمى بالشريعة . اذ الشريعة هى الطريق ، والسبيل .. والمقصود بالكتاب ما تضمن العقيدة . واذن قول الله : « وانزل عليك الكتاب ، والحكمة » معناه : انزل عليك العقيدة .. والشريعة معاً .. اى انزل عليك دينا متكاملا ، يمثل الاعتقاد الصحيح كما يمثل المنهج العملى السليم . ولذا كان التعقيب فى هذه الآية بقوله : « .. وكان فضل الله عليك عظيما » . لأن الجمع فى الوحي الى رسول من الرسل : بين العقيدة والشريعة .. يعبر عن ميزة الرسول وفضله بين الرسل .

وكذا قوله تعالى فى سورة البقرة : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا » (البقرة : (٢٥١) .. بعد تلك الآيات التى اوصت بالانفاق فى سبيل الله : ابتداء من قوله : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ..» الى قوله .. « الشيطان يعدكم الفقر ، ويامركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » (البقرة : ٢٦٩) .. فان الحكمة هنا اقرب الى المنهج العملى فى السلوك . لأن الانفاق سبيل وطريق عمل فى الحياة .

وعلى هذا النحو ما جاء فى قصة داود فى قوله : « ... وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء ... » (البقرة ٢٥١) .. فالحكمة التى اعطيها داود من قبل الله هى : الاخلاق والسلوك المستقيم . فقد عرف عنه انه كان ذا خلق كريم ، وذا شجاعة فى سبيل الايمان بالله . ولذا انتصر فى القتال ضد الأشوريين لتخليص اسرى بنى اسرائيل لديهم . وقد كان اسرهم الاشوريون فى حرب معهم : اذلوهم ، واقتحموا عليهم ديارهم ، وهدموا ما كان لهم من حضارة مادية ومعابد وبينها هيكل سليمان ، والى هذه الهزيمة يشير القرآن الكريم فى سورة الاسراء :

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً (اى لتطغون طغيانا ظاهراً) . فاذا جاء وعد اولاهما (اى وعد عقاب الاولى) بعثنا عليكم عباداً لنا اولى باس شديد (وربما يقصد القرآن الاشوريين هنا) فجاسوا خلال الديار (اى اقتحموها واهلكوا ما وجدوا فيها) وكان وعداً مفعولا » (الاسراء : ٤ ، ٥) (اى ناجزاً ونافذاً) .

وعلى هذا المعنى يحمل مفهوم : « الحكمة » ـ وهو معنى الشريعة او المنهج العملى والاخلاقى للسلوك ـ اذا جاءت كلمة الحكمة فى اية وحدها ، او مقترنة مع كلمة : « الكتاب » . على ان يقصد بالكتاب عندئذ : ما يحدد مضمون العقيدة . كما فى قوله تعالى : « هوالذى بعث فى الأميين رسولا منهم : يتلو عليهم اياته (اى آيات الله التى يوحي بها اليه مما يشمل الشريعة ، والعقيدة معاً) ويعلمهم الكتاب (اى العقيدة) والحكمة (اى الشريعة وآداب السلوك) وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعة : ٢) .

وفيما يقوله جبريل ـ مبشراً مريم بعيسى المسيح عليه السلام ـ رداً على سؤالها : « قالت ربى : انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال : كذلك ، الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له : كن فيكون . ويعلمه الكتاب (اى العقيدة) والحكمة (اى الشريعة) و التوراة والانجيل (اى ما يجمع الامرين من عقيدة وشريعة) ورسولا الى بنى اسرائيل ... » (آل عمران : ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩) .. وفيما يقوله جبريل هنا فى هذا الحوار : من كتاب ، وحكمة .. لا يخرج معناهما عما ذكر من قبل .

وذكر التوراة والانجيل بعد ذلك هو ذكر لما عرف عند بنى اسرائيل مما يعم العقيدة ، والشريعة .. وتاكيداً بان رسالة عيسى هى فى نطاق ما جاء به موسى من قبل . وبذلك تكون حجته فى بنى اسرائيل حجة واضحة

الواجهتان : الشرقية والغربية للبيت الخليجي الذى يطالب الفنان بضرورة الحفاظ على ملامحه فى المبانى الجديدة

فنان كويتي يحاول إنقاذ البيت الخليجي



الفنان الكويتى احمد زكريا الانصارى

بقلم : يوسف أحمد

يلعب الفن المعمارى دورا هاما فى تعديل سلوك الفرد فى الدول المتقدمة ، وتاخذ هذه الدول على عاتقها تحديد مساره واشكاله مترجمة بذلك افكارها وظروفها الاجتماعيـــة والبيئيـــة والاقتصادية .

ولقد كان الفن المعماري فى الخليج قبل مائتي عام يفى بحاجات ومتطلبات مواطنيه ، فنجد أن تصميم البيت الخليجى لا يعدو اكثر من فناء كبير تحيط به غرف النوم والمطبخ والحمام ، بحيث يتيح هذا البيت الفرصة الكبيرة لمعيشة عدد كبير من افراد الاسرة ، ويساهم بشكل طبيعى فى تكوين علاقاتهم الاجتماعية الوطيدة !

وقد كان التصاق هذه البيوت فى شكل افقي ومتراص إنما هو ترديد طبيعى لما كان عليه اهل زمان من مودة ومحبة وإخاء ساعدت على ترابطهم وتماســـكهم واهتمامهم بتبادل الزيارات وحل المشاكل والمشاركة الجماعيـــة فى الافـراح والاحزان !

اما اليوم ونتيجة للقفزة التى طرات على منطقة الخليج نتيجـــة للثروة البترولية الهائلة التى غيرت الكثير من التقاليد والتى جعلت العديد يجرى وراء وهم المدنية الزائفة التى هى بحق الغرب الغرائب على مجتمعنا المعاصر ، فقد وجدنا اننا معرضون خلال السنوات المقبلة لحقيقة مؤسفة تقول ان المعمـار



إحدى لوحات الفنان التى تتميز بأسلوبها الخاص .. اللوحة اطلق عليها اسم : الحجاب

الخليجي سيلفظ انفاسه الأخيرة ، مسدلا بذلك عصراً ذهبياً كانت منطقتنا تتميز به بين كافة المجتمعات .

وبسبب هذا الخطر المقبل ، انبرى بعض المهتمين بهذا الفن وبعض عشاق التعلق بهذا التراث الفني ، وخرجوا ببعض الحلول والطرق للحفاظ على ما تبقى من تراث معماري وانقاذ ما يمكن انقاذه من هذا الفن الجميل ..

ومن بين المهتمين بهذا التراث العظيم الفنان احمد زكريا الانصاري ، الذي قرر أن يسلك هذا الطريق الوعر حتى لو اصطدم ببعض الافكار المعارضة لتطلعاته وتصوراته .

فاحمد زكريا الانصاري تربى وترعرع فى مدرسة والده التى كان يشرف عليها خدمة منه لابناء الحي والأحياء المجاورة حتى دخل مدرسة المباركية فى الكويت عام ١٩٤٢ ، وهنا بدات مرحلة التامل فى حياته حيث التقى بخبرات اساتذته واستفاد من مهاراتهم فى النحت والتصوير

ووجد فناننا نفسه مغرما بتصميم البيوت والنماذج للاحياء القديمـــة ، مستخدماً فى تنفيذها العلب الفارغة والادوات البسيطة ، وهنا تاصلت فى أعماقه روح الموهبة ، فارسلته دولة الكويت الى مصر لتكملة المرحلة الثانوية فى المدرسة السعيدية والتحق بعدها مباشرة بجامعة الاسكندرية ليدرس فن العمارة ، وفى هذه المرحلة قدم عدة دراسات بديعة لفن المعمار المصري القديم وللاعمدة الفرعونية ، حتى انهى سنته الاولى فى الاسكندرية ، ليغادرها الى انجلترا حيث التقنيات الحديثة فى التعليم المعماري واسلوب التدريس المتقدم الذي ينمي موهبة وافكار الطالب عن طريق تشجيع ارائه وتصوراتـــه الخاصة فى المنهج الدراسي !

وعاد الى الكويت عام ١٩٥٦ ليعمل مساعد معماري فى القسم الهندسي التابع لدائرة المعارف ، وفى هذه الفترة قام بتصميم عدة مدارس حكومية منها مدرسة المتنبي والامين والمامــــون ومدرسة جول جمال التى سميت فيما بعد بمدرسة « حولي » والتى جاء تصميمها مطابقاً للبيوت الشعبية القديمة فى الكويت ، حيث الفصول تحيط بالفناء وحيث الأرض الفضاء واماكن تسلية الاطفال !

وبهذا التصميم الشعبي يكون احمد زكريا الانصاري أول معماري كويتي ربط الطفل ببيئته وحبه القديم ومدرسته !

وما ان انجز فناننا هذا التصميم حتى اوفدته دائرة المعارف عام ١٩٥٨ الى ايطاليا لدراسة الفن المعماري الايطالي الذي كانت تتميز به ايطاليا ـ خاصة ـ فى القرن الرابع عشر وحتى القرن التاسـع عشر ، وعاد إلى الكويت مرة اخرى عام ١٩٦٠ ليعمل فى وزارة الاشغال ليرسل مرة اخرى الى لندن ليتخصص فى التصميم الجداري الذى كان شغله الشاغل ، حيث ابدع فيه مستخدما البعد الواحد فى احياء الكتابة والتعامل معها تعاملا تشكيليا ، وفى هذه الفترة انجز عمـلين هامين ، احدهما لمكتبة مركزية جديدة لمدينة فى جنوب (ويلز) ، والاخر لسكن للطلبة فى لندن .

وبعـــد ذلك عـاد إلى الكويت ليعمل رئيساً لمكتب البرمجة والتخطيط بوزارة الأشغال العامة ، وتوج خبرته الطويلة باصدار كتاب ضخم يقع فى حوالى ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير عن تصوراته وافكاره فى مجالات عديدة من الفنون المرئية والسمعية .

ان هذا الكتاب بحق يعتبر عملة نادرة فى منطقة الخليج ، حيث ان المؤلف قد بذل جهداً كبيراً لاصداره ، واستعرض فيه انجازاته وتخطيطاته تحت عنوان : افكار وتصورات حيث التخبط العشوائي فى التصاميم الهندسية والمعمارية .. فقد انتقد المعمار فى هذه الايام حيث الابواب مفتوحة على مصاريعها (لا فى الكويت



تصميم جداري لحائط سيراميك .. من أعمال الفنان التى حاول فيها الربط بين الشكل والالوان



مناظر خارجية للبيت الخليجي الذي يرى الفنان انه يتيح فرصة كبيرة لمعيشة عدد كبير من افراد الأسرة ، ويساهم فى تكوين علاقاتهم الاجتماعية الوطيدة .



نحت من خشب « التيك » صممه الفنان واهتم فيه بجراة الكتلة ، والعمل يعود انتاجه إلى عام ١٩٦٤

فحسب بل فى منطقة الخليج) نتيجة الهجرة الاجنبية ومعتقداتها وافكارها وظروفها النفسية والاجتماعية ، ونتيجة ايضا للترف المادى الذى اصاب المواطن الخليجى وجعله يستعين بمهندسيـن غرباء على المنطقة ، لا يفهمون ظروفها الاجتماعيـة والنفسية ، حتى تراكمت العمارات ذات الزجاج اللامع وكانها علب خاوية لا تلمس المشاعر والوجدان الخليجى !

لقد صرخ احمد زكريا الانصارى من الجهة الغربية للخليج العربى محذرا المسئولين فى المنطقة حتى يسارعوا للابقاء على الرصيد الحالى وحتى يتحركوا فى ظل احتياجات المنطقة !

ويستعرض الفنان المعمارى احمد زكريا فى الفصول الاربعة التى حواها كتابة القيم ، اراءه فى تعريف الفن والاصالة فى العمل الفني وضرورة الفن كقيمة اساسية فى حياة الانسان وكيف ان هذا الفن يعد مظهرا حضاريا لكل مجتمع ، ويستعرض ـ كذلك ـ مفاهيم التذوق الفنى العام واسباب هبوط المستوى الفنى الحالى ،وتغلب العصر المادى على بعض المفاهيم تحت ستار التطور التكنولوجى !

ويؤكد كتابه على دور الفن والصناعة فى خدمة انسان العصر الحديث ، ويتطرق الى الفنان الموهوب كثروة قومية يجب ان نحافظ عليها ونفتح كل الطرق لرعايتها واحاطتها بكل عوامل النجاح .

ويتناول فناننا فى الفصل الثانى من كتابه ، اهمية العمارة واشكالهـــا وتصميماتها والدور الذى تلعبه فى تنمية ذوق المواطن وانعكاسه على سلوكه اليومى ، ويتناول قضية المباني التعليمية حيث انه عاصر هذه المشكلة ووقف على مشاكلها ووضع حلولا لها !

وفى الفصل الرابع نراه يضع الحلول لملامح المستقبل مشيرا فى ذلك الى الدور الكبير الذى تقوم به الاجهزة الاعلاميـة والثقافية والتخطيطية ، ويشير فى نفس الوقت الى الشارع الكويتي بما يتضمنه من عمائر ومبان وحدائق ، مؤكدا بانه لا خلاص لنا من هذه الفوضى المعمارية الا باحترام الانسان ماديا وروحيا والانتقال به من مادية التمدن الى الحضارة الحقه حيث الحق والخير والجمال .

انه يقول فى احدى مقدمات كتيباته التى اصدرها بمناسبة اقامة احد معارضه عام ١٩٦٧ عن التصميم الجدارى : « إن التصميم الجدارى ملازم للعمارة على مر التاريخ ، وقد عرفته شعوب كثيرة وبخاصة التى سكنت منها البلاد العربية مثل الفراعنة ، والآشوريين ، والبابليين والفينيقيين ، والحميريين ، واخيرا الدولة الاسلامية .. وقد اصبح هذا الفن ضروريا بالنسبة للعمارة الحديثة ، لانها خالية من الحليات والنقوش ، وتسيطر على تصميماتها ميكانيكية العصر المادى الذى يعيش فيه » .

وعندما يتحدث عن الاصالة والمعاصرة فانه يقول : « قد يقول قائل ان ما سيراه فى اعمالى لا يمثل البيئة . وهذا عدم فهم ، لانى لا احتاج الى تصوير « بوم » او امراة « لابسة » عباءة حتى امثل بيئتى ، فانا قبل كل شىء عربى ، ولدت وعشت بالكويت وعاصرت ايام الشدة والرخاء فى بلدى ، غنيت وصفقت مع البحارة للغوص والسفر ، غنيت السامري ، وركبت الجمل ، وعشت فى خيمة بالصحراء ، والفن الكويتى متفاعل مع نفسى ، إذن فكل تصميم او خط اخطه سيكون نابعـا من اعماقى ويمثل بيئة بلدى ! » .

هذا هو احمد زكريا الإنصـارى الـذى يعتبر من الفنانين القلائل فى منطقة الخليج الذين اهتموا بفن العمارة الخليجى ، واستطاعوا بعد عناء طويل ومشقة الالتزام بتقديم فن العمارة الخليجى من منطلق حضـارى لهذه المنطقة المعطاة .

يوسف احمد



(١) هذه الرقبة الطويلة المنتهية براس صغيرة مستطيلة ، قد تعنى اشياء .. هل هى لوحش بحيرة نيس الذى ظل جسمه الكبير مغمورا فى الماء ؟ ام لكتلة خشبية طافية ؟ .. ام لذيل حيوان ؟ .. ام خدعة ضوئية ؟ .. لا احد يدرى يقينا .

على هامش ظواهر حيرت الناس

وحش البحيرة المنقرض هل عاد وظهر؟!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

على شاطيء بحيرة نيس ـ المشهورة في اسكتلندا باسم « لوخ نيس » ـ وقف الايرلندي « كولامبا » بين بعض رجاله في انتظار قارب ياتيه من الشاطيء الآخر ، ولقد تطوع احد رجاله في ان يسبح لاحضاره من حيث يرسو هناك ، خاصة وان اتساع البحيرة في هذا المكان لا يزيد عن الميل ، وبينما هم يرقبون الرجل الذي كان يندفع في الماء بمهارة فائقة ، انشقت البحيرة فجاة عن وحش مخيف يزار كالرعد وينطلق بفمه الواسع المفتوح ليلتهم الرجل وتجمدت الدماء في عروق الجميع ، ونظروا الى كولامبا عله يفعل شيئا ، فراوه وقد رفع يديه نحو السماء خاشعا ، والى الله متضرعا وداعيا ، ثم الى الوحش امرا « لا تذهب الى ابعد من ذلك ، ولا تلمس ذاك الرجل ، ولتسرع بالعودة الى الاعماق من حيث أتيت » !

هذه القصة الغريبة يرجع تاريخها الى اكثر من ١٤ قرنا ، وكانت قد كتبت بعد موت كولامبا بمائة عام واضيف لها : ان الوحش الرهيب قد اذعن بالفعل لامر كولامبا ، وغاص في البحيرة ، ولم يتعرض بعدها لانسانٍ باذى على الاطلاق !

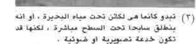
قد تكون هذه القصة مريحة ومقبولة للذين يعتقدون في الخوارق ، الا انها قد لاتكون كذلك بالنسبة للعلماء الذين يتوقون للكشف عن طبيعة هذه الظواهر المثيرة ، فالذي كان يهمهم حقا ، هو ان يحصلوا على وصف ـ ولو موجز ـ لشكل هذا الحيوان الأسطوري وحجمه وطوله وعرضه علهم يعرفون شيئا عن هويته ، لكن يبدو ان القصة كانت رمزا لواحدة من الخوارق ، ولهذا فلم تضف الى العلم شيئا مذكورا !

الظاهرة تتكرر في القرن العشرين

لكن هذه القصة التي يرجع تاريخها الى عام ٥٦٥ م ميلادية قد ظهرت من جديد في



(٢) صورة اخرى لوحش البحيرة ـ كما يدعي الذي التقطها .. صحيح ان لها راسا ورقبة وجسما .. لكن ماذا تخفى تحتها ؟ .. لم يستطع احد حتى الآن ان يتحقق من هويتها ، فربما كانت شيئا طافيا ، وليست كائنا حيا .



(٣) تبدو كانما هى لكائن تحت مياه البحيرة ، او انه ينطلق سابحا تحت السطح مباشرة ، لكنها قد تكون خدعة تصويرية او ضوئية .





(٤) دنسديل يرقب سطح البحيرة من خلال الة تصوير سينمائية عله يلتقط شيئا ، فيعود بالخبر المثير .. والصورة التى بجانبها لمجموعة من العلماء الذين يبحثون عن الوحش فى الاعماق من خلال جهاز « السونار » الذى بدا يتدلى فى الماء

عام ١٩٣٣ ، وبصورة اكثر اثارة ، لكن بدون معجزات هذه المرة ، اذ بينما كان الجراح الانجليزي جوم ماكاي وزوجته يتجولان على شاطىء البحيرة ، لفت نظرهما جسم غريب له ما يشبه الراس المدببة ، والرقبة الطويلة ، ومن حسن حظهما انهما كانا يحملان معهما الة تصوير ، فالتقطا له صورة (شكل ١) ، فنشرتها جريدة اسكتلندية محلية مع تعليق مختصر ، ومن الصحيفة انتقل الخبر الى صحف لندن ومنها الى بعض صحافة العالم وقتذاك ، حيث اثار اهتماما كبيرا بين الناس ، خاصة وان بعضهم كان قد سمع من قبل ان البحيرة مسرح لنوع من الحيوانات الضخمة التي كانت تعيش في عصر الديناصورات التي انقرضت منذ حوالي ٧٠ مليون عام !

من هنا بدأت القصة الحقيقية للبحث عن هذا الوحش الخرافي ، فسارعت جريدة « ديلي ميل » اللندنية بارسال بعثة الى البحيرة ، وكانت مكونة من ثلاثة : رئيسهما عضو منتسب الى الجمعية الملكية لعلم الحيوان ، ويصاحبه صحفي ومصور ، وظل الثلاثة يطوفون حول شاطىء البحيرة اياما علهم يسجلون فيها شيئا ، لكن محاولاتهم لم تسفر عن شيء ، ولم تشأ المجموعة ان تعود بخفي حنين ، اذ وجدت على الشاطىء آثار اقدام كبيرة وغائرة ، فالتقطوا صورها وعادوا لنشرها ، وتطوع عضو الجمعية في كتابة تقرير عنها ، وأشار الى انها قد تكون للوحش الذي يسكن البحيرة ، وذهب خياله الى ابعد من ذلك وقال : انه من الحيوانات البرمائية الضخمة ، اذ قد يحلو له ان يخرج ويتجول على الشاطىء ، ثم يعود الى البحيرة ليختفي فيها !

لكن مما لا شك فيه ان القفز الى الاستنتاجات بمثل هذه السرعة ربما بغرض الاثارة ، او لتحقيق سبق صحفي ،

وحش البحيرة المنقرض
هل عـــاد وظـــهــر ؟!

عادة ما يجـر الى اخطـاء فاحشـة ، فسر ازدهار العلم ، وجدية مساره ، ومصدر احترامه ، يرجع الى رقابة العلماء على العلماء ، فاذا حاد احدهم بشطحات افكاره عن الطريق القويم ، قوموه ـ ليس بالسب او التحقير والتشهير وما شابه ذلك ، بل بدراسة الظاهرة دراسة متانية ، او باعادة التجربة مرة ومرات ، ذلك ان الحد الفاصل بين الغث والسمين ، يكمن اساسا في التجربة العلمية التي تسير على مناهج واضحة .

ولـقد كـان اول من اضير في هـذه الاستنتاجات المتسرعة الجمعية الملكية نفسها ، اذ ان المتحدث كان واحداً من المنتسبين اليها ، ومن اجل هذا سارع بعض اعضائها لدراسة الظاهرة ، فظهر ان طبعة الاقدام ليست الا لشيء قريب بطبعة القدم اليمنى الخلفية لفرس النهر ، وسخر احدهم من ذلك وعلق قائلا : ان اثر القدم هو طبعة متقنة لقاعدة حامل مظلة شاطىء بحر كانت على هيئة قدم فرس النهر ، كما ارادهـا صاحبها الساكن فى « لوخ نيس » .. وكان هذا التهكم الواضح بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير !

وصور اخرى لها حكايات

لكن الصورة التي التقطها الجراح قد جذبت انتباه الكثيرين ، وكان لابد من تعليل ، وظهر لها مؤيدون ومعارضون ، وظلت الامور حائرة بين الشك والرفض واليقين ، وبقيت هكذا معلقة بضع سنين ، فظهرت اثناءها تعليقات وتفسيرات ، بعضها يرفض الظاهرة واخرى تؤيدها .. فاما المؤيدون فقد ذهبوا الى القول بان سبب ظهور هذا الحيوان الغريب يرجع الى الضوضاء الشديدة التي حلت حول شواطىء البحيرة لانشاء طريق مرصوف في بداية الثلاثينات من هذا القرن ، وفيه استخدم المهندسون المتفجرات لازالة بعض العوائق والصخور . فازعجت الحيوان الذي ظل مختفيا عن العيون ، وعندئذ اندفع الى السطح وكانما هو يهرب من قضاء الى قضاء !

لكن الرافضين ارجعوا الظاهرة الى جذع او فرع نبات ربما كان يكمن فى القاع او مغمورا تحت سطح الماء ، وحدث فيه تخمر ادى الى انطلاق غاز ثانى اوكسيد الكربون ، فتجمع الغاز فى فجوات الى ان رفع الكتلة وطفا بها الى السطح ، او قد يكون ذلك لذيل حيوان القضاعة او ثعلب الماء طويل الذنب ، وان الصورة قد التقطت فى وضع غير مضبوط . وهم يستبعدون وجود حيـــوان ينتمى الى عصـــر الديناصورات بعد ان حل بها الانقراض منذ زمن سحيق .

ثم تجيء صورة اخرى مثيرة بعد ١٨ عاما من صورة الجراح ، ففى الصباح الباكر لاحد ايام عام ١٩٥١ ، وبينما كان المدعو لاكلان ستورات متجها الى حظيرة مواشيه الواقعة قرب شاطىء البحيرة لاحظ وجود شيء من الاضطراب على سطح الماء ، ثم اذ بثلاثة اجسام تشبه سنام الجمال تطفو . ومن حركتها تجاه الشاطىء تاكد انها لحيوان واحد ، وهنا اسرع الرجل عائدا الى منزله ، ثم عاد مهرولا وبصحبته الة تصوير ، ورجل اخر من عائلته ليؤمن على ما راى ، واستطاع ان يلتقط صورة للجزء الطافى من الحيوان وهو يسبح على مسافة من الشاطىء قدرت بحوالى ٥٠ مترا (انظر شكل ٢) .. ومرة اخرى اثار نشر هذه الصورة فى الصحافة اهتماما كبيرا فى بريطانيا وفى غيرها من الدول . ومع ذلك فقد اختلفت حولها الاراء .

وزاد الاهتمام بوحش البحيرة اكثر عندما ظهرت صورة اخرى لحيوان طاف على الماء يشبه القارب المقلوب ، ويرتفع عن السطح حوالى المتر وربع المتر ، وحوله كان الماء يضطرب او يتموج كلما تحرك او سكن او غطس .. ومن ثم فقد تحمس مهندس الطيران « تيم دنسديل » لهذه الظاهرة ، واراد ان يضع حدا للشكوك التى تثور حولها ـ خاصة من العلماء الحريصين على عدم اللغو فى مسالة شائكة اختلفت فيها اراء الناس ، وتعددت اوصافهم ، حتى لكانما البحيرة تموج بمئات الانواع من الوحوش الضخمة التى لا يجد العلماء لها فى مراجعهم اية اوصاف يمكن ان يستدلوا منها على نوعها وجنسها ورتبتها بين الكائنات .. ذلك ان عدد المشاهدات التى ترددت بين الناس قد وصل الى ما يقرب من ثلاثة الاف مشاهدة ، وكان معظمها خدعا بصرية ، او تموجات مائية ، او انعكاسات ضوئية (شكل ٣) ، او اجساما طافية ، او تخيلات اطلقها بعض المخمورين ، او روايات كاذبة كانت تتلقاها الصحافة ، وتجد فيها مادة مثيرة ، فتسارع بنشر الحكاية مع صورة صاحب الرواية الذى يسعده ذلك سعادة بالغة .

لقد كان من المعروف ان دنسديل مصور بارع ، ولهذا فقد حمل معه الة تصوير سينمائية فى عام ١٩٦٠ ، واستاجر قاربا ، وعاش فيه على سطح البحيرة متجولا ، عله يلتقط لهذا الوحش الخرافى فيلما متحركا ، فيكون له ولغيره خير دليل على مسالة طال اللغو فيها ، دون ان يصل فيها احد الى راي قاطع (شكل ٤) .

وبالفعل نجح دنسديل فى التقاط بعض الصور لشيء يطفو على الماء ، وله جسم مقوس كالسنام ، ويسبح بسرعة مبتعدا عن الرجل الى ان غاب ، وعندمـــا عرض التليفزيون البريطانى هذا الفيلم المثير ، واستضاف له العالم البريطانى موريس بيرتون ليقول فيه رايه ، اصيب دنسديل والمشاهدون بخيبة امل ، اذ قال عالمنـــا البيولوجي : ان الصور تشبه صورة قارب ذى محرك نفاث وهو ينطلق بسرعة بعيدا عن عدسة المصور !

البحث الجاد ياخذ مجراه

واستمرت اللعبة ، وكانما حالها كحال المشاهدات والحكايات التى يتناقلها الناس وتذيعها اجهزة الاعلام عن ظاهرة غزو الارض باطباق طائرة تحمل مخلوقات عاقلة من الفضاء .. اذ تظهر هذه الحكايات فترة وجيزة ، ثم تختفى لفترات طويلة ، لتعود وتختفى .. وهكذا حكاية وحش البحيرة ، اذ كلما اذاع احد الناس خبرا ، تناقلته الصحافة ، فتصيب الناس بمزيد من الهوس ، والعلماء بمزيد من الارق ..

وارقهم نابع من مطالبة الجماهير لهم بابداء رايهم فى مســـالة هى من صـــميم اختصاصهم ، وهم لا يستطيعـــون ان يشيدوا حكمهم على اقوال تتردد بين الناس دون ان يساندها دليل ، والدليل يستلزم بحثا علميا جادا ، والبحث يحتاج الى تمويل ، والتمويل يتطلب ميزانيـــة ، والميزانية قد لا تكون متاحة .. الى اخر هذه الحلقات المفرغة .

فى بداية الستينات من هذا القرن تكونت هيئة شبه علمية اطلقت على نفسها اسم « المكتب الاستطلاعى لبحيرة نيس » ، وكان يراسها عضو البرلمان الانجليزى الاسبق دافيد جيمس ، ويعاونه اثنان من العلماء البيولوجيين ، وانضم اليهم افراد

من المتحمسين والمتطوعين للكشف عن هذا الوحش الغريب .. ومن بينهم محامون ومهندسون وصحفيون ومصورون .. الخ ، وبدأ تمويل الجمعية من جمع الاشتراكات من اعضائها ، وكان التمويل الاكبر - بطبيعة الحال - من الرئيس ، ولقد انشات الجمعية مراكز مراقبة ، زودتها باجهزة تصوير متطورة ، ومناظير مقربة ، وكل ما يلزم لاستطلاع سطح البحيرة من اولها لاخرها ، وهو امر ميسور ، اذ ان طول البحيرة حوالى ٣٧ كيلو مترا ، متوسط اتساعها ١٦٠٠ متر ، واعمق بقعة فيها ٢٣٠ مترا .

ورغم ان الات التصوير ووسائل الملاحظة كانت تغطى البحيرة باكملها ، ورغم ان الرصد قد استمر شهورا طويلة (خاصة اشهر الصيف حيث تتيسر الاجازات للاعضاء ، وحيث المناخ الاسكتلندى مناسب) .. ورغم الاف الصور التى جمعت - رغم ذلك فلم تسفر هذه المحاولات عن شيء يذكر ، اللهم الا بعض صور جد قليلة لا تختلف كثيرا عن الصور التى التقطت من قبل .

وفى نهاية الستينات وحتى ما بعد منتصف السبعينات ، دخل العلم بثقله وخططه واجهزته ، وطبيعى ان العلماء هنا لا يفعلون كما يفعل الناس ، فلا يقفون على الشواطيء فى انتظار ظهور الشيء ، فيلتقطوا له صورا ، فهذه وسائل بدائية ، لاتسعف فى البحث الأصيل ، ولا تشفى الغليل .. بل عول العلماء من البداية على اقتحام البحيرة ذاتها ، والبحث فى اعماقها ورصد ما يجرى فى جنباتها .

ورسمت الخطط ، وتقدمت اليابان باحسن ما لديها من اجهزة التصوير تحت الماء ، وساهمت جامعتا اكسفورد وكامبريدج ببريطانيا بخططهما وبعض اجهزتهما وعلمائهما ، وشاركت الولايات المتحدة ممثلة فى اكاديمية العلوم التطبيقية ببوسطن باجهزة غطس متطورة ، ومزودة باجهزة راصدة ومصورة .. الى اخر هذه التجهيزات التى أصبحت وسيلة متكاملة للبحث ، ووراءها مجموعة مخططة من العلماء .

ونحن لا نستطيع ان نتعرض هنا للتفاصيل ، ففيها يتشعب الحديث ويطول ، لكن يكفى ان نختصر ونقول : إن وسائل البحث قد تمت بلستخدام كل ما يطرا ومالا يطرا لنا على بال .. بداية من أجهزة السونار (صدى الصوت المرتد من اى عائق الى جهاز يحدد بعض تفاصيله) .. الى الات تصوير تحت الماء ، الى كاميرات تليفزيونية .. الى شرائط فيديو .. الى اجهزة تصنت على اية اصوات أو اشارات قد تطلقها تلك الحيوانات .. الى فخاخ مزودة بطعم جاذب لشهية تلك الكائنات .. الى خطاطيف وكلابات تنطلق «اتوماتيكيا» بمجرد ان يدخل جسم كبير فى مجال الموجات الصوتية ، حيث تندفع اليه ، علها تنهش شيئا من لحمه ، وبه تعود لتحفظ فى كبسولة خاصة ، لحين فحصها ومقارنتها باى كائن حي معروف .. ليس هذا فحسب ، بل تنطلق فى التو واللحظة سلسلة من التوجيهات المبرمجة على حاسب اليكترونى ، لتضيء الكشافات ، وتسجل الأصوات ، وتفتح العدسات فى كاميرات تليفزيونية وستريو وبولا رويد .. الخ (شكل ٥ ، ٦) .

نتائج تحتاج الى تمحيص

ورغم هذا الجهد الكبير فى التخطيط والمسح باحدث الوسائل والاجهزة التى يمتلكها العلم فى الوقت الحاضر ، الا ان ذلك لم يسفر عن نتائج مشجعة .. اذ لم يقترب حيوان ضخم لينهش الطعم الكبير ، حتى تنطلق الاجهزة للرصد والتصوير ، وعليه فلم تسجل الكاميرات اية صور يمكن الاعتماد عليها ، لكن بارقة من امل قد تحققت باجهزة السونار - اى الصدى الصوتى المرتد - ولقد التقط هذا الجهاز شيئا اخترق مجاله وكان يبعد عنه ١٢ مترا وعلى عمق عشرة امتار ، ويبلغ سمكه مابين متر وربع الى متر ونصف ، وفي الوقت ذاته انطلقت اجهزة التصوير لتلتقط بعض الصور ، ولكنها لم تظهر صورا واضحة ، وارجع بعض العلماء ذلك الى عدة احتمالات ، منها ان الشيء المعترض ربما اثار الماء لدرجة انه احدث فيه سحابة من مواد دقيقة معلقة ، فحالت بين ضوء الكشافات وبين الهدف والكاميرات (المعروف ان مياه البحيرة غير صافية) ، او ان العدسات نفسها قد ترسب عليها - بمرور الوقت - هذه المواد ، فلم تعط النتيجة المطلوبة .. الخ .

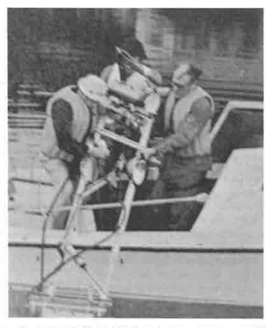
لكن الغريب ان اجهزة التصنت المنتشرة فى بعض ارجاء البحيرة قد سجلت اصواتا لكائنات مختلفة ، ولأعماق تصل الى مائة متر ، أو اقل من ذلك ، لكن احدا لم يستطع ان ينسب هذه الاصوات الى اي حيوان مائي معروف .. وكان من الممكن تتبع مصادر هذه الاصوات ، لكن حركة الغاطسات تحت الماء كانت - لأسباب تكنولوجية - ابطا من حركة هذه المصادر المجهولة !

ولقد كانت اكاديمية العلوم التطبيقية ببوسطن اكثر حظا ، اذ استطاعت الات تصويرها - بعد تجنب بعض العقبات - ان تلتقط عدة صور تحت الماء ، لكن اثنتين منها قد اوضحتا شيئا اقرب الى صورة عام ١٩٣٣ (انظر شكل ١) .. اي براس مدببة ، ورقبة طويلة ، وجسم ضخم (شكل ٧) .. وفي صورة ثالثة ظهر تكوين غريب لم يستطع احد ان يحدد معالمه .. ويعتقد الذين فحصوا هذه الصور ان اضخم هذه الحيوانات تتراوح كتلته ما بين ٨٠٠ - ١٥٠٠ كيلوجرام ، وعرضه حوالي المترين ، وطوله في حدود ثمانية امتار .. لكن ما هي هوية هذا المخلوق ، او الى اية فصيلة ينتمي ، فلا احد يعرف ذلك يقينا .

ويبدو ان تلك النتيجة قد دفعت بعض العلماء الى مزيد من البحث عن ذلك الحيوان الضخم ، وهذا ما حدث بالضبط ، اذ بدات دراسة اخرى بداية من شهر مايو عام ١٩٨٢ حتى اخر اغسطس من نفس العام ، تحت اشراف وتخطيط دكتور ادريان شاين ، وباشتراك عدة جامعات بريطانية لتدرس طبيعة بحيرة نيس وبحيرة اخرى مجاورة تعرف باسم مورار ، ولم يكن ذلك مقصورا على البحث عن كائنات ضخمة في هذه البحيرة او تلك فحسب ، بل ايضا لدراسة نشاتها وخواصها الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والجيولوجية ... الخ (شكل ٨) .

والشيء الذي يهمنا في تلك الدراسة هو ما اسفرت عنه البحوث التي تمت بحثا عن اي حيوان ضخم ، ولقد نشر شاين هذا البحث في العام الماضي (اي ١٩٨٣) وفيه يذكر ان ثلاثة طرازات مختلفة من اجهزة السونار بترددات موجية مختلفة (٥٠ ، ٨٠ ، ١٥٠ كيلوهيرتز) قد ظلت تمسح اعماق بحيرة نيس لاكثر من ١٦٠٠ ساعة متواصلة (اي حوالى ٦٧ يوما كاملا) واظهرت الاجهزة علامات غريبة ليست مفهومة مصادرها ولا طبيعتها ، لكنها على اية حال تشير الى شيء ما . ومن هنا يختتم بحثه بقوله « اننا لم نجد وحوشا ، ولم نتاكد كذلك من عدم وجودها ، لكن لدينا - على اية حال - حالة تستحق جوابا » .

الغريب ايضا ان اثنين من العلماء هما دكتور هـ . راينز ، « وسير» بيتر سكوت قد اطلقا على الوحش اسما علميا هو « نيس تيراس رومبو بيتريكس » وهو اسم لاتيني



(٥) اثنان من العلماء وهما يقومان بارسال الكاميرات التليفزيونية المتصلة باجهزة مساعدة فربما يمر الوحش بجوارها ، فتلتقط له صورا دامغة .

(٦) على سطح سفينة الأبحاث يجلس العلماء امام اجهزة تلتقط لهم ما يجرى تحت سطح الماء بالصوت والصورة والحركة ، وفى الصورة نرى احد العلماء وهو يقوم بمهمة ضبط الاجهزة الغاطسة على شاشة تليفزيونية موجودة امامه

(٧)
اخر بعثة كشفية تقومبمسح البحيرة ، ومعرفة نباتها وحيواناتها ،ثم البحث عن امكان وجود كائنات ضخمة تسكنها ، والصورة التى تحتها هو ما سجلته الاجهزة ،وطبيعى ان ما سجلته لغة خاصة يعرف العلماء مضمونها ، فيميزون الغث من السمين .

مركب ، ويعني « اعجوبة نيس ذو الزعنفة الماسية » ونشرا عنه شيئا عام ١٩٧٥ في مجلة نيتشر البريطانية (الطبيعة) العلميـــة المشهورة ، وطبيعي ان ما نشره لا يعنى ان الحيوان موجود ، بل هو تكهن او مجرد اشارة توحي بان كائنا بهذه الصفات ربما يشبه مجموعة من الكائنات التي تنتمي الى رتبة الحيوانات البرمائية الضخمة التي انقرضت مـع انقـراض الديناصورات ، وكان اشهر نوع من هذه الرتبة يسمى بليسيوسور ، ولقد عرفناه من بقاياه الحفرية المطبوعة على الصخور ، ومنها استطاع العلماء ان يكونوا له صورة تقريبية (شكل ٩) وهي في خطوطها العريضة تشبه الى حد ما بعض الصور التي التقطت طافية على سطح الماء ، او مغمورة فيه (قارن شكل ٩ بشكلي ١ ، ٧) .

حرص واجب

والنتيجة ؟ ... هل الوحش موجود ، او غير موجود ؟

الناس تقول : نعم .. موجود ، لكن العلم لا ياخذ باقوال الناس ، ولا يعتمد على مشاهداتهم ، اذ ان كثيرا منها خادع ، والعلماء يرفضون التعليق او التحدث او ابداء الراي في امر لا تزال تثور حوله شكوك واضحة .

ولا احد يستطيع ان يلوم العلماء على ذلك ، ولا ان يتهمهم بالجمود والتزمت والوسوسة ، فالتسرع بالحكم على اية مسالة علمية ليس الا نوعا من التسيب والغوغائية التي تنال من قدسية العلم ، فللعلم مناهجه الصارمة ، ونتائجه الواضحة ، وهو يبحث اساسا في نظم

(٨)
صورة غريبة ومثيرة التقطت على عمق حوالى عشرة امتار لجسم غريب يبدو هو الاخر وكانما له راس ورقبة طويلة وجسم .. لكن الصورة لازال مشكوكا فيها (قارنها باشكال ١ ، ٩)

(٩)
الهيكل الحفرى يبين لحيوان بلسيوسور كما طبع على الصخور منذ حوالى ٧٠ مليون عام ، ونموذج لذات الحيوان (يسار) شيد على اساس ما وجده العلماء مسجلا على صفحات الصخر ، وهو من الحيوانات البرمائية الضخمة ، لكن هل لازال بعضها يعيش حتى الان فى « لوخ نيس » ؟ .. لم يثبت ذلك بالدليل القاطع حتى وقتنا الحاضر





الكون الصامدة ، وشرائعه المنضبطة ، وتكويناته المنتظمة ، فانتظمت انماط تفكير اصحاب المنهج العلمي تبعا لذلك ، اذ ليس من يتعامل مع نظم الله في كونه ، ويستمد منها زاده في تطبيقات نافعة لا نستطيع حصرها ، كمن لا يعرف عن اساسياتها شيئا ، ثم يحاول ان يقحم نفســه فيمـا لا يعرف ، ويفرض نفسه واراءه على من يعرف .. « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » !

ونحن لا نسوق ذلك من قبيل تحصيل الحاصل ، ولكن لهدف واضح .. اذ لا يهمنا وحش البحيرة بقدر ما يهمنا ان نعرض هنا معنى المنهج العلمي الذي لا ينشا من فراغ بل هو دراسات متانية واعية لظواهر طبيعية لا خلل فيها ولا فروج ، فهناك الكثير من الآراء المضللة التي ينساق وراءها معظم الناس ـ خاصة شبابنا ـ دون ان يتفكروا فيها بفكر صائب ، وعقل ناضج ، ليعرفوا الغث من السمين ، او الصالح من الطالح .. لان المنهج العلمي ، او التفكير العلمي هو الاساس في التخطيط والحكم على كل ما يعترض حياتنا من مشكلات في عالم متصارع بكل ابعاده ومعانيه .. لان العلم ذاته يستقي زاده من قوانين الكون ، وشرائع الحياة ، فكل ما فيها منظم وبديع وجميل واصيل !

ومن هذا المنطلق ، كان علينا ان نقدم المزيد ـ على صفحات هذه المجلة ـ من الظواهر الغريبة التي يتحدث بها الناس ، ويعتقدون في صحتها ، بحجة ان العلم قد حققها ، واعترف بها ، رغم ان العلم بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقـوب . فالى مقال قادم ان شاء الله .

عبد المحسن صالح

لماذا لم نعد نغني؟

بقلم: محمد فتحي

● يبطل الغناء فى أفواه الناس .. ولا يبطل من أبواق الاذاعات !

● الغناء فى الاذاعات يتمشى تمشيا عكسيا مع واقع المجتمع

● الراديو لا يبطل الغناء .. وإذا ابطله لحظات من اجل كلمة أو خبر .. عاد إليه بعزم اشد وصوت اعلى واغلب !

من جيل او جيلين مضيا ، كان السائر فى الطريق العام لا يفتأ يطرق اذنيه ، من حين لحين ، غناء منبعث من باعة الفاكهة بشتى صنوفها ، من عنب وتين وبلح ورمان او من سقاة شراب العرقسوس والخروب والتمر هندى والليمون والحليب ، فهو شفاء ، ومروق للابدان ، ومن ماء زمزم .. ! وإذا دخلت البيت رن فى بئر السلم غناء لشاب هائم او لشغالة تنقى الارز او تخرط البصل ، حتى الرجل الوقور ، فى الحمام ، كان يحلو له ان يرفع عقيرته بالغناء !

وفى القرية عبر الغيطان والحقول الخضراء الممتدة إلى نهاية الشوف ، يجيئك صوت المزمار الحزين وناى الغاب ، او نحيب الموال تترقرق موجاته إلى قرارات النفوس تثير شجن الحقب والقرون .. والغاب فى افواه اولاد القرية يستلهمون الانغام من الحمام واليمام ، ومن الديك والغراب ، ومن الساقية والنورج .

الغناء والشعر مسالة تمت الى الوجدان فهل فقد الوجدان سلطانه فى نفوس الناس ؟ هل انزوى وران عليه الصدا فى وجه الحاجات الملحة للابدان ؟ هل لذلك صلة بالعناء الذى يتكبده إنسان العصر لقضاء احتياجاته فى زحمة المعيشة الصعبة ومسالكها الوعرة ؟

وقد يدور فى الاذهان تساؤل اخر .. هل لانعدام الامان العالمى العام والقلق وعدم الثقة فيما قد يجيء به الغد من كوارث واهوال نووية دخل فيما اصاب وجدان البشر عندنا ، وربما عند غيرنا بدرجة اكبر وافظع ؟!

مهما يكن الامر فى هذه التساؤلات وغيرها ، فالظاهرة جديرة بالتامل ، وجديرة بان يعكف الباحثون الاجتماعيون على درسها والتقرير فى شانها ، بيد ان الذى يعنينا هنا هو الموقف الذى تتخذه الاذاعات إزاءها .

الغناء يبطل فى افواه الناس ، يموت على شفاههم ، لكنه من ابواق الاذاعات المسموعة والمرئية يتضخم ويتعاظم وتزداد حصصه . اى انه فى الاذاعات يتمشى تمشيا عكسيا مع واقع المجتمع . وهذه اولية ينبغى ان يتوقف عندها المخطط الاذاعى وقفة طويلة تاملية .

هل تفعل الاذاعات ذلك تعويضا عن الغناء الحي التلقائي المفتقد ؟! هل تفعله إيماء وإحياء للغناء فى نفوس الناس ، بالبث وتكرار البث ومداومة البث ؟! او هل تفعله إيهاما لهم بان الصفاء ما يزال يهيمن على الدنيا .. البلابل تصدح والعصافير تزغرد .. واعية تسكب فى وجدانهم ما ينسى ويزيح الهموم والتوترات والانشغالات بامور المجتمع من سياسات وغير سياسات ؟ !

قد يقول قائل إنها تفعل ذلك بثا لافكار معينة فى نفوس الناس مثل الدعوة إلى الوطنية والى الانتماء الوطنى ، وهو الامر الملحوظ ، كما السيل ، فى الانتاج الغنائى الاذاعى فى الوقت الحاضر . بيد أن هذه قضية بت فى امرها من زمن بعيد . إذ لم يثبت على مدار السنين ان الغناء يشحذ الهمم او يرفع الحالة المعنوية ، او حتى يبث السكينة والطمانينة فى النفوس إبان الشدائد ، عندما كانت بريطانيا تحارب حربها المصيرية الضروس ضد المانيا ، كانت موجاتها الاذاعية تجلجل بضحكات الكوميديا الساخرة ، إلى جانب الوقائع الحية والرسائل الميدانية الواردة من ساحات القتال ، والتى كانت طوال سنين لا تحمل سوى اخبار الهزائم المتتالية ، هزيمة فى إثر هزيمة ، فى اوربا واسيا



محمد عبد الوهاب .. كانوا يسمونه قبل عصر الراديو مطرب الملوك والامراء



كانت ام كلثوم تغني قبل ظهور الراديو فى حديقة الازبكية مقابل اجر لا يقدر عليه المزيد من عامة الناس

والصحراء الغربية . لم تلجا الاذاعة البريطانية ابدا ، وهى منهزمة محصورة مدحورة ، إلى اصطناع ما يسمى بالاناشيد الحماسية الايهامية ، التى قد تسحر او تخدر هنيهة أو تسبح بالأفئدة فوق غيوم الخيال !

وحتى المانيا النازية ، فى عز سلطانها وانتصاراتها ، وطول باعها فى الاثارة بابتداع التنظيمات الهائلة والتجمعات الضخمة والمواكب الباهرة والأعلام التى تملأ السماء ، لم تلجا ابدا إلى ما يسمى بالاناشيد الوطنية تبث من دور الاذاعات .

النشيد الوطنى ـ واحسبه نشا مع الثورة الفرنسية بنشيد « المارسييز » اضحى فيما بعد الثورة رمزا ، واحسب ان الدولة الحديثة من ذلك التاريخ اتخذت النشيد الخاص بكل منها رمزا للوطن ، لسيادته ومجده وعظمته ، لا يعزف إلا فى اغلى واعز المناسبات ، وليس له ان يبتذل او يهلهل او تصب له القوالب والاشباه !

ثم بعد ذلك كله ، افلا يرى مطلقو الابواق بالمغانى دون ما توقف ، ان السرف فى إذاعة الاغانى تزهيد للناس فى الغناء ، جيده مع رديئه ، وصد للنفوس وصرفا للآذان عن سماعه ؟ !

ما نظن أن هذه هى غايتهم .. ؟!

ليست كلمتنا هذه دعوة للاذاعات ان تكف عن بث الغناء وإطلاقه فى الاجواء والأرجاء . إنما نقول إن الغناء فرع من تصنيف الموسيقى وهو واحد من تصانيف الترويح . والترويح ذاته ليس إلا وظيفة واحدة من الوظائف التى تؤديها الخدمات الاذاعية إلى جانب وظائف اخرى كاذاعة اخبار المجتمع ووقائعه ومجريات الأمور فيه ثم وظائف التعليم والتثقيف والتنشئة الاجتماعية . لكنه فى إذاعاتنا ـ دون إذاعات العالم قاطبة ـ ياخذ حجما بالغ الضخامة ، اكبر كثيرا من حجمه المستحق .

فاذا كان له ان يحظى بنصيب لا يتجاوز خمسة فى المائة من وقت البرامج ، نراه يلتهم ما يزيد فى بعض القنوات عن خمسين فى المائة ! ! وهى نسبة مذهلة تخل بالميزان ، وتنحرف الخدمة عن اداء وظائفها الجوهرية فى نواحي عرض الوقائع الحية والتعليم والتثقيف والتنشئة والتنمية وما إليها ، ومن ثم تحرم المواطن من حقه فى الاعلام السليم الذى يتلقاه غيره .

لا نريد أن ناخذ المخططين للاذاعات بسوء الظن ، وانهم إنما يفعلون ذلك ليكفوا انفسهم مئونة الجهد والمشقة فى الابتداع والابتكار وتغطيـــة الوظائف الصـــعبة الأخرى ، فليس ايسر من ان نكلف من يصك كلمات لأغنية ثم من يلحنها ، ثم من يغنيها من عشرات المتكسبين المشكوك فى مواهبهم والذين استمراوا العيش الهين وركبوا موجات الأثير مقتحمين اسماعنا ، واصبحوا كما يقول العامة بتعبيرهم البليغ الضائق « اكثر من الهم على القلب » . وقديما كان التكسب بالشعر والغناء معرة .

قد يكون المخططون للاذاعات ضحية وهم جاءهم عن طريق التقليد ، التقليد لعهد بداية الاذاعات ، عندما كان الغناء متعة أهل الدعة واليسار ، فى حين لا يجد اليه عامة الناس السبيل ! فى ذلك العهد أشاع الراديو الغناء الرفيع والموسيقى كما أشاع المعرفة والعلم وذخائر الدين ، حلالا للناس كافة ، لا لفئة محظوظة دون غيرها .

اليس يحق لنا ، على ضوء المتغيرات التى جرت فى الزمان والمكان أن ندعو المخططين للاذاعات بتدبر الأمر ؟ .

فهل يتدبرون .. ؟ !



يذهب القطيع إلى مصدر المياه فى الغابة فى جماعات ، فهذا من وجهة نظرهم اسلم الطرق للحماية من الاخطار !

غابات متشابكة من غابات المناطق الحارة ، تزخر بانواع مختلفة من الحيوانات والطيـــور

غابات المناطق الباردة وشبه المعتدلة ، لا تتزاحم ولا تتشابك فيها الاشجار

وتلامست رءوسها او كادت ، فكانت كالمظلة اظلت الارض طولا وعرضا ، واحتجبت الشمس إلا شعاعات قليلة تجاهد ان تخترق هذا الكون المظلم .

أما غابات المناطق الباردة التى تنتشر في شمال اسيا وامريكا فهى غير كثيفة الاشجار ، وغير متشابكة الاغصان ، ولهذا يمكن السير بين اشجارها الطويلة ذات السيقان المستقيمة ، فى سهولة ويسر ، على نقيض الحال فى غابات المناطق الحارة ، حيث يتعذر السير بسهولة لتشابك اغصانها وتقارب اشجارها .

وتختلف طبيعة الاخشاب وقوتها ومتانتها تبعا لنوع الغابات التى نمت فيها فاخشاب غابات المناطق الحارة تمتـــاز بمتانتها ولونها القاتم ، ونجد فى الغابات الحارة اشجار « الابنوس » » واشجار « الماهوجنى » التى تستخدم بكثرة فى صناعة الاثاث ، كما نجد فيها خشب التيك الدهنى الملمس ، وخشب الجوياكم الشمعى الملمس ، وهذان النوعان الاخيران من الخشب امتن الاخشاب واكثرها مقاومة لتاثير الاحماض والمركبات الكيماوية .

اما غابات المناطق الباردة فتمدنا باخشاب السرو والصنوبر والعرعر ، وكلها اخشاب غير متينة ، ولذلك فهى قليلة الاستعمال فى صناعة الاثاث ، ولكنها تستخدم على نطاق واسع فى صناعة الورق ، وهذا ما يفسر لنا انتشار صناعة الورق فى السويد والنرويج وشمال كندا ، لكثرة هذه الاشجار المخروطية الشكل .

الحياة في الغابات

أشجار اقتصادية

ومن الأشجار الاقتصادية فى غـابـات المناطق الحارة شجرة جوز الهند التى تراها بكثرة فى جزر الهند الغربية وجزر الهند الشرقية وبلاد الفلبين والملايو ، وهذه الشجرة تعلو فى بعض الأحيان الى مائة قدم ، وينتهى ساقها فى العادة بتاج من الأوراق المروحية الجميلة ، وتحمل هذه الأشجار ثماراً تختلف كثيراً عن الثمار التى اعتدنا أن نراها نحن معشر الشرقيين فى أسواقنا المحلية ، فالثمرة وهى فوق شجرتها ذات غلاف خارجى مندمج غير منفذ للماء ، يليه غلاف آخر وسطى ليفى هش يتخلله الهواء ، فاما الغلاف الداخلى فهو غلاف خشبى صلب يضم قلب الجوزة بما فيها من عصير لبنى يقال له « لبن جوز الهند » .

ويحتوى لب الثمرة على زيت بنسبة من ٣٠ الى ٤٠٪ ، وزيت جوز الهند يستخدم فى صناعة الشمع ، وفى صناعة الصابون ، وفى صناعة مواد التجميل ، كما يستخدم فى صناعة الزبد الصناعى .

ومن الأشجار الاقتصادية التى نجدهـا فى بعض الغابات الباردة وشبه الباردة ، خصوصاً فى غابات اسبانيا والبرتغال اشجار البلوط .

ومن هذه الأشجار يؤخذ الفلين من محيطها الخارجى عندما يصل قطرها خمسة عشر سنتيمتراً ، وعندئذ تكون قد بلغت من العمر خمسة عشر عاماً .

ويراعى عند نزع الفلين وجمعه من اشجاره أن يكون بين كل جمعة واخرى سبع سنوات .

وبعد أن تكشط طبقة الفلين تترك فى الهواء والشمس حتى يتم جفافها ، ثم يغلى بعد ذلك ليسهل ضغطه وحزمه .

ومن الفلين تصنع سدادات القوارير ونحوها ، لقابليته للضغط ، لأن السوائل لا تنفذ منه .

ويستخدم الفلين فى قوارب النجاة ، لأنه يطفو فوق الماء ، كما تجده فى الأفران والثلاجات ، لمقاومته الحرارة والرطوبة ، وتتخذ منه الواح مضغوطة تسـتعمل فى المبانى الحديثة لامتصاص الصوت .

سكان الغابات وأعمالهم

يسكن بعض غابات المناطق الحارة زنوج طوال الأجسام ،ويسكن بعضها الآخر أقزام لا يزيد طوال الواحـــد عن ١٢٠ سنتيمتراً .

ويعيش هؤلاء السكان على جمع الثمار من الغابات وصيد الحيوانات البريـــة بالقوس والرمح ، ويندر أن يخطىء هؤلاء القوم المرمى . هذا بجانب قطع الأخشاب وجمع الجلود وسن الفيلة .

ولا يبنى سكان الغابات الحارة مساكن ثابتة ، لأن حياتهم تنقل من مكان إلى آخر للبحث عن الغذاء . ومساكنهم اكـواخ بسيطة يقيمونها من اغصان الأشجار .

تكشط القشرة من شجرة الفلين ، لتعطينا الفلين الذى نستخدمه فى اغراضنا المنزلية والصناعية



عند عمل كشط او جرح فى ساق نبات المطاط يسيل عصير لبنى ابيض يصنع منه المطاط



وإذا تركنا غابات المناطق الحارة وذهبنا إلى غابات المناطق الباردة شمال آسيا وامريكا وجدنا الأشياء غير متقاربة ووجدنا الثلوج تغطى ارضها طول الشتاء . وفى هذا الفصل ترى اهالى هذه المنطقة الطوال الأجسام ، البيض الوجوه ، يشتغلون بقطع الأخشاب وينقلونها إلى اقرب مجارى الأنهار ، حتى إذا ما ذاب الثلج جرت مياه الأنهار ودفع التيار الأخشاب معه ، إلى محطات النشر والقطع .

وسكان الغابات الباردة وما جاورها يهتمون اهتماماً كبيراً بصيد الحيوانات ذات الفراء كالدب والثعلب لتصدير فرائها الى الأسواق الخارجية . فهذه الفراء بجانب الأخشاب تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الثروة القومية فى هذه المناطق الباردة .

وفى وسط غابات المناطق الحارة وعند حوافها نجد الفيلة والضباع والأسود والحمير الوحشية . اما القرود والطيور فتكثر فى الأجزاء العلوية من اشجار الغابة بينما تكثر الثعابين على اختلاف انواعها فى الأجزاء السفلية من الغابة .

انتقال القرود بين الأشجار

ولما كان التسلق والقفز والقبض على الأشياء من دعامة حياة القردة فى الغابات نجد أن أجسامها قد حل بها بعض التحور لتحقق الحياة فى هذه البيئة ،فنجد فى القرود المتسلقة عظام الساعد منفصلة انفصالاً يساعد على التواء الرسغ ومرونة حركته .

ومما يساعد القرود على القبض على الأشياء تحور شكل الأصابع بطريقة تسمح بالقبض على الأجسام الصلبة،فنجد فيها الابهام يمكن ان يتقابل ويلتقى مع باقى الأصابع .

وهناك طائفة من القرود تستطيع التعلق بالأشجار والقبض عليها باستخدام ذيلها الطويل القوى العضلات .

واذا وطىء دنيا الغابات مخلوق يخشى شره كالانسـان مثلا ، فللحيوان اساليبـه الخاصة فى تبادل الانذار والتحذير والتنبيه بقدوم هذا الغريب . وربما كان الغراب فى الغابة اول من يلمح هذا الخطر القادم فيصيح منذراً محذراً .. فلا تلبث الطيور والسناجب ان تحذر بدورها وتنقل هذا الانذار الى كل مكان .

عز الدين فراج



صبحي الشاروني

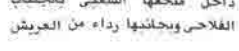
الفنانة رعاية النمر فى متحفها الشعبى ، وهى ترتدى « برقع » من منطقة الشرقية فى مصر ، مزين بالعملات الذهبية

لماذا لا تتبنى الجامعة العربية هذا العمل الفني الكبير؟

متحف "رعاية النمر" للفنون الشعبية العربية

إنه واحد من المتاحف الشعبية النادرة فى العالم العربى .. استطاعت فنانة عربية ان تقيمه بجهدها الخاص فى قرية صغيرة من قرى الجيزة فى مصر يسمونها « الحرانية » .. لقد اقامت الفنانة رعاية النمر هذا المتحف على الطراز العربى ، نسقت بداخله مجموعتها الخاصة التى ضمت الأزياء الشعبية وبعض الصناعات والحرف التقليدية الشائعة فى واحات وصحراء مصر والعديد من البلاد العربية مثل تونس والعراق واليمن والجزائر والمغرب والسودان وفلسطين وغيرها .. فما هى قصة هذا المتحف النادر ؟! كيف بدا ، وكيف يواصل الحياة والتطور ؟





داخل متحفها الشعبى بالجلباب الفلاحى وبجانبها رداء من العريش

زى بدوى ونماذج من الصناعات الشعبية النحاسية والخشبية والفخارية التى جمعتها من قرية « الحرانية » فى الجيزة .

تحت سفح الهضبة التى تحمل اهرامات الجيزة ، وبالقرب من قرية الحرانية التى اشتهرت بسجادها ذى الزخارف والرسوم التلقائية ، تنتشر مجموعة من بيوت الفنانين التشكيليين ومتاحف انتاجهم .. وعلى مسافة تمتد ٢ كيلومتراً من الطريق الموصل الى منطقة سقارة حيث اثار الدولة القديمة فى مصر .. تتوالى هذه البيوت الفنية والمتاحف الخاصة : متحف درويش للخزف لصاحبه الفنان نبيل درويش ، ثم بيت الفنان العالمى ادم حنين الذى يقيم حالياً بباريس تنتصب تماثيله فى حديقة بيته النوبى الطراز بهذه المنطقة ، ثم المحترف الخزاف محيي الدين طاهر بجوار « بيت الفن فى الحرانية » الذى اقامه المهندس المعمارى الراحل « رمسيس ويصا واصف » وبه متحف حبيب جورجى للفن التلقائى ، ثم متحف زكريا الخنانى ، واخيراً متحف « رعاية النمر » للفنون الشعبية مع مرسم الفنان « عبد الغنى ابو العينين » .

بداية الهواية

وقد بدات هواية الفنانة رعاية النمر فى جمع الوحدات الشعبية ودراستها منذ الصغر ، واتجهت الى دراسة الفنون الجميلة حيث تخرجت من معهد التربية الفنية للبنات عام ١٩٥٥ ، ثم اتجهت الى العمل الصحفى وتخصصت فى الاخراج وتحرير ابواب المراة والأزياء والهوايات الفنية ، وتنقلت بين « مجلة الاذاعة » و « حواء » و « المجلة الزراعية » و « صوت الشرق » و « نهضة افريقيا » . واثناء عملها فى هذه المجلات انشات وزارة الثقافة المصرية مركزاً للفنون الشعبية ، كان ذلك فى أوائل الستينات ، فانتقلت الفنانة للعمل بهذا المركز .. وكانت مهمتها انشاء متحف للفنون الشعبية وجمع النماذج المتميزة من مختلف الاقاليم فى مصر ، وكان



زى يمنى قديم مطرز بالخيوط المذهبة (القصب) .. فقد بدأت الفنانة فى جمع نماذج من الفنون الشعبية العربية بعد ان استكملت المجموعة المصرية .

هذا الزى يمثل ما ترتديه نساء الواحات الداخلة ويلاحظ فيه الجهد الفنى والالوان المبهجة والتطريز والعملات المعدنية .

يوجهها فى هذا المجال خبراء فى الفنـون الشعبية من رومانيا التى ذاع صيتها فى هذا الميدان ، فتعلمت الأسلوب العلمى فى دراسة هذه الفنون واختيار النماذج المناسبة منها وتوثيقها وعرضها . لكنها مالبثت ان اتجهت الى جهاز الثقافة الجماهيرية الذى يخدم قطاعات واسعة من الجمهور فى جميع انحاء مصر ، وذلك لكى تتعرف عن قرب على هذه الفنون بتعمق اكثر ، ولكى تقدم خدماتها فى هذا الميدان لقطاعات أوسع من الجمهور ، ثم تركزت مسئوليتها عن وحدة ثقافية فى الريف هى وحدة قرية « كفر الشرفاء » التى تقوم بتعليم الحرف والفنون الشعبية لأبناء القرية . وفى نفس الوقت كانت مسئولة عن قصر ثقافة الجيزة . وهكذا استفادت من تنقلاتها بين قصور الثقافة الجماهيريـة واهتمامها المركز بهذا الميدان لتستكمل مجموعتها من نماذج الفن الشعبى ، وعلى مدى ربع قرن أو اكثر تجمعت لدى الفنانة كل ما وصلت اليه يداها من فنون شعبية سواء كانت ملابس او صناعات يدويـة ، حتى تكونت لديها اكبر مجموعة للفنون الشعبية المصرية والعربية فى الشرق الاوسط .

ولقد شاركت الفنانة فى تاسيس الجمعية المصرية للفنون الشعبية وهى الجمعية التى تتيح للمهتمين بالفن الشعبى أن يتبادلوا الخبرات والمعرفة وتهدف الى المحافظة على هذا التراث من الاندثار وتعريف الجمهور بالتراث الشعبى واتاحة نماذجه امام الفنانين الذين يتجهون الى دراسته واستيحائه فى انتاجهم الفنى . وقد اقامت هذه الجمعية ستة معارض حتى الآن قدمت للجمهور من خلالها نماذج متميزة ومشوقة من هـذه الفنون .

متاحف الفنون الشعبية

إن المتحف الذى اسسته الفنانة فى مركز



ركن بالمتحف يضم مجموعة اشغال الألياف النباتية (السمار والجريد والخوص ..) من بلاد عربية مختلفة : العراق واليمن ومصر

الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة لم يتسع ولم تضف اليه نماذج جديدة بعد ان تركته الفنانة عام ١٩٦٦ لتعمل فى متحف المسرح ثم الثقافة الجماهيرية ، اما متحف وكالة الغورى بالقاهرة ومتحف الجمعية الجغرافية فهما فقيران فى النماذج بالقياس الى مجموعة الفنانة التى اقامت لها متحفا خاصا تحت سفح الأهرام بالقرب من قرية الحرانية بالجيزة .

إن الفنانة بعد أن استكملت المجموعـة المصرية التى تمثل معظم اقاليم مصر اتجهت الى جمع نماذج من الفنـون الشعبية العربية ، ورغم انها واجهتها عدة صعوبات على راسها تكاليف السفر والاقامة ثم تكاليف الاقتناء ، الا انها قطعت شوطا كبيرا فى استكمال المجموعة العربية اذ لديها نماذج من اليمن والعراق والمغرب والجزائر وتونس ، اما باقى البلاد العربية فيضم متحفها اشياء رمزية تحقق وجودها وإن كانت لا تمثلها تمثيلا كاملا .

متحف الحرانية

لقد اقتطعت الفنانة جزءا من الارض التى تملكها هى وزوجها الفنان « ابو العينين » لتقيم عليها مبنى على الطراز العربى بقرية الحرانية التى اختارت موقعها لتكون فى مناخ متكامل مع مجموعتها من الفن الشعبى بغير تنافر .

ويضم هذا المتحف نماذج للملابس والحلى وصناعات الخزف والفخـــار والنسجيات وصناعات الخوص والقش وتشكيل النحاس والمصنوعات الجلدية .

اما ازياء الرجال فهى غير متداولة اى انها لا تعرض عادة للبيع حتى يمكن اقتناؤها للمتحف وهى غير مبهجة وليست بها زخارف ولا يوليها الفنان الشعبى اهتماما كبيرا . ومتحف « رعاية النمر » لا يضم فقط اعمال الفلكلور ولكنه يضم ايضا بعض الصناعات والحرف التقليدية

الفن التشكيلى الشعبى

الفولكلور هو فن « المأثور الشعبى » وتطلق هذه الكلمة عادة على الفنون المنطوقة والمسموعة ، اما الفن التشكيلى فيحلو للبعض أن يطلق عليه « فولك آرت » اى فن الشعب تمييزا له عن الفنون المنطوقة والمسموعة ، خاصة أن دارسي الفنون الشعبية يتخصصون عادة فى واحد من الفرعين الكبيرين المسموعة او التشكيلية .

والمأثور الشعبى هو العمل الفنى الذى لا يزال يعيش حتى وقتنا الحاضر ولا يزال يستخدم ويتوارث جيلا بعد جيل .. وهو مجهول الاصل ومجهول المؤلف ، فنجد مثلا لحنا شعبيا يعزف فى اكثر من مكان وتصاحبه كلمات تختلف فى موقع عن آخر

الزى التقليدى للبدويات فى سيناء ، حيث نرى لكل قبيلة ما يميزها من الملابس ، ويكون دائما الاختلاف فى لون البرقع



.. ولكن لا مؤلف اللحن معروف ولا مؤلف الكلمات معروف ، فجميع الفنون الشعبية أصحابها مجهولون .

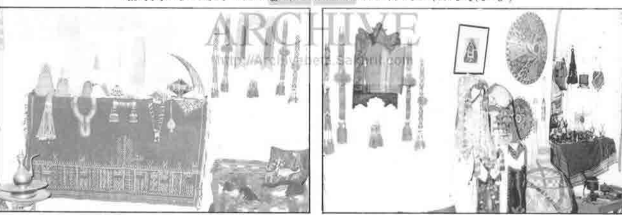
وإننا نرى وحدات زخرفية فى التطريز على الملابس والمنسوجات أو الطـراز المعمارى ولا نعرف صاحبها ، وطالما هذه الوحدات مستخدمة فهى من الفن الشعبى اما ما بطل استخدامه فهو من الفنـون التاريخية .

كما ان الصناعات الشعبية والبيئـة تتاثر تاثيرا واضحا بالمناخ الجغرافى وطبيعة البيئة ، فالمساحات المزروعة الخضراء لها تاثيرها فى المناطق الريفية ، اما بدو الصحراء فصناعاتهم الشعبية مختلفة ، وعلى سبيل المثال فملابسهم الصوفية من الغنم والوبر حيث لا ينبت القطن او الكتان فى الصحراء ، لهذا ففنون البدوى على الوبر والصوف والجلود لانه يصنع منها ملابسه ويبنى بها خيمته وينسج منها فراشه ، ولان البدو رحل فهم يتصلون باطراف المدن والقرى فيشترون الملابس التى تلائم بيئتهم ، وهم يفضلون الاقمشة السوداء للمراة حيث انها اللون الذى يظهر بوضوح عن بعد فى الصحراء القوية الضوء ذات اللون الاصفر على امتداد البصر ، اما الخيوط الملونة فيطرزون بها ما بين الخياطات .. وكلما كثر التطريز وتنوع كان ذلك دليلا على مهارة الفتاة أو السيدة ، وهو امر يدعو للفخر والتباهى ، وكل بيئة لها مثل هذه المواصفات ..

تجاوز الحدود السياسية

ان التجاوز الجغرافى يحقق وحـدة فى الفنون الشعبية لا تعترف بالتقسيم السياسى .. مع ان الاختلاف المناخ له تاثيره الحاسم .. فالجو الحار فى النوبة جعـل الملابس اخف منها فى سيناء حيث الجو صحراوى قارى .. وفى سيناء لكل قبيلة

هذا الركن الهام فى متحف رعاية النمر تتوسطه « طرحة » من سيناء معروضة فوق النافذة ، وبجانبها برقع بنت البلد للصرية (فى المدن) وعلى الجانب الاخر جلباب من الواحات البحرية ..... ثم معروضات من الصوف والجلد من الجزائر وسوريا



ركن اخر من المتحف يضم غطاء راس من الصوف الاحمر من تونس .. ومرائين على الجانبين من المغرب .. وبعض المقتنيات من فلسطين والسودان والجزائر

ما يميزها فى الملبس ويتركز فى لون البرقع ونوعه ، فهو كالعلم : يتيح معرفة الانتماء القبلى من شكل البرقع ، وهناك ملابس للمناسبات ، كما ان ملابس المرأة المتزوجة تختلف عن ملابس الفتاة العذراء .

ونلاحظ ان كل الملابس الشعبية فيهـا جهد فنى والوان مبهجة وتطريز وحليات وعملات معدنية او ترتر او ازرار (كما هو الحال فى واحة سيوة) مع كمية كبيرة من الحلى .

كما نجد ان اغلب الملابس التى تخرج بها النساء من الدار باللون الاسود بينما الشال الملون للفتيات والشال الاسود للمتزوجات .. وفى المغرب نجد ان اللون الابيض بدلا من الاسود فى ملابس النساء

ومع ذلك فالفنون الشعبية تتضمن فنونا مهاجرة من بلد الى اخر وهى تواصل الحياة ولا تندثر تبعا لتشابه المعتقدات والعادات والتقاليد ، وقبل كل هذا جغرافية المكان والمستوى الاقتصادى فى الموقع الجديد الذى هاجرت اليه .

إن تشابه البيئات يؤدى الى تشابه فى مواصفات الانتاج الشعبى ، ومن هنا نجد تشابها بين بدو العراق وبدو سيناء وبدو المغرب ، ولكن اذا كانت الهجرة الى بيئة مختلفة فان الفنون المهاجرة تتاقلم مع البيئة الجديدة حتى تؤدى المنتجات الشعبية وظيفتها بكفاءة ، ولو طبقنا ذلك على العمارة او الملابس او الحلى او الفخار نجد ان هذه النظرية صحيحة ، فبالنسبة

للملابس نجد ان سكان الجبال يرتدون ملابس تختلف عن اردية سكان الوديان من ناحية الاتساع والضيق وسمك النسيج وعدد الأردية التي يلبسها الشخص الواحد فوق بعضها .. كما نلاحظ اختلاف ملابس المناسبات مثل الاعياد والزواج والحج ورؤية هلال رمضان .. الخ . فلكل منها مميزاتها التى تتمشى مع المناسبة .

ومما لاشك فيه ان الفنون الشعبية تقع دائما تحت تاثير الحكام والاغنياء ، اذ يتجه الفنان الشعبى فى كثير من الاحيان الى تقليد الحكام ومحاكاتهم ، فنرى تاثير الفاطميين ثم الاتراك ثم الانجليز باقية أثارهم حتى الآن .. وهناك اشياء تدهشنا اذ يرفض البعض التخلى عنها ، مثل الطربوش التركى مع الجلباب البلدى مع البالطو الانجليزى بينما الحذاء ايطالى ؟ !

وحدة الفنون العربية

وتعلل الفنانة رعاية النمر اهتمامها بالفن الشعبى الى انحيازها للشعب وللناس البسطاء .. لقد اكتشفت ان الجمال ليس قاصراً على ما يمتلكه الاغنيـــــاء والقادرون اقتصاديا ، لكنه يشمل الانسان اينما وجد .. فالانسان ذواق للجمال ومحب للتجميل فى كل مكان وكل البيئات ، سواء فى الصحراء أو الريف ، وهو يحقق ذلك رغم ظروفه الاقتصادية المتواضعة .

والفن الشعبى هو فن تلقائي صادر عن الفطرة ، متوارث ، يتعلمه الصغار عن الكبار ، به اضافات باستمرار ، يعبر عن الاحاسيس والمعتقـــدات والظـــروف الاجتماعية لكل بيئة .. ونستطيع ان نلاحظ تاثير البيئة والمعتقدات على بعض انواع الفنون الشعبية مما يجعلها لا تعترف بالحدود السياسية او الجغرافية ..

وعلى سبيل المثال فان منطقة النوبة تقع داخل الحدود السياسية بمصر ولكن تجاورها مع السودان جعل فنونها الشعبية امتداداً لفنون السودان ، كذلك نفس الامتداد والتشابه بين فنون قبائل الصحراء الغربية فى مصر والفنون الشعبية الليبية ، ونفس الظاهرة نجدها فى فنون سكان شبه جزيرة سيناء التى تعتبر امتدادا للفنون الشعبية فى فلسطين وشبه الجزيرة العربية .

وعلى المستوى العربى تحقق وحـــدة المعتقد وتقارب التقاليد نوعاً من التشابه فى الفنون الشعبية تجعل من الصعوبة التفريق بينها رغم وجود التمايز فى التفاصيل .

لقد اكتشفت الفنانة مع طول معايشتها للفنون الشعبية فى البلاد العربية انهـا تتضمن نوعاً من الوحدة فى الذوق العام لا تعترف بالحدود السياسية والخلافات العارضة ، وهى تستنتج من هذه الظاهرة وجود وحدة فكرية ووحدة فى المزاج العام للشعوب العربية تمثل اساساً مناسباً وتشير الى امكانية تحقيق درجات اخرى من الوحدة العربية فى عصرنا الحاضر .. ان التقارب فى الظروف قد حققت تقاربا شديداً فى مجال الفنون الشعبية .

وتتمنى الفنانة لو اهتمت حكومات البلاد العربية او الجامعة العربيـــة بمساعدتها فى استكمال رسالتها ولو بالمراجع العلمية والكتب والصور وأفلام الفيديو ثم اتاحة فرصة السفر والدراسة والاقتناء .

صبحي الشاروني

زى عروس تونسية .. بين هذا الزى وغيره من الازياء العربية تتحقق وحدة التراث وتقارب التقاليد



بقلم: جمـــال قطـــب

بين الحرّية والإبداع


الفنان الفرنسى جاك لويس دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥)

فرنسا .. وعاصمتها مدينة النور باريس لا يمكن لأى باحث فى مجال الفن إلا ان تكون باريس محورا لاهتماماته منذ افول نجم عصر النهضة الايطالى باساطينه العظام فى القرن السادس عشر ..

إلا ان معظم الأثار الفنية ذات القيمة التى ظهرت فى فرنسا خلال القرون الثلاثة التى سبقت الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ، كان إما مستوردا او مسلوبا باعتباره من غنائم الحرب وبخاصة من إيطاليا والبلاد الواطنة (بلاد الشـمال الاوروبى) .

ومنذ أن استقدم الملك فرنسيس الاول فى عام ١٥١٦ رسام عصر النهضة الايطالى الشهير ليوناردو دافنشى لتزيين البلاط الفرنسى بابداعاته . اصبح الاهتمام بالفن وإكبار شانه من التقاليد المتوارثة بين رجال الحكم فى فرنسا .

نعود الى رسامى البلاط الفرنسى فى القرن الثامن عشر قبيل الثورة ، وكانوا هم خير من انجبتهم البلاد حينذاك ،فنراهم وقد وجدوا انفسهم منساقين إلى ارضاء الارستقراطية المترفة وإظهـــار الرونق والابهارات البصرية فاضحت اعمالهم اقرب إلى البريق الزائف منه الى المضامين والأبحاث الفنية الجادة الرصينة . ولذلك عرف اسلوبهم الناعم الحـــالم باســم (الروكوكو) Rococo وهو نوع من الزخرف يقوم على الاقواس القصـــيرة الشبيهة بالتفافات القواقع ، ومن هنا كان هذا الاسم الذى اطلق عليه : إذ هو مقتبس من الكلمة الفرنسية Rocaille ومعناها النقوش القوقعية الشكل .

وكان فن البلاط هذا بعيدا كل البعد من واقع الحياة وتجاربها ، ويكاد ان يقتصر على حياة الترف الفرنسى الغارق فى البذخة والارستقراطية .

وكما هو معروف ،فان لكل فعل رد فعل .. وبقدر التطرف فى الامور ، بقدر ما تكون عليه ردود افعالها !

حدث فى عهد لويس الخامس عشر ان انتشر فجاة التهوس بالفن الكلاسيكى ، على إثر ما كشفت عنه التنقيبات التى كانت جارية إذ ذاك فى إيطاليا من اطلال وتماثيل رومانية تحاكى الفن الاغريقى القديم .. وقد كانت هذه المكتشفات بمثابة دفعة جديدة للروح الوطنية فى نفوس الشباب .. ووجد فيها بعض الفنانين متنفسا للتحليق فى افاق الاصالة والتراث العريق .. وتمردا ـ فى الوقت ذاته ـ على فنون الرونق الزائف وترف (الروكوكو) !

وتزّعم هذا التيار الوطنى الجارف رسام شاب قدر له ان يصبح عظيم الشان والنفوذ فيما بعد هو (دافيد) واسمه الكامل : جاك لويس دافيد . ولكى يبرهن لويس السادس عشر على مشاركة الشعب فى مشاعره الوطنية ، طلب شراء لوحة (دافيـــد) الشهيرة المسماة : قسم الاخوة هوراس ، تلك التى استوحاها دافيد من احد المواقف الوطنية فى التاريخ الرومانى القديم . وبذلك انقلبت الاوضاع .. ورأينا لويس السادس عشر يتملق الفنان بدلا من تكالب الفنانين على تملقه قبل ذلك .

وعندما قامت الثورة الفرنسية .. أصبح (دافيد) زعيم المصورين فى فرنسا .. وبعد ان انتخب فى عام ١٧٩٢ عضوا بالجمعية الوطنية ، لم يصبح رسام الثورة فحسب ، بل الحاكم بامره فى كل ما يتعلق بشئون الفن ، فقضى بقبضته الحديدية على كل اثر لمذهب الروكوكو ، وفرض مذهبه الجديد المرتكز اساســـا على العـــودة إلى الكلاسيكيات الماضية وإلى الاسلوب الرصين البارد المتزن الذى يتميز به الفن الاغريقى .. واسمى هـــذا الاتجـــاه : الكلاسيكية الجديدة !

وقد بلغ من شدة باس دافيد انه جعل الرسامين فى عصره يحسون بان المقصلة فى انتظار رقابهم إذا لم يهتفوا فى لوحاتهم بسقوط الروكوكو ، وبحياة الكلاسيكيـة الجديدة !

ونفي دافيد إلى ان مات فى بروكسل عام ١٨٢٥ عقب تطور الامور ونفي نابليون إلى (سانت هيلانه) .

وما يؤخذ على فناننا (دافيد) انه كبل حرية الفنانين بالارهاب وفرض سيطرته بالحديد والنار على ارائهم وافـكارهم على مدى اثنين وثلاثين عاما ، ولم يترك أدنى قسط من الحرية لأى فنان مبدع ،وبذلك ضرب مثلا صارخا للاستبداد الفنى فى التاريخ ..

وللحق ، فيرجع إليه الفضل فى تحرير الفن الفرنسى من الزخرف السقيم ومذهب الروكوكو الزائف .. والعودة إلى البحث عن الجمال الرزين وحبكة الخطوط القوية المستقيمة .

وعلى الصفحة المقابلة يرى القارىء احدى روائع دافيد وهى صورة رسمها لشقيقته وطفلها عام ١٧٩٥ ، ومحفوظة حاليا بمتحف اللوفر .. وإن كانت هذه اللوحة ليست من أهم اعماله الشهيرة : مثل (قسم الاخوة هوراس) او (بروتوس يتلقى نبا وفاة ابنائه) وغيرهما ممـــا استلهمها من تاريخ الرومان ، إلا انها ـ على اية حال ـ تبين بجلاء ملامح اسلوبه وطابعه الهادىء الرصين .



احدى اللوحات التى رسمها الفنان العالمى جاك لويس دافيد لشقيقته (مدام سيرازبيه) مع طفلها عام ١٧٩٥ ، وهى محفوظة فى متحف اللوفر بباريس



زهرة الالام .. وهى من الزهور الجميلة التى تغنى بها الشعراء فى امريكا الجنوبية حيث موطنها الاصلى ، ويطلق علماء النبات على الزهور من جنسها اسـم : « باسيفلورا » وعادة ما تكون الوان ازهارها ارجوانية او بيضاء .

لغة الزهور

في الأدب والأساطير وعادات الشعوب

بقلم : حسـني شحـادة



زهرة عرف الديك ..تتميز بأزهارها الحرشفية المكتظة فى سنابل غليظة ، ومنها ذلك النوع المخملى كالقطيفة ..... إنها إحدى الزهور التى تشيع فى المكان دفئا بلونها الاحمر القانى

الأزهار كواكب عطر تتزين بها الطبيعة . وعلامات انس ومسرة ، وصلات بين القلوب والارواح ، كم حركت فينا عواطف الحب والحنان ، وكم كانت وسيلة ود بين انسان وانسان ، وقد بلغ من مكانتها ان جعلوا لها اعياداً ومواسم ، وقد ذكرت كتب التاريخ الكثير من تلك الاعياد ، فكان الفاطميون يقيمون للورد مهرجانا فى كل عام (١) .

ودرجت دول شتى على إقامة معارض الزهور ، يجمع فيه العارضون ثروة من الألوان والعطور ، وذخرا من البشاشة والرواء ، ومحفلا من الارواح الباسمة ، والخواطر الناعمة ، التى ترف حـــول الرياحين ، رفيف الفراش حول المصابيح ، والتى يعجب الانسان وهو يناجيها ، فيحس قربها ، فيستروح منها انس محضرها ، بتحية يبثها الزهر إليه .

الأزهار والشعراء

واسعد الناس بالأزهار ، واكثرهم تاثرا بها ، هم الأدباء والشعراء ، والموسيقيون والرســامون والمصورون ، فهم الـذين يستطيعون ان ينقلوا الى الناس جمــال الأزهار ، واشكالها ، والوانها الحــافلة بالبهجة والنضارة والجمال . ولهذا نسجت حولها الأساطير ، فاصبح لكل زهرة اوصاف ، جعلها الفنانون شخوصا تتكلم ، وتتحرك ، وتحس ، وتشعر ، وتخجل وتفرح ، فيقول الشاب الظريف (٢) :

قامت حروب الزهر مــا
بين الريــاض السندسية



لعلنا راينا تلك الزهرة فى الكثير من حدائقنا بالوانها الجذابة
إنها زهرة عصفور الجنة التى تعتبر من اجمل زهور العالم .

واتت باجمعها لتغزوا
روضة الورد الجنية
لكنها انكسرت لأن
الورد ، شوكته قوية

وكان المتوكل (٣) ، يعظم الورد فى ريعانه ويقول :

« انا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، وكل منا احق بصاحبه » .

وقال اردشير بن بابك (٤) يصف الورد :

« هو در ابيض ، وياقوت احمر ، على كراسي زبرجد اخضر ، توسطه شذور من ذهب اصفر ، له رقة الأريج ، ونفحات الطيب والعنبر » .

اما امير الشعراء احمد شوقي ، فجاء يؤكد زعامة الورد على الزهور فيقول :

الورد فى سرر الغصون مفتح
متقابل يثني على الفتاح
ضاحي المواكب فى الرياض مميز
دون الزهور بشوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلا
مر الشفاه على خدود ملاح

اما النرجس فقد تغنى به الشعراء ، وشبهوه بالعيون ، وقد ابدع ابو نواس وهو يقول :

لدى نرجس غض القطاف كانه
اذا منحناه العيون ، عيون
مخالفة اشكالهن بصفرة
مكان سواد ، والبياض جفون

ويصف مطران (٥) النرجس فيقول :



لوحة فنية لغصن تتناثر فوقه زهور ابدع الخالق فى صنعها ، وقد وجدت الازهار على اليابسة قبل الانسان بزمن طويل ، وعندما بدا تحضر الانسان اتخذها لغة للتخاطب والتعبير عما يخالج النفس فى بعض المناســـــبات

إنما النرجس ابتســـامة فجر
الطف نســـجها يدا نيسـان
قام فى حلة البيـــاض فكانت
ثوب روح .. لا ثوب جســم فان

أما زهرة السوسن ، تلك الزهرة التى يستدل بتفتحها على موعد إقبال الربيــع ، فتعد رمز النقاء ، والتواضع ، ويسميها الالمان « ناقوس مايو الصغير » ، ويطلق عليها الفرنسيون « دموع العذراء » وقد نالت اهتمام الشعراء والادباء ، ومن اجمل ما قراناه عن السوسن قول ابى الحباب فى ثلاث سوسنات :

ابدت ثلاثا من السوسان مائلة
اعناقهن من الأعـياء والكســل
فبعض نوارهـــا للبعض منفتـح
والبعض منغلق عنهن فى شـــغل
كانها راحة ضمت انامـلهـــا من
بعد ما ملئت من جودك الخضـل

اما الشقائق ، فيروى عن النعمان بن المنذر (٧) انه شاهد فى إحدى رحلاته نوعا من الشقائق ، ذا وريقات حمراء ، فاعجب بها ، وأمر بحمايته ، فكان لا يقطف إلا له ، ولم يلبث ان حمل اسمه ، فاطلق عليه شقائق النعمان . ويقول الشاعر ابن الزقاق.

ورياض من الشـــقائق اضحى
يتهادى فيها نســيم الريـــاح
زرتهـــــا والغمام يجلد منـــها
زهرات تـــروق لـــون الــــراح
قيــــل ما لونها ؟ فقلت مجيبـــا
سرقت حمـــرة الخـــدود الملاح



كانت هذه الزهرة بشكلها البديع والوانها الجذابة عنصرا من عناصر الجمال للانسان منذ قديم الزمان ، واطلق عليها العلماء فى عصرنا الحديث اسم « زهرة الحلم » .

وقد صورت الشاعرة شريفة فتحي باقة جمعت البنفسج والياسمين والورد والاقحوان ، فى لوحة شعرية بديعة فقالت

اذا كانت الأزهار ذات معـــان
او صـــور الاحســـاس بالألــوان
كان البنفســـج آهـــة الأشجان
وتنهد الشـــكوى من الحـــرمان
والياسمين كاعين من نــــور
ولهى تنم عن الهـــوى المتسور
والورد يحكي قصـــة العشـــاق
فى لونـــه شـــعل من الأشواق
ولكل زهر فى الهـــوى معنـــاه
ولـــكل حسن اعين وشـــفاه
الله بارئه ونحن صـــــــداه
لـــون بديـــع جـــل من ســـواه

لغة الزهور

لغة الزهور هى لغة الحب ، فيقـــول « لامرتين » شاعر فرنسا الكبير :

« الحب وردة ذات اشواك ، وكلما كانت الوردة جميلة ، كثرت حولها الأشواك » .

والمثل الهندى يقول :

« ولد الحب مع تفتح زهرة فى إحدى ليالى الربيع المقمرة » .

اما الكاتب الكبير عبـــاس محمود العقاد (٨) فيقول :

« لاحت لي الأزهار كانها الفاظ حب رفيعه ، مغشات باستعارات ومجازات ، والنسيم حولها كثوب حسناء فيه شذى ، وكل زهرة كابتسامة ، تحتها اسرار وأسرار فى معانى القلب .. اهي لغة الضوء الملون من الشمس ، أم لغة الضوء الملون على الخد والشفة والصدر والنحر والديباج والحلى » ..

اما مصطفى صادق الرافعى (٩) الاديب والكاتب المشهور فيقول :

« الزهرة يا صاح .. الزهرة الجميلة التى تطويها فى يدك ، قد تروى لك من فخامة هذه الاسرار ، ما تمتلىء به افاق الأرض وابراج الشموس والاقمار ، فاذا اخذتهـا بين اصبعيك ، فاذكر انها رمز الحب ، وإذا ذكر الحب ، فاذكر انه الجمال الألهى والخلود السرمدي » .

والشعوب والأزهار

وتنسيق الأزهار تعبير عن النفس البشرية ، ترسله فى تصوير إبداعي لتعبر به عن الاحاسيس ، ولترمز به الى الامال ، والرغبات ، والاماني ، لتكون راحة للنفس ، ومبعثا على الرضا ، وتحقيقا لقناعة روحية

وقد اختلفت البلاد والشعوب فى طرق تنسيق الأزهار ، انطلاقا من رسالة التنسيق التى تتميز بناحيتين ، التصوير والتعبير (الرمز) ، اما التصوير ففي انية التنسيق ، وأما التعبير ، فيكون عن معنى قائم او أهداف عليا ، او امان يرنون إليها .

لقد هام العرب بالزهور ، فاحتلت اثارهم الأدبية واشعارهم، وعندما انتشر الاسلام فى ممالك الارض ، حفلت آثار التاريخ بتجميد الأزهار وتصويرها والتغني بجمالها واريجها ، فقصور الامويين فى الاندلس ، وقصور العباسيين فى بغداد ، تنطق بالحس المرهف والجمال البديع ، فكانت مادة الأدباء والشعراء بما فيها من مباهج وجمال .

اما في مصر التى تمثل حضارة عريضة امتدت آلاف السنين ، فقد رفع الفراعنة مكانة الزهور وجعلوها فى مكان سام فى تكوينهم السياسي ، اذ علت زهرة «اللوتس» تيجان الملوك ، واستخدمت رمزاً نقش على اثارهم ، وزينت بها معابدهم .

وكان الصينيون يحبون الأزهار لذاتها ، وكان بوذا يتحدث عن جمال الطبيعـة ،



زهرة « صبير السحلب » التي تستخرج منها الأصباغ الهامة، وهذا بخلاف زيوتها العطرية



يقال انه فى زمن السفن الشراعية كان البحارة يعرفون انهم يقتربون من اليابسة قبل ظهورها فى الافق ، إذا جاءتهم نسمة تحمل اريج الأزهار إلى انوفهم.. ثم زهرة جميلة اخرى لاتكتفى باستعراض ما لديها من جاذبية خاصة ، ولكنها مصدر هام لطعام النحل التى ترشف منها الرحيق ثم تودعه فى بيوتها عسلا .

فبنى اول معبد ، فوضع فى محرابه ، حاملا من الابنوس عليه زهريات من الخزف الصيني ، ونسق الأزهار وفقا لما تاثر به فى الطبيعة ، فبعض النباتات الطويلة يظل غيرها الصغيرة التى تنمو بجوارها ، وتحنو عليها كصديقين عزيزين ، وهنـــا يبعث الجمال من اسفل ، وينتهى بالسيادة من أعلى ، وقد سمي هذا النظام « ريكوا » .

الازهار فى اليابان

وتعتبر اليابان بحق ، مصدر وحي وإلهام فى فن تنسيق الأزهار ، وارتبط فن النسيق بحياة اليابانيين ، ولم يقتصر ذلك على الناحية الروحية ، بل ارتبط باخص الطقوس الاجتماعية ، وادقها بحياة الاسرة فى المنزل ، حتى اصبح هذا الفن من اصول الثقافة الوطنية .

ولتنسيق الأزهار عندهم فلسفة خاصة ، مبنية على المشاهدة والتامل والرمز فالمشاهدة فى الطبيعة ، والتامل فى الخطوط الثلاثة ، فيعبرون باحدها الى القوة الغامرة التى تسيطر على حياتهم ، ويرمزون اليها بالشمس او السماء ، اما الخط الثاني ، فيرمز الى الانسان وصور حياته ، بينما الخط الثالث يرمــز الى الأرض منشأ الحياة ونهايتها .

ولعل اهم ما يميز الفن الياباني فى تنسيق الزهور منذ القدم ، ذلك الجمــال الناتج عن البساطة التامة فى الايقاع الموسيقى للجمال ، هذا الايقاع الذى صمم بعناية ودقة ، حتى اصبح طبيعة فى نفوس اليابانيين ، وليس فنا تخصص فيه البعض دون الآخرين . بل اصبح التعبير بالخطوط طبيعة عادية عندهم . فتوضع الزهرية على حامل له ثلاث قوائم ، ويوضع لكل زهرية منظر خلفي ، عبارة عن لوحة عليها رسوم زيتية ، تمثل منظرا يخالف ما بالزهرية ، وتسمى الزهرية وما حولها باسم « تولونوما » ، ويعرف تنسيق الازهار باسم « ايكيبانا » .

ويعتبر فن تنسيق الأزهار فى اليابان ، صحيفة الشرف التى تمجد تكوين الطبيعة التقليدى ، عن طريق التجمع والتالف . وليس ادل على ذلك من زهرية تجمع بين فرع من الصنوبر وازهار من الورد ، فالصنوبر يرمز الى القوة والرجولة ، حيث تقف اشجارها فى الطبيعة شامخة بهاماتها المرفوعة ، واوراقها الابرية الخضراء ، تصارع احداث الشتاء وقيظ الصيف ، اما الورد بالوانه الجميلة ورقة اوراقه ، فيمثل السيدة الجميلة الرقيقة الاجتماعية ذات الحديث الطلي ، تستظل فى حمى جبروت الصنوبر .

حسني شحاده

هوامش :

(١) الربيع فى الادب والفن لمصطفى عبد الرحمن

(٢) هو عفيف الدين التلمساني من شعراء عصر المماليك الذين عنوا عناية بالغة بالبديع .

(٣) هو المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم الخليفة العباسي العاشر .

(٤) احد ملوك الفرس من السلالة الساسانية

(٥) خليل مطران شاعر القطرين ورائد الشعر الحديث .

(٧) ملك الحيرة .

(٨) كتاب مراجعات ص ٢٦ .

(٩) من كتاب وحي القلم جـ١ ص ٣٨ .

مراجع البحث

١ ـ حلمي ابراهيم سلامه عون : تنسيق الازهار .

٢ ـ عز الدين فراج : فن تنسيق الازهار .

٣ ـ الشيخ علي بن عبد الله الثـــاني : المختارات الشعرية .

٤ ـ مصطفى عبد الرحمن : الربيع فى الادب والفن والحياة .

٥ ـ محمد يسرى الغيطاني : الزهور ونباتات الزينة .

عرض من الالوان المتراقصة بين الصخور الملونة في قاع البحر ..

لوحات طبيعية مذهلة تتطلب لغة شاعر مبدع للتعبير عنها ..

ففي ناحية من الماء ، ترى مجموعة من اسماك « اللبروس » زرقاء الراس .. الانثى تميل للصفرة ، بينما الذكر اكبر حجما ، أزرق اللون ، بظهر مخطط .. وفجاة تمر انثى سمكة الببغاء ببطنها الأحمر ، وببقع بيضاء سداسية الشكل كخلايا النحل تتوزع على الجسم الرمادي ، بينما يبدو الذكر بلون شراب النعنع .. اخضر اللون مع ظلال برتقالية ووردية وببقعة صفراء على ذيله .

إن اختلاف اللون بين الجنسين في الاسماك ، يظهر صارخا في مثل هذه الانواع حتى انه كان يعتقد في السابق انها تنتمي لانواع مختلفة ، ولكن مراقبة هذه الاسماك اثناء التزاوج ، مكنت علماء الاحياء البحرية من حل الالغاز ، ومعرفة وتحديد الذكور والاناث من نفس النوع ، كما كشفت هذه المراقبة اموراً محيرة ، ففي بعض الأحيان ، كانت بعض اسماك « اللبروس » تبدو وكانها ليست ذكرا ولا انثى ، وانمـــا شيئا ما بينهما ، كان لونها يظهر اصـــفر مخططا ، ولم يتمكن العلماء كذلك ، من العثور على ذكور « اللبروس » صغيرة ، وكانما الذكور كانت تظهر فجاة ناضجة كبيرة الحجم دون ان تكون قد مرت بمرحلة الطفولة .

وكان تفسير هذه الظاهرة الغامضة مثيراً للحيرة والدهشة ، فذكور «اللبروس» كانت تمر بمرحلة الطفولة ، ولكنها عندئذ كانت إناثا ، وهكذا فان جميع صغار اللبروس تكون إناثا ، ثم يغير بعضها جنسه وتصبح ذكورا عندما تصل الى سن وحجم معينين !

ظاهرة منتشرة

وقد تبين ان ظاهرة تغيير الجنس منتشرة بين العديد من انواع الاسماك ، وخاصـــة تلك التى تعيش فى المنــــاطق المدارية والاستوائية ، وقد اكتشفت هذه الظاهرة في ٢٣ عائلة على الأقل ، تنتمي الى سبع رتب منفصلة .

والتحول الجنسي قد يكون في اي الاتجاهين . ولكن تحول الاناث الى ذكور Protogyny هو الغالب ويظهر فى اسماك اللبروس .

وقد يكون صحيحا ان معظم اسماك الشواطىء المرجانية تبدا حياتها إناثا ، اما التحول الجنسي من ذكر لأنثى Protandry فهو اقل انتشارا ، ولكنه ليس نادرا ، ويظهر فى اســــماك ذئب البحـــر Bass
Protogyny والاخنس Parrotfish
والسمكة الببغائيـة واللبروس Wrass .

ما هي الفائدة ؟

ولكن ، لماذا يغير احد الافراد جنسه ؟ وهل من فائدة يجنيها ذلك النوع من الأسماك الذي يتميز بظاهرة تحـــول الجنس ؟

من التفسيرات المحتملة ، ان هذه الظاهرة تحصل في الانواع التي يـــكون للافراد كبيرة الحجم فيها امتيازات وافضلية في مجال التكاثر والجنس ، فمثلا عندما تنجح ذكور قليلة كبيرة الحجم باحتكار التزاوج مع مجموعات كبيرة من الاناث ، فان الذكور الاضعف والاصغر حجما تجد نفسها منبوذة محرومة من حقها في التزاوج ، وعليها عندئذ ان تنتظر حتى تنمو

اما الاناث فى هذه الانواع فليست مجبرة ان تنتظر طويلا ، فهناك دائما ذكور تنتظر الفرصة لتلقح البيض الذى تفـــرزه هذه الاناث !

وهكذا فالفرد الذي يتحول من انثى الى ذكر يتمتع بحياة خصبة في كلا العالمين ، فهو يضمن تزاوجا ناجحا في صغره في عالم الانوثة ، وله فرصة كبيرة في الحصول على اناث كثيرة خاصة به

اما في الانواع التي لا يظهر فيها تحول الجنس ، فان احد الجنسين على الاقل يكون خاسرا في احدى مراحل حياته .

ولكن ، لاحظ ، ان هذه الاستراتيجيـــة (إذا صح ان نعتبرها كذلك) ، لا تعتبر فعالة وضرورية إلا في تلك الانواع التي تتمتع فيها الذكور كبيرة الحجم بحق التزاوج مع عدد كبير من الاناث ، وحيث لاتسنح الفرصة لصغار الذكور لممارسة هذا النشاط ، وقد ايدت الملاحظـات والدراسات هذا الراى ، فسمك « اللبروس » والسمكة الببغائية» «وذئاب البحر الصغيرة» تتكاثر بتواجد مجموعات كبيرة من الاناث مع ذكر قوي يسيطر عليها ، او ان الاناث تتكاثر بوضع البيض في مواضع معينة من البحر ، وهذه تقع عادة ضمن ملكية بعض الذكور كبار الحجم !

وعلى النقيض من ذلك ، نجد في بعض انواع « اللبروس » الأوربية ، ان الذكر يبذل جهدا ووقتا كبيرين في تجهيز بيت تضع فيه الاناث بيضها ، ثم يرعى ويحمي هذا البيض ، ولهذا ، ففى هـــذه الانواع لا نلاحظ ظاهرة التحـــول الجنسي

وفى بعض انواع ســمك « اللبروس » التي تعيش في مياه البحر الكاريبي ، نجد في نفس الوقت تحول إناث الى ذكور وايضا وجود ذكور صغيرة ، فكيف تتمكن هذه الذكور الصغيرة من الحصول على إناث لتلقح بيضها ؟

إنها تلجا لواحدة من وسيلتين : إما ان تتجمع الذكور الصغيرة فى قطعان تجبر ذكرا كبيرا على التخلي عن قسم من ممتلكاته من الارض والاناث ، او ان ينسل الذكر الصغير مع قطيع الانــاث حيث لا يمكن تمييزه عنها سواء بالحجم او باللون ، وهكذا لا يثير انتباه الذكر الكبير او بسبب اعتداءه ، ويحاول اثناء ذلك حفز انثى مجاورة له على وضـــع البيض ليلقحه .

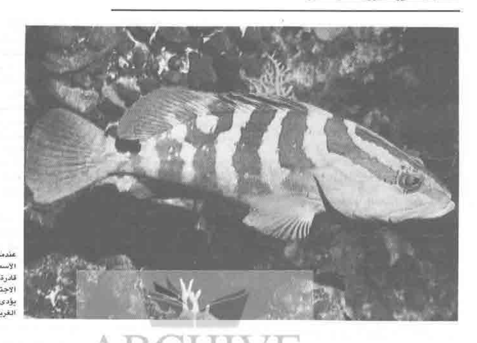
لماذا التحول ؟

هل يمكن ان نفسر تحول الذكور لاناث فى بعض انواع الاسماك بنفس الطريقة ؟

لقد لوحظ بالفعل ان الاناث في هذه الانواع تكون اكبر حجما ، فهذا يعطيها افضلية في التناسل .

وهكذا فان اصغر الذكور يستطيع ان يرعى اكبر الإنـــاث ، وهكذا نجد ان الصغار تكون معظمها او جميعها ذكورا ، ثم يتحول بعضها الى إناث عندما يكبر حجما !

وعندما يلتزم كلا الجنسين بشريك واحد طوال الحياة ، فان انتاج البيض يكون اكبر



عندما ندرس هذه الانواع من الاسماك ، سنكتشف انها قادرة على التنظيم الاجتماعى او العائلى الذى يؤدى الى التطورات الغريبة التى تحدث فى عالمها

إذا كانت الانثى الاكبر حجما ، ونجد هنا مثالا رائعا على التحول الجنسي من ذكر لانثى في سمك شقائق النعمان البحرية Anemonefish ويسمى بهذا الاسم لانه يعيش فى ظل وحماية شقائق النعمان البحرية ولا يتاثر بلسعها ، ونجد فى البيت الواحد فردين بالغين فقط : احدهما انثى والآخر ذكر ، وباقي العائلة اسماك غير ناضجة جنسيا . وتكون الانثى هي الاكبر حجما ، ولكن إذا اختفت الانثى لاي سبب ، فان اموراً غريبة تحصل ، اذ ان الذكر يتحول الى انثى بينما ينضج اكبر الافراد فى الجوار ليتحول الى ذكر !

ويعتبر هذا النظام مثالا صارخا على القدرة على التنظيم الاجتماعي او العائلي إذ تكون الظروف الاجتماعية حافزا لحصول تطورات جنسية ، ويكفي ان ندرس النظام الاجتماعى في سمك « اللبروس الخادم » على الشواطىء الاسترالية . وقد سمي بالخادم ، لانه يعيش في مجموعات ضمن مناطق مرجانية محددة ، ويقوم بتنظيف جلد الأسماك الكبيرة التي تزور « محطة التنظيف » الخاصة بها ، فينظفها من الطفيليات والمخاط !

وتكون المجموعة كلها من الاناث ، باستثناء اكبرها الذي يكون ذكرا يحمي مجموعته ويدافع عن منطقته ، وإذا مات الذكر او ابعـد عمدا (كما يحصل اثناء إجراء الدراسة عليها) فان اكبر الاناث تقوم بدوره ، من حماية للسكان والاناث ومغازلتها ولكنها لا تتحول الى ذكر إلا بعد بضعة ايام !

الفقاريات الأخرى

لماذا لا تحصل ظاهرة التحول الجنسي في حيوانات فقارية اخرى غير الأسماك ، خاصة وان بعض الطيور والثدييات تتميز بانماط تزاوج تظهر فيها افضلية الذكر الاكبر والاقوى ، فذكر الفقمة (من الثدييات) ينتظر عدة سنوات حتى يصل الى حد يمكنه من امتلاك الاناث ، فلماذا لايمضي هذه السنوات كانثى ؟

قد يكون السبب ان الفروق الجنسية بين الذكر والانثى تكون كبيرة جداً في الثدييات والحيوانات الارضية عامة ، فهي فروق في الحجم والشكل وايضا في الصفات التناسلية الخارجية والمصممة لضمان عملية التلقيح ، وهذا امر لانلاحظه فى الأسماك والتي يلقح بيضها خارجيا ، حيث تلقي الانثى عادة بيضها للماء ، ويقوم الذكر عندئذ بتلقيحه !

ولكن هناك استثناء واحداً على الاقل ، فقد عرف ان الدجاج قد يغير من جنسه احيانا ، ففي الطيور عامة يكون المبيض الأيسر فقط فعالا (من اجل تخفيف وزن الطائر لتسهيل الطيران) ، والدجاج ليس استثناء عن هذه القاعدة ، ولكن إذا اصيب المبيض الايسر بالمرض ، او توقف عن افراز البيض لاي سبب ، فان المبيض الايمن قد يتحول وتظهر الدجاجة وتتصرف كانها ديك ، وفى اوربا فى القرون الوسطى كانت الدجاجة من هذا النوع تعتبر من نسل الشيطان ، وانها فقست من بيضة ديك ، وكانت تحرق حية . ولحسن حظ الاسماك فان تغيير الجنس فيها لم يكتشف في ذلك الوقت ، وذلك حتى لا يسجل تاريخ القرون الوسطى حالات حرق الاسماك باعتبارها من نسل الشيطان !

حسام جميل مدانات
الأردن ـ عمان

الكتاب الخليجي في خطر
وهــــذه هي الأســـباب

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

عندما تتم مطالبتي بالكتابة فمعنى ذلك انني مدعو للمشاركة في نقاش بناء الهدف منه الوصول الى نتائج افضل ، لتكون بناء سليما خاليا من العيوب .

من هذا المنطلق ، وجدت ان حديث الاستاذ عبد القادر عقيل عن ازمة توزيع الكتاب الخليجي (الدوحة ـ عدد ٩٢) دعوة للمشاركة ، حيث ان الحـــديث ذو شجون والموقف لا يحتاج الى قواعد او قوانين او تنظيرات .. لعلم حديث ، انما هناك من سبقنا الى حل اشكاليات توزيع الكتاب . وايجاد معابر يستطيع من خلالها ان يصل الى متناول كل فرد .

ومن واقع اشكاليات توزيع الكتاب السعودي اتحدث ، وقد جربت طبع المؤلفات الخاصة ، والمشاركة في طبع المؤلفات السعودية من خلال نادي الطائف الأدبي . الذي اسهم اسهاما كبيرا في هذا المجال بعد ان كانت الساحة الادبية تفتقر الى المؤلفات الابداعية والعلمية والأدبية .

فلقد قام نادي الطائف الادبي بطبع مؤلفات عديدة ، وقف التوزيع امام انتشارها في مدن المملكة العربية السعودية وفي الوطن العربي . رغم ان اسعار هذه المؤلفات زهيدة وتتفق مع منسوب أسعار المؤلفات العربية الاخرى حيث روعي في ذلك بند وصول الكتاب للقارىء وبثمن غير مرهق .

انما دور التوزيع . كانت في واد . وهدف النادي في واد ، واحســاس المؤلفين بالانسحاق ـ الأمر الذى افشل كل التجارب . وانا اسميها تجارب ، لانها كانت من طرف واحد هو النادي ، بعد ان اوصدت دور التوزيع ابوابها امام هذا الكم الهائل من الانتاج ـ مكتوفة اليدين ، فالعقلية التجارية شلت كل اعصاب التفكير للوصول الى نتيجة .

إذن ما هو البديل ، وعالم التوزيع الآن هاجسه الوحيد ، ايجاد الربح الوفير ، بعيداً عن الحواجز التي قررت ان يكون لكل مؤلف جواز سفر ، يجب ان يحصل على تاشيرة دخول ، وبطاقة صفراء . الخ ؟ الامر إذن يحتاج الى مراجعـة .

وهذه المراجعـة تكـون في نظري كالتالي ، بالاضافـة الى حاجتنا الى دار نشر خليجيـة .

يجب ان يتم تكوين اتحاد بين دور النشر الخليجية اولا ، تلتزم فيه كل دار بتوزيع نسبة مئوية من كل اصدار تقوم الدار الاخرى بنشره ، بالاضافة الى ايجاد نسبة مئوية اخرى اقل لكل مؤلف يقوم صاحبه بطبعه على حسابه الخاص ، ومن ثم يتعاقد مع دار في وطنه لتوزيعه ، على شريطة الا تكون الدور المنضمة لهذا الاتحاد ، مجرد مكاتب فقط في احدي العمارات الفخمة شقة مكيفة وسكرتارية ، إذ يشترط ان يكون لكل دار بالاضافة الى المكتب الفخم ، مكتبة للتوزيع والبيع على الاقل . ومن هنا يستطيع القارىء العادي والاديب في المملكة العربية السعودية الحصول على الكتاب الكويتي والقطري والبحريني .. الخ .

نحن بحاجـــة الى مثـل هـذه المبادرات ، والخليج العــــربى يعيش نهضـــة ادبيـــة كبيرة من خـــلال الاصدارات الصحفية اليومية والشهرية والأسبوعية والدورية بالاضافة الى وجـود ادباء يشـــار لهم بالبنــان لهم ممارسات ابداعية فكرية حية .

لقد ذهب وقت المتلقي . ورجال الفكر العربى ينزحون الينا ليكون هذا التلاحم الفكري لتكون إضاءة .

انما الهدف السامي يقف حائرا امام هذه المقاطعة غير المجدية التي تكونت بسبب افكار بالية عن واقع الخليج وانتماء ابنائه إذ أن الابداع الفكري ، ليس محدودا على امة دون اخرى . فلكل وطن تراثه ولكل امة مبدعوها ، بغض النظر عن الفوارق الاجتماعيـــة ، والحضارية ، والعلمية .

قد اكون حصلت على بعض المؤلفات البحرينية ، او الكويتية ، بطريق الصدفة . ومن خلال البريد . ولكن ليس معنى ذلك انني استطيع رصد هذه الحركة الفكرية . ولقـــد حز فى نفسى عندما قرات في مجلة فصول المصرية ، دراسة عن القصة القصيرة في الخليج ان الباحثة توقفت في كتابتها عن القصة السعودية الى ما قبل عشرين عام ... فاصبح البحث ناقصاً . ومختلا رغم إدراكي بانها في امكانها الحصول على انتاج حديث من الاندية الأدبية ، او الجامعات او الجمعية العربية الســعودية للثقافة والفنـــون . وقد انتشرت عناوينهـــا فى الصـــحف السعودية بشكل عام .

ومن هذا المنطلق . اجل (ستشعر حتما بالعجز . وستجيب ببساطة ، انا لم اقرا كتبهم حتى اعرفهم) وهذه المقولة يتم مسحها من الذاكرة بالتلاحم الذي يسمح بموجبه الى دخول الكتاب دون جواز سفر . ومن ثم وجـود الناشر الواعي الذي يدرك قوة ومكانة الدور الذي يلعبه . ومن هنا ندرك اننا لسنا بحاجة الى ان يتم طبع الكتاب في القاهرة او بيروت وان يتم توزيعه من هناك ، ويتم تصديره لبلد المؤلف . بالاضافة الى البلدان الاخرى اجل (التوزيع هو الانشوطة التي تلتف حول عنق الكتاب الخليجي . وهو سبب كل التباعد والغياب بين كتاب وادباء الخليج) ..

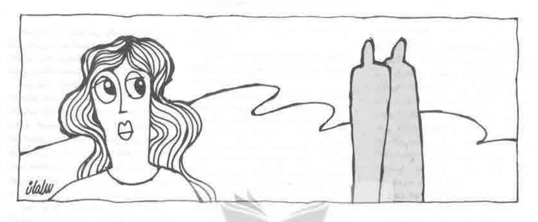
بهذه الكلمات التي غدت هاجسا يتعامل في داخلي حتى استطعت ان ارسمها حروفا . ليجد فيها المتلقي . فكرة جديدة للوصول الى الهدف السامي ، الذي يبحث عنه الغيورون من اجل كلمة حق هي نبراس وضاء يحدد معالم الطريق ، الذى التهمه الظـــلام الدامس ذات يوم . فعج في الافئدة كابوس اخذ يتناثر مبددا ما امامه من قيم ومقومات . وانفلت هاربا ، عندما حل النور ، فانزرعت في العيون علائم اندهاش للفوضى العارمة .

انها دعوة اخذ النسيم يعبث بجدائلها وقد ارتسمت على شفاهها بسمة صغيرة هي دعوة للحياة .

السعودية ـ الطائف

ثلاث نساء .. وبيت واحد

قصة بقلم : عبــد الله عــيسى



كاد الزوج ناصر الجعدان ان يوقظ زوجته حصة كعادته كل صباح لتعد له الافطار ولكنه تراجع ولم يفعل . اكتفى بالقاء نظرة حانية على وجهها المستسلم للنوم فى هدوء محتضنة ابنتها ليلى ، اوشك ان يقبلهما ولكنه انصرف الى ثيابه يرتديها .

ترك ناصر زوجته تنام مشفقا عليها من الجهد الذى بذلته ليلة البارحة فى اعداد الوليمة التى اولمها اخوه راشد لزملائه ، قال لنفسه ان زوجته حصة زوجة دؤوب مخلصة ، فقد بذلت جهدا بالامس بدا مع الفجر وقبل ان ترسل الشمس اول شعاع لها . راها فى ذلك الوقت المبكر تتراجع عن باب سلفتها زوجة اخيه راشد ، وترفض ان توقظها لمساعدتها فى اشغال البيت ، فقد فضلت ان تتركها لتاخذ حظها من النوم ..

ومع الفجر وقبل ان يستيقظ احد كانت حصة قد اعدت لزوجها إفطاره ثم شرعت تهيىء ما يلزم الوليمة من لحوم وخضر وبهارات .. الخ وراحت تغسل قدور الطبخ ، ونظفت صالة الجلوس وصالة الطعام .

فى الحقيقة كانت حصة تقوم بالعبء الأكبر من اعباء البيت بلا سام ولا تذمر ، ودائما على لسانها كلمة « أن شاء الله » و « حاضره » .. تلبى جميع ما يطلب منها بنية صافية بيضاء كالحليب ، ولا تفارقها ابتسامتها العذبة الرقيقة ، ومنذ ان دخلت بيت الزوجية لم يرها احــد مقطبة ولم تغضب من احد .

وفى هذا الصباح حدثت اعجوبة من العجائب لم تكن كتلك الخوارق التي نسمع عنها فى الاذاعة او تنشر بالصحف ، اعجوبة وقعت فى بيت درويش الجعدان ، فلاول مرة تستيقظ « حنان » سلفة « حصة » فى السادسة صباحا ، وهذا يعد حدثا تاريخيا من احداث منزل درويش الجعدان ، فحنان نفسها لا تعـرف لماذا استيقظت فى هذه الساعة المبكرة ، لعلها نامت مبكرة اكثر مما ينبغي ، هكذا قالت حنان لنفسها ، كان راشد زوجها مازال نائما ، وحتى حصة نفسها مازالت تغط فى نوم عميق على غير عادتها ، وعندما دخلت حنان الى المطبخ لتعد لنفسها كوبا من الشاي ، فوجئت بما راته واصابها بما يشبه الذهول . فحينما طافت عيناها فى انحاء المطبخ كانت الاطباق والاوانى مكدسة بعضها فوق بعض فيما يشبه التل ، ولم تصدق حنان ان كل هذه الاطباق والاوانى هى بقايا وليمة الامس وأن سلفتها حصة هى التى اعدتها بمفردها . فكرت قليلا ، فتحرك طبعها الكسول وطال بها التفكير فترة اخرى ولكن عينيها لم تستطيعا ان تفارقا مشهد المطبخ ولا الاطباق والاوانى المكدسة وسالت نفسها وهى تهز راسها هزات خفيفة اتغسلها أم لا ؟ ثم سرحت قليلا وهى تتناول كوب الشاي الذى اعدته لنفسها وتمتمت :

ـ نائمة مرتاحة .. تبغينى اغسل كل هذه الاوانى ؟ !

فرغت من شرب الشاي ، ثم شمرت عن ساعديها دون حماس او رغبة ، وشرعت فى صب الماء على الاوانى وابتدات بغسل الاطباق الصغيرة ، تحرك مزاجها العصبى الكسول فاحست بالضجر مما تفعل فافلتت من يديها ثلاثة اكواب وتحطمت وتطايرت شظاياها على الارض فلم تابه بها

ثم راحت بين الفينة والاخرى تدمدم بفظاظة قائلة :

ـ كانني خادمة .. الغير ياخذ راحته فى النوم وانا وحدى اقوم بغسل كل هذه الأوانى !

لم تصبر حنان على مواصلة العمل فى المطبخ ، تركت ما بين يديها من اوان واقتربت من نافذة المطبخ التى تتدلى عليها اوراق شجر اللوز ثم القت نظرة طويلة على باب حجرة نوم حصة وقالت لنفســها غاضبة :

ـ نومة اهل الكهف !

زفرت حنان فى عصبية وهمت بالخروج من المطبخ نافضة يديها من هذا العمل المضنى ، ولكنها تسمرت فى مكانها فقد رات حماتها شيخة مقبلة نحو المطبخ ، هذه

الحماة العزيزة التى تغدق عليها الحب وتدللها ، رأتها شيخة منغمسة فى غسل الصحون فسألتها مستغربة :

ـ أين حصة ؟

ردت حنان وقد أزالت سيماء العصبية من وجهها .

ـ مازالت نائمة !

قالت الحماة فى غيظ :

ـ نائمة .. البومة . سأذهب إليها لأعلمها كيف تنام !

اصطنعت حنان الاعتراض وهى تقول :

ـ دعيها تنام يايمه (يا امى) !

ولكن شيخة لم تنصت لها ، واندفعت إلى حجرة حصة ، بينما وقفت حنان تنظر من نافذة المطبخ وتبتسم فى مكر ودهاء ، كانت الحماة تمقت كنتها (زوجة ولدها) حصة كمقتها لعم أسنانها ، فراحت تطرق الباب بعنف طرقات متتالية فزعت لها حصة وابنتها وسمعت حماتها تقول :

ـ قومى .. قومى الدنيا ظهر ..

اجابت حصة بصوت يغالبه النعاس :

ـ إن شاء الله ..

وكعادتها أدت حصة جميع الواجبات اليومية بصدر رحب ، وعندما رأت حنان تغسل الأطباق قالت لها برقة .

ـ دعى البقية لى .. اذهبى واستريحى !

تظاهرت حنان بالتردد ولكنها سرعان ما استسلمت وتركت كل شىء لحصة وانطلقت خارج المطبخ .

قبيل الضحى كل يوم ، وعندما تكون حصة منشغلة باعداد طعام الغذاء ، تنطلق الحماة وحنان الى الخارج حيث تبدءان بزيارة الجيران والاقارب ، تمضيان الوقت فى الهذر والنميمة ، وإذ هما تفعلان ذلك تكون حصة منشطرة إلى شطرين أحدهما مع ابنتها ليلى حيث تعد لها غذاءها وملابسها والثانى يتطلب السرعة بين الحين والحين الى قدور الطبخ ، وحصة لا تعقد أمور حياتها اليومية ولا تعسرها وتأخذ الاشياء ببساطة وطيبة نفس متناهية وما أن تحس بخروج حماتها وسلفتها حنان حتى تتسرب الى شفتيها ابتسامة لا تستطيع منعها !

ونادرا ما كانت حصة تخرج من البيت .. وهى ان خرجت فالى زيارة للجيران المقربين ، ووقت زيارتها المحبب هو وقت العصارى قبيل غروب الشمس ، وكثيرا ما ترفض حصة الخروج حتى للاعراس التى تشيع البهجة فى الحارة وترفض عادة الذهاب إليها وان كان بيت العروس قريبا ، فهى تفضل أن تبقى فى صالة البيت أمام جهاز التليفزيون تداعب ابنتها ليلى ، وهى ترفض الذهاب إلى هذه الاعراس لا كرها فيها ولا تعاليا على أهل الحارة ولكن لأنها لا تملك من الثياب ما يليق بهذه المناسبات وتفضل الاحتفاظ بما يليق من ثيابهـــا لمناسبات أخرى !

وأيضا لأنها فى الأساس تحب أن تظل فى خدمة رجال البيت ، زوجها ناصر وأخيه راشد ووالدهما درويش الجعدان ، وهؤلاء الرجال ليس لهم موعد ثابت يعودون فيه إلى بيتهم للعشاء فتارة يبكرون وأخرى يتأخرون وتارة يأتون سويا وأخرى فرادى ، على هواهم ومتى شاء أحدهم أن يعود وحصة دائما على أتم استعداد ، بمفردها تقوم على خدمة الرجال الثلاثة دون تذمر أو كسل ، لا تتلكأ ، تعد وتهيىء وتلبى .. أما الرجال فيعرفون أين ذهبت شيخة وحنان ولكنهم لا يتساءلون ولا يتكلمون !

كان راشد ينظر إليها وهى تعد له العشاء سواء أكان بحجرته أم بصالة المنزل ، رائحة غادية دون كلل ، ويغبط أخاه على هذه الزوجة الصبور ، وكثيرا ما تمتم لنفسه :

ـ ليت زوجتى حنان تأخذ من طباعها شيئا .. ولكن حنانا تريد خادمة :

وحموها درويش الجعـــدان أيضا كان يحنو عليها ويرفق بها ويهمس لنفسه .

ـ يالها من كنة خدوم لولاها لنحت واستيقظت جائعا .

ولكن ذلك لا يغير من الأمر شيئا ، فمازالت شيخة الحماة البدينة التى تشبه فرس البحر وكنتها حنان تتزينان كل يوم قرب الغروب وترتديان أبهى الثياب وتمضيان الى زياراتهما دونما اعتبار لشيء آخر .

● ●

تذهب الأيام وتمضي وتدق الطبول ذات مساء معلنة عن عرس بالحارة ، وتدعى حصـــة الى الحفل وتقرر الذهاب ، ففى هذا اليوم بالذات كانت قد أنهت أعمالها المنزلية مبكرا ومازال موعد العشاء بعيدا وليس بها هذا اليوم رغبة فى مشاهدة التليفزيون ، وهى لن تتأخر عن موعد الرجال ، كى تكون فى خدمتهم عند العشاء .

كانت شيخة وحنان قد سبقتا إلى الحفل ولحقت بهما حصة ، جلست تحملق فى وجوه النسوة والفتيات والشـــابات الصغيرات اللاتى رحن يرقصن على دقات الدفوف ، ومن حين لآخر كان يتعالى صوت أحد قارعى الطبول قائلا :

هذا من نقوطه
نقوط مبارك بن خليفة
لا غير الله عليه فى شبابه
لا غير الله على امه فيه
والسامع يصلى على النبى
كله بياض بيض الله وجهه

ثم تتعالى دقات الطبول مرة أخرى .

بعد فترة كانت حصة قد سئمت من الاستماع إلى هذا الضجيج ، فانزوت فى ركن لتهدهد ابنتها التى كان النعاس يغالبها ، وإذ هى كذلك ، اذا جاءها صــوت اثنتين من النسوة يثرثرن قريبا منها .

ـ أليست تلك هى « شيخة » وزوجـة ابنها « حنان » .

ـ نعم .. إنهما لا تنسيان مسرتهما رغم متاعبهما .. كان الله فى عونهما !

ـ أية متاعب يا أختاه ؟ !

ـ تحملان عبء البيت وحدهما ، ثلاثة رجال وكنة أخرى لا تفعل شيئا .. لا أذكر اسمها آه حصة تسميها حماتها حصة البومة النؤومة .

ما إن سمعت حصة هذا الافتراء حتى سرت البرودة إلى جسدها للحظات وأوشكت أن تمسك بتلابيب المرأتين وتنهرهما ، ولكنها تماسكت فى اللحظة المناسبة وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ثم سكنت قليلا فى ركنها حتى استعادت هدوءها وحملت ابنتها النائمة على كتفها وجالت بعينيها الغاضبتين فى المكان حتى استقرت العينان على حماتها وسلفتها اللتين استغرقتا فى الثرثرة مع النساء والضحك ورمقتهما بغيظ كظيم ثم استدارت إلى الخارج !

انطلقت حصة إلى الطريق تحمل فى نفسها مشاعر جديدة .. مشاعر ثقيلة وبغيضة وتساءلت هل هذا جزاء الاحسان .. أنا « بومة نؤومة » يا فرس البحر .. عرفت حصه فى هذه الساعة انها لن تحمل لحماتها وسلفتها اية مشاعر طيبة بعد الآن وأن الأمور لن تعود كما كانت فى البيت مرة أخرى أبدا .

فى هذه الليلة عندما عاد الرجال إلى المنزل لم يجدوا عشاءهم جاهزا ولا حتى حصة كانت مستيقظة فى انتظارهم كما تعودوا دائما . فقد كانت تتقلب فى فراشها مدعية النوم !

عبد الله عيسى

هامش :

عبد الله عيسى من أدباء الشباب فى الخليج ويعمل فى إدارة الثقافة والفنون فى وزارة الاعلام بدولة قطر .



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة السادسة

عندما اتهموني بأن أخي يكتب شعري ويوقعه باسمي

كان هناك يوم بقيت صورته حية فى الذاكرة بكل تفاصيلها . استيقظت واخوتى على طرقات احذية الجنود الثقيلة ، كانوا نفرا يقفون وسط الغرفة فى غبش الهزيع الأخير من الليل . هببنا بفزع من الأسرة ، وطلبوا الينا المغادرة فورا . لم يسمح لنا بتغيير ملابسنا ، ولكنا خطفنا معاطفنا من الخزانة بسرعة ووضعنا اغطية رؤوسنا كما اتفق وخرجنا الى السوق مع بقية النساء والرجال والاطفال فى حينا - حي الياسمينة - وبحسب اوامر الجيش المداهم سار الرجال فى طريق وسارت النساء والاطفال فى طريق اخر . كان بين النساء نفساء فى يومها العاشر تسكن بجوارنا ، رايتها وهى ترفع وجهها المحجب الى اعلى فيبدو عنقها الأبيض وبعض خصل سالفيها الحمراء ، وقالت وهم يتحسسون لفائف المولود الجديد : « ربى يكسر جاهكم ويرمل نسوانكم » ، قالتها بلهجة نابلسية اصيلة ، ناطقة الميم نونا كما فى اللهجة العامية. اما عمتى الشيخة فكانت تحت وطاة نزلة صدرية حادة ولا تقدر على السير ، فحملها جارنا « الدحدوح » بائع الخضار والفاكهة على ظهره ومشى فى موكب النسوة .

انتهت بنا المسيرة الى منطقة « راس العين » فى سفوح « جرزيم » وانتشرنا هناك فى العراء وقد بدأ الصبح يتنفس .

اطل فجاة من الجانب الآخر صف مزدوج طويل من رجال سكان الأحياء المطوقة . رأيت أبى بينهم مشتملا بعباءته فاحسست بالحزن فى قلبى والحنو يغمر نفسي . ان منظر الشيوخ والطاعنين فى السن فى مثل هذه المواقف يثير فى النفس من المشاعر المرة الحزينة ما لا يثيره الفتية والشبان . ورأيت فى صف الرجال المزدوج المغذ فى السير رجالا عرفوا بالشدة والنزق والعنجهية ، فشعرت بتناقض وجودهم فى المشهد الذليل .

عدنا الى بيوتنا فى الأصيل لنشاهد اثار اسوا عمليات التفتيش والنهب وكان قلمى الزيتونى اللون ضمن المنهوبات ، وبقيت الى مدى طويل افتقده بشىء من الحسرة ، فقد كان أول قلم حبر امتلكه ، وكان - وهذا السبب الجوهرى فى انزعاجى لفقده - هدية من ابراهيم كافأنى بها على قصيدة رثيت بها الملك فيصل قبل ذلك بسنوات قريبة .

● ●

كانت الثورة قد عمقت الدوافع العدائية الجماعية فى افراد الجماهير الفلسطينية نحو الانكليز ، فوعد بلفور كان شيطانا انكليزيا منذ البداية ، ولقد كانت ثورة (القسام) فى الأصل قائمة على مناهضة الانكليز ومقاومتهم ، فهم اصل الشر والبلاء وهم العاملون على تنفيذ المطامع الصهيونية الخطيرة .

● ●





هدى هانم شعراوي



عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)

أحمد حسن الزيّات



اسعاف النشاشيبي

المستاجرين . وحين ارى الجماهير الغفيرة الهائجة كانت تغرورق عيناى او يسيل الدمع على خدى . وقد ظللت فيما تلا من ايام حياتى ابكى واحس بالتاثر العميق ازاء مشهد الجماهير المتراصة ولعل الدمعة التى كانت تسيل من عينى فى مثل هذه المواقف انما كانت بسبب عجزى عن الاندماج فى الآخرين والمشاركة الفعلية فى الالتحاق بهم ، فما عرفت طعم هذا الاندماج ولا تعرفت على زخمه وحلاوة مذاقه الا بعد حـرب حزيران ١٩٦٧ . فالاحتـــلال الاسرائيلى أرجع الى الاحساس بنفسي ككائن اجتماعي ، وفي ظل الاحتلال فقط ، حين رحت التقى بالجماهير فى قراءاتي الشعرية ، عرفت القيمة والمعنى الحقيقى للشعر الذى يتعتق ويتخمر فى دنان الشعب .

● ●

« جاءت العباية ! .. جاءت العباية .. ! »

كانت هذه كلمة السر فى شوارع نابلس وازقتها . فحين تقع المدينة فى مازق او خطر ياتيها من الخارج ، يقوم هناك حب « جماعى » بين النابلسيين يربط الناس بعضهم بالبعض الاخر ، وهذا نزوع طبيعى لدى الجماعة الواحدة ، حيث تنمو فى كل نفـــوس الأفـــراد مشـــاعر مشتركة تلقائيا نحو العـــدو المشـــترك .

« جاءت العباية » .. « جاءت العباية » ! وتتردد كلمة السر فى الأسواق والأزقة ، ويعرف الناس معها ان قوة عســكرية مداهمة فى الطريق اليهم ، فيختفى من يختفى ويحتاط من يحتاط ..

واصبح اصطلاح « جاءت العباية » فيما بعد من ضمن تراث الثورة الشعبى فى نابلس .

كانت نابلس ، كالخليل ، من معـــاقل المقاومة الصعبة ، ولقد جاء يوم اضطرت فيه السلطات الى نفض يدها من الحكم داخل هاتين المدينتين . ولقد بلغ من عنف المقاومة ان الغيت المحاكم فى نابلس ونقلت ملفاتها الى الثكنة العسكرية خــــارج المدينة (١) .

● ●

الحكايات البطولية ، اخبار العنف والموت والاعتقالات والنفى والخيانات .. كل هذه كانت تخترق جدران الدار وتصل الى سمعى عن طريق الاخرين : اخوتى ، الجرائد ، النسوة الزائرات ، صبي اللحام والبقال واللبان وسواهم . وحين كانت اصوات المتظاهرين تاتينا من بعيد ثم تقترب شيئا فشيئا ، كنت أهبط الدرج ملتفعة الراس بغطاء كبير يغطي وجهى والقسم الأكبر من جسمى ، واركض الى الصفة الحجرية فى الديوان فاطل من احد شبابيكها على السوق ، وتكون الصفة قد غصت بالنسوة من القاطنين بجوارنا او

ايقظتنا فى منتصف الليل طرقات الجنود البريطانيين باعقاب بنادقهم على باب دارنا وحين قام ابي اليهم كانت قلوبنا تضطرب وانفاسنا معلقة على حبل التوقع المتارجح فى الهواء : ماذا بعد ؟

وكنا فى اعماقنا نعرف ماذا ياتي بعد ، فحين كانت الابواب تطرق فى مثل تلك الساعة من الليل كان يفهم المرء ان هناك عملية اعتقال .

ولم يرجع ابي .

وفى الصباح كان فى طريقه الى سجن « عكا » مع الدكتور مصطفى بشناق وفائق العنبتاوى مقيدى الايدى بالاغلال ، ليلتقوا هناك بالمئات من ضحايا القمع الجماعي .

ظلت علاقتى الشعورية بابي تتارجح بين الحيادية ايام السلام والعافية والحنو البنوى الغامر ايام السجن او المرض .

● ●

مرت ايام ، أسابيع ، شهور ، والاحداث فى عنفوانها المتقد . جاءتنا انباء عن مرض ابي فى السجن ، وكان رقيق البنية بطبيعته . استيقظت فى سكون الليل . كان فراشي دافئا ، وبرد الشتاء حادا فى الخارج « يقطع المسمار » كما يقولون فى نابلس وقراها . مرت صورة ابى فى خاطرى مطروحا ، مريضا ، مؤرقا بين جدران السجن الجليدية ، واكتسحتنى موجة من الحنو العميق . وكان احساسي القديم بالضغط والكبت بسبب حضوره فى البيت قد تلاشي تماما ليترك مكانا للوحشة والحنان والشجن .

كانت قطرات الماء فى الخارج تتساقط من اوراق الشجر بايقاع منتظم كدقات الساعة وكانت لحظة غريبة ، لحظة سايكولوجية فى ذلك السكون الشامل ، رايت فيها بعين الخيال قصيدتى التي لم اكن قد كتبتها بعد منشورة فى احـــدى صـــفحات مجلة « الرسالة » ، ورايت ، بعين الخيـــال عنوانها بالخط الأسود : (الى ابي » ! وهربت اللحظة ..

لكن الصورة المتخيلة لم تهرب ، بل ظلت تسكن عينى على مدى ايام ، الى ان اصبحت صورة حقيقية تنهض على صفحة الشعر فى مجلة « الرسالة » ، تلك المجلة التى طالما حلمت بالوصول اليها ، ولم تكن الطريق اليها سهلة المنال .

كانت تجربتي الشعرية فى قصيدتي « الى ابي » حصيلة كل ما تجمع فى نفسي وتراكم من انفعالات منذ اشتعال الثورة عام ١٩٣٦ . ما اقل القصائد التى كتبتها بعد الهزة الانفعالية مباشرة . لقد ظللت اعجز دائما عن نظم الشعر وانا فى حالة الفوران العاطفى . لقد اصبت بالبكم مدة شهرين كاملين بعد حرب حزيران ، واصيبت مقدرتى على كتابة الشعر بالشلل مدة شهور بعد احداث ايلول . بعد هدوء العواصف تعود اليّ القدرة على النظم ، فهنا تبدا القصيدة كالجنين الهلامي ، ولا اعرف فى هذه المرحلة ماذا اريد ان اقول ثم ، وتدريجيا تجد الافكار طريقها الى التبلور ، وبصورة غامضة جدا اجد نفسي اكتب اول سطر ثم الثاني ، بعدها ياتى الجهد الشخصي .

● ●

كان صاحب مجلة « الرسالة » ، احمد حسن الزيات ، يرحمه الله يفتح صدر مجلته للكتاب والشعراء العرب البارزين الى جانب الكتاب المصريين ..

● وعرفت القيمة والمعنى الحقيقي للشعر

● المجتمع النسائي يجرح شعوري ويواجهني بمشاعر سلبية

● كيف أنظم الشعر السياسي وأنا حبيسة الجدران ، لا أشارك في معمعة الحياة ؟!

فوجيء ابراهيم بالقصيدة وكان يشغل انذاك منصب مدير القسم العربي فى اذاعة فلسطين بالقدس ، بعث الي برسالة بريدية قصيرة بداها بقوله « يا ام التمام » .. ثم هناني على القصيدة « الجيدة » ، وقال ان الاستاذ اسعاف النشاشيبي والاســتاذ خليل السكاكيني واخرين قد حدثوه بشانها وكلهم يثني عليها اطيب الثناء ! .

وبكيت فرحا ! ! .

● ●

اشتد مرض ابي فنقل الى مستشفى السجن في عكا ، وبدا اخي احمد ، الذى كان قد عاد من عمان الى منصبه فى دائرة المعارف بالقدس ، يدا يسعى للافراج عن ابي . وقيل له إن امكانية الافراج مشروطة بتقديم مبلغ معين الى واحد من المسؤولين الانكليز انذاك .

حين ذهب احمد لتقديم الرشوة وجد ان المسؤول المرتشي كان زميلا له ايام الدراسة فى جامعة اكسفورد بانكلترا ، ولكن هذه المفاجاة لم تغير من الامر شيئا ، فقد تناول الموظف الانكليزى المبلغ المعين وتبادل الاثنان كلمة الشكر الانكليزية « الشهيرة » بل « المشهرة » .. وانتهى الامر .

خرج ابي بعد ايام من مستشفى السجن منفيا الى مصر دون السماح له بزيارتنا فى نابلس قبل الرحيل .

● ●

ظهرت على امتداد الثلاثينات وجوه عديدة جديدة لشعراء فلسطينيين شبان راحوا يعطون نتاجهم الشعرى الهادف ، المعبر عن وعى قومى واحساس بالمسؤولية الوطنية . وقد عمل الشعر ، بنوعيه ، المكتوب منه بالفصحى والمكتوب باللهجة العامية ، عمل جنبا الى جنب مع الصحافة وانواع الانتاج الادبي الاخرى على ايقاظ الوعي الوطني والسياسي لدى الجماهير في المدن والقرى على السواء ، مما فجر الثورة الفلسطينية الفذة عام ١٩٣٦ . كان وعد بلفور والهجرة اليهودية وتمجيد البذل والفداء من اجل الحفاظ على الارض ، كل هذه وسواها كانت المحور الذى تدور عليه قصائد شعراء الثلاثينات بغض النظر عن التفاوت فى مستوياتها الفنية واصالتها الشعرية . لقد كانت هناك دائما رابطة قوية بين الشاعر الفلسطيني وحركة النضال ، وما كان الشاعر الفلسطيني الا نتاج واقع نضالي وفاعلا مؤثرا فى ذلك النضال فى الوقت ذاته .

من سوء حظي انني خلقت ، او ربيت ، على المبالاة بما يقوله الاخرون عني ، وهكذا ظللت حريصة بين الجماعة على ان اعبر عن نفسي بغير ضجيج او ادعاء . ولقد بلغ من شدة حساسيتي ان اتخذت لي دائما قناعا يخفي عن الاخرين ما تضطرب به روحي . وكان هذا القناع سلاحا ضد الفضول الجارح سابر الاغوار .

للنــابلسيين قوانينهم الاجتماعيــة الخاصة ، ولكي يرضي عنك الناس يجب عليك المحافظة على تلك القوانين ، وكان اهمها الا تتخذ بين الجماعة الموقف الذى يظهرك اكثر معرفة،والا فانت المغرور المدعي البغيض الى النفوس . ان الانتقاد التهكمي اللاذع صفة عامة للنابلسيين . لذلك لم اسمح لنفسي ان تفرض نفسها على الاخرين بالحديث عن موضوعات بعيدة عن اهتمامهم ، وفقدت الرغبة فى الجدال والاخذ والرد . وفى اكثر الحالات كان تواصلي مع الناس مجاملة دون ان اقترب منهم اقترابا قلبيا .

فى الفترة ما بين الثلاثينـــات والاربعينات لم يكن يسمح لي بالخروج من المنزل الا بصحبة بعض اهلي ـ امي مثلا او عمتي واخواتي وبنات عمي . ولم يكن هناك من متنفس غير الزيارات . ولم يكن هذا الجو يستهويني على الاطلاق ، ولكني كنت اضطر لمصاحبتهن احيانا رغبة فى الخروج من ضغط الجدران العالية ولو لساعتين من الزمن ، وعلى اية حال لم يكن يسمح لامي ولنساء العائلة الاخريات بالخروج من البيت اكثر من مرة او مرتين فى الشهر .

كانت الصفة العامة للنساء في ذلك الحين هي امية العقل، ولم يكن تحصيل من يعرفن القراءة والكتابة ليتجاوز مرحلة التعليم الأولى . كانت هناك قلة قليلة ممن اكملن دراستهن في (دار المعلمـــات) الحكومية في القدس وكان اعلى مستوى في دار المعلمات هو الصف الثاني الثانوي .

هذه الفئة ، فئة معلمات المدارس في نابلس وغيرها من مدن فلسطين كان لهـا قيمتها الاجتماعية واحترامها في عيون سكان البلد . فكانت المعلمة تمتاز دائما بالثقة بالنفس والاعتداد بالذات . ولقد شكلت المعلمات في نابلس فئة اجتماعية معينة ، واصبح الانتماء الى هذه الفئة قيمة تتطلع اليها كل فتاة طموحة . لقد عرفت الفتاة المعلمة لأول مرة شيئا من الاستقلال الاقتصادي واصبحت تشارك اباها او اخوتها في القيام بتكاليف معيشة الأسرة . وكفاها انها لم تعد عالة على اهلها بغض النظر عن كونها اصبحت عنصرا اقتصاديا مساعدا في البيت .

على أن ذلك لا يعني انها تحررت من المفاهيم الاجتماعية المختلفة والسائدة ، فقد ظلت ترضخ لمجتمع التحفظ والتقاليد والتبعية للرجل لان درجة تعليمها كانت محدودة جدا فلم تبلغ مبلغـــا يغير شخصيتها الى حد الاستقلال النفسي والثقة بطاقاتها وامكانياتها . لقد ظلت في جو حماية الرجل والاتكال عليه ، حتى شريك الحياة لم يكن لها الحق في اختياره كما انها ظلت تحت رحمة الاخ حتى لو كان عاطلا ولا خير يرجى منه لنفسه او للعائلة أو للمجتمع .

ولكن على اية حال ظل وضع المعلمة افضل بكثير من وضع سواها مما أوجد في نفسها احساسا بالتفوق في المجتمــــع النسائي الذي يحيط بها ، وكان هــــذا الاحساس يؤثر على سلوكها الاجتماعي ويلونه بالوان الغطرسة والغرور والتخايل بالشخصية .

في ذلك العهد لم تكن للمعلمات صلة ودية مع الكتب خارج نطاق المدرسة . ولم يكن يعنيهن تثقيف انفسهن بالمطالعة الجادة ، بل كان اهتمامهن مصبوبا على الملابس الانيقة وتجميل المظهر الخارجي ، فقد كن من ناحية اقتصادية قادرات على اشباع حاجتهن المادية .

وهناك ، بالتاكيد ، استثناء يشذ عن القاعدة دائما ، ولكنه لا يغير من الحقيقة والواقع بصورة عامة .

هذه الفئة من المعلمات غير القارئات كانت تلقاني بروح غير ودية ، واحيانا بروح عدائية ، ما عدا واحدة من اللواتي خرجن عن الصورة العامة ، وتفردن بطلب المعرفة وتثقيف الذات وكانت (ست فخرية الحجاوي) معلمتي السابقة في مدرســة العائشية والتي كانت دائما تخصني باهتمامها ورعايتها لي في المدرســـة وخارجها .

كانت (الست فخرية) تفرح بما تقرا لي في الصحف ، وبالذات في مجلة «الرسالة» المصرية ، وكانت تملأ نفسي وتفعم شعوري وهي تشجعني وتثني على تقدمي في مسيرتي الشعرية . كنت حين التقي بها لا اجفل من التحدث اليها عن كتاب قراته أو قصيدة نظمتها ، اذ كنت اجد عندها تجاوبا واصغاء مرهفا يبعث في نفسي وهجا لطيفا وغبطة عميقة .

وباستثناء (الست فخرية) كان ذلك المجتمع النسوي المميز ، مجتمع المعلمات يجرح شعوري ويواجهني بمشاعر سلبية تعلن عن نفسها باللقاء غير الودي والمتغطرس الذي كنت القاه منهن .

كانت الالسنة الحادة تقول دائما : اخوها ابراهيم يكتب لها الشعر ويذيله باسمها .

حتى بعد وفاة ابراهيم ظلت تلك المشاعر السلبية قائمة تجاهي . وكان ذلك الجو العدائي يؤلمني اشد الايلام ، ولم اكن ادرك يومها أن كل نجاح يحققه المرء لابد من دفع ثمن له ، حتى بين الاهل والعشيرة .

زمار البلد لا يطرب .. وهذه حقيقة نفسية عرفتها فيما بعد ، واحنيت لها راسي وغضضت الطرف .

تلك هي صورة المجتمع النسائي الذي كان يحيط بي في بلدتي خلال الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن . مجتمــــع برجوازي غير قارىء . كنت ابدو في نظره مخلوقة شاذة ، غير اجتماعية .

واتسعت الفجوة بيني وبين المجتمع النسوي . فلم يكن بمستطاعه ان يعطيني شيئا او ان ياخذ مني شيئا ، كان مجتمعنا لاذع اللسان يثرثر كثيرا جدا . والثرثرة رمز التخلف في المجتمعات التي لا تقرا ، وكان علي ان ادرك ان الدنيا كانت على عادتها قبل ان اكتشف عالم الكتاب الجميل الخصيب . ولكن لم ادرك ذلك في تلك الايام ولو ادركته لضاقت الفجوة بيني وبين ذلك المجتمع النسائي البائس .

ودعت افاق القدس الفسيحة لادخل من جديد (قمقم الحريم) في نابلس ، حيث تعيش الاناث وجودها الهزيل القاتم . كنت اتلفت حولي فلا ارى الا ضحايا بلا شخصية ، بلا كيان مستقل يقبعن في بيت يتعجل فيه الرجل شيخوخة اخواته وبنات عمه ، متخذا من القهر وسيلة لذلك التعجيل . بنات عمي لم اعرفهن الا عجائز عجزت الواحدة منهن منذ الخامسة والعشرين من عمرها . لم اعرفهن الا في ثياب التبتل والرهبنة ، يغطي شعرهن منديل ابيض ، فيما هن قعيدات الجدران المحيطة . ليس لهن صديقات ، ليس لهن حياة خاصة . صبايا بشعر شائب ووجوه جعدها الكبت قبل الاوان بكثير .

كانت وحدتي النفسية قاسية ضمن هذا الواقع . كما كان وجودي داخل ضجيج الأصوات والجلبة التي لا تهدا شيئا غير محتمل . فمنذ الطفولة ظلت الضوضاء عملية تعذيب لي . لم أملك في تلك الأيام حياتي الخاصة ، ولقد مضى وقت طويل قبل ان استقل بغرفة خاصة بي لم تنجني مع ذلك من البقاء في قلب الضجيج ، حيث إيوان الجلوس المشترك ، والساحة السماوية المشتركة ، والمطبخ المشترك ، ومنقل النار المشترك . كان جوعي الى الهدوء والصمت والعزلة جوعا دائمـــا لا ينتهي . وحين كان يتاح لي سرقة مشوار الى المروج وكروم الزيتون على طـــريق (رفيديا) كنت اجلس في ظل زيتونة ، واعب من الصمت والهدوء ، واحلم بامتلاك كوخ خشبي صغير ، يقوم في احد تلك الكروم واستقل فيه بحياتي .

كذلك اصبح من احلامي الثابتة السفر والدوران حول الارض . يقولون ان اكثر الذين عشقوا الدوران والاسفار حول العالم كانوا قد عانوا عيشة الحيوانات وراء قضبان الاقفاص الحديدية . لقد كنت اتابع ببصري العصافير وهي تنطلق من عب الاشجار في صحن الدار وتمضي الى وراء الجدران سارحة في الفضاء ، حرة من الخوف والحرمان ، كنت اتابعها ببصري واشتهي واحلم بامتلاك جناحين طليقين . ولكن صفعات الواقع كانت تهوى علي وتردني مستلبة الاحلام والامنيات .

لم يكن بمستطاعي التفاعل مع الحياة بالصورة القوية التي يجب على الشاعر ان يتفاعل بها . كان عالمي الوحيد في ذلك الواقع الرهيب بخوائه العاطفي هو عالم الكتب . كنت أعيش مع الافكار المزروعة في الكتب ، معزولة عن عالم الناس ، بينما انوثتي تئن كالحيوان الجريح في قفصه ، لا تجد لها متنفسا مهما كان نوعه .

وانا في تلك الحال من الحصر النفسي والضيق والاغتراب ، كان ابي ياتي الي طالبا مني كتابة الشعر السياسي . كان يريدني ان اخذ المكان الذي تركه ابراهيم ،

فكلما برزت مناسبة وطنية او سياسية اقبل علي يسالني الكتابة فى الموضوع . وكان ذلك يتعسني ويشعرني بالعجز . وكان صوت فى داخلي يرتفع بالاحتجاج الصامت : كيف وباى حق او منطق يطلب مني والدى نظم الشعر السياسي وانا حبيسة الجدران ، لا احضر مجالس الرجال ولا اسمع النقاشات الجادة ولا اشارك فى معمعة الحياة ؟ حتى وطني لم اكن قد تعرفت على وجهه بعد . فقد كان السفر محرما علي ، وباستثناء القدس التى عرفتها بفضل احتضان ابراهيم لي حين كان يعمل فى الاذاعة الفلسطينية ، لم اكن اعرف مدينة اخرى غير نابلس .

من قوانين الطبيعة التي لا تقهر ان المخلوقات من نبات وحيوان لا يمكن لها ان تعيش وتنمو خارج شروط بيئية حياتية محددة . وبالنسبة لي لم تكن البيئة البيتية التي نشات فيها ملائمة لخلق روح الاهتمام بالعالم الخارجي وما يدور فيه من صراع .

كان ابي يطالبني بالكتابة في موضوع بعيد عن اهتماماتي كل البعد وليس له اية علاقة بالحركة النفسية في داخلي . وكان يطغى علي شعور بالعجز ، وحين اوي الى فراشي اسلم عيني للبكاء .

ان بلوغنا مركزا يتطلب منا اشياء تفوق الكفاية الطبيعية فينا كثيرا ما يسيء الينا سيكولوجيا ، وذلك من جراء الصدمة والصعوبات التي نعانيها . كان ابي يظن ان بمستطاعي النظم في اي موضوع . حقا كنت قد رسخت قدمي في ارض الشعر ولكن تيار الحركة النفسية عندي كان مغايرا ومختلفا تماما عن التيار الذي اراد ابي ان يحملني على الانسياق معه . ان على الشاعر ان يعرف الحياة والعالم من حوله قبل ان يعالجها في شعره ، فمن اين اتي بالمادة الأولية الاساسية المناسبة ؟ من اين يتوفر لي الجو الفكري والنفسي لأكتب مثل ذلك الشعر ؟ هل استمده من قراءة الجريدة التي كان يحملها ابي في ظهيرة كل يوم حين يعود الى البيت لتناول الغداء ؟ ان قراءة الصحف ، على اهميتها ، لم تكن كافية لانبعاث جذوة الشعر السياسي في اعماقي . لقد كنت معزولة عزلة تامة عن الحياة الخارجية ، وكانت تلك العزلة مفروضة علي فرضا ولم اخترها بارادتي . فالعالم الخارجي كان (تابو) محرما على نساء العائلة ، فلا نشاطات اجتماعية ولا اهتمامات سياسية . كانت امي واحدة من اعضاء جمعية خيرية نسائية ولكن هذا لا

● حتى وطني لم أكن قد تعرفت على وجهه فقد كان السفر محرّمًا عليّ

● عندما ازداد هزالي ولم تكن آلام الرأس تفارقني إلا نادرًا

يغير من الصورة شيئا . فقلما كانت تشترك في اجتماعات الجمعية ، ولم يسمح لها في اي مرة بالسفر لحضور المؤتمرات النسائية كغيرها من اعضاء الجمعية ، ولم يسمح لها قط بالمشاركة في السير في مظاهرة نسائية ، فتقاليد العائلة لم تسمح بهذا مطلقا .

كانت قد تاسست في نابلس جمعية نسائية منذ عام ١٩٢١ برئاسة المرحومة مريم هاشم (توفيت عام ١٩٤٧) وكانت الجمعية ذات طابع خيري ، ثم انضمت عام ١٩٢٩ الى الاتحاد النسائي العربي العام الذي اسسته في مصر المرحومة هدى شعراوي . هنا اصبح الاتحاد النسائي الفلسطيني يقوم بتنظيم النضال السياسي للمراة الفلسطينية في معظم المدن الفلسطينية واحيانا في قراها . ولكن كان اشتراك المراة في المدينة مقتصرا على المظاهرات وبرقيات الاحتجـــاج وعقد المؤتمرات من خلال الهيئات النسائية ، تلك الهيئات التي افرزتها البورجوازية الوطنية آنذاك ، فان المراة القروية كانت تملك حرية الحركة بشكل افضل واكثر فعالية بفضل سفورها ، فكانت تقوم بنقل السلاح والطعام الى الثوار القابعين في الجبال .

ومع ذلك الوضع المعزول كليا والمفروض على النساء في البيت لا غرابة في ان يخلو جو الدار النسوي من اي وعي سياسي او اجتماعي . كانت الدار اشبه بحظيرة كبيرة تملؤها الطيور الداجنة يلقى لها بالعلف فتزدرده دون نقاش ، راضية قانعة به ، وكان ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات . وكانت رسالة تلك الطيور الداجنة تقتصر على تفقيس الفراخ الصغيرة واستنفاد ايام العمر بين حلل الطبخ النحاسية الكبيرة وبين حطب الموقد الدائم الاشتعال شتاء وصيفا .

وكما يحصل في المجتمعات المتخلفة حيث تكون السخافات هي حصيلة حياة المراة ، فان الجو النسائي في البيت لم يشذ عن هذه القاعدة ، التي كانت هي الصفة السائدة في كل الاسر والبيوت . وهكذا لم يكن بمستطاع الجو العائلي ان يعطيني شيئا ، بل كان يزيدني رهقا على رهق .

واصبت بمرض بغض السياسة . ففي هذه المرحلة بالذات عانيت صراعا نفسيا وفكريا حادا . كنت احاول الاستجابة الى رغبة ابي لكي ارضيه واكسب محبته ، ولكن اعماقي كانت تحتج وترفض وتتمرد ، اذا لم اكن متحررة اجتماعيا فكيف استطيع ان اكافح بقلمي من اجل التحرر السياسي او العقائدي او الوطني ؟ وظل يعوزني الاختمار السياسي كما كنت افتقر الى البعد الاجتماعي . ولم يكن لدي سوى البعد الأدبي وكان بعدا ناقصا .

كنت أعي ذاتي ، وكنت على وعي بان هذه الذات لا تتكامل الا في الجماعة . وكانت الجماعة هناك ، وراء الجدران التي تحاصرني ، وبينها وبيني مسافة قرون طويلة من عالم « الحريم » ؟ .

وراح يطغى علي الشعور بالعجز . لقد تعطلت لدي القدرة على كتابة الشعر ، فتوقفت حتى عن نظم الشعر الذاتي . وهكذا غطى الجدب الشعري كل تلك المرحلة الصعبة . وكان وعيي الشديد لما انا فيه من كبت وضغط يؤثر على كياني الروحي والجسدي معا ، فازداد هزالي ولم تكن الام الراس تفارقني الا نادرا ، وكان التعب النفسي رابضا بكل ثقله على اعضاء جسدي ، وفي الليل كان يغرقني العرق .

ولم يعد للحياة معنى او طعم ، وانما كنت استبطن همومي الخاصة ومشاعري الذاتية وكان عطبا اصابني في داخلي ، كانت التعاسة تضخم شعوري بنفسي وبكياني ، ورحت انزف على حدي سكين تلك المقولة القديمة : (ان لم اكن لنفسي فمن يكون لي ؟ وان اكن لنفسي فمن انا ؟) . لقد ظل ضعف الارتباط بالواقع والحاجة للاتصال بالعالم الخارجي مصدرا لصراع نفسي عانيت منه طويلا ، وكان ابي اول من زرع بذرة هذا الصراع الذي رافقني فيما تلا من مراحل حياتي الشعرية ولكن بصورة مختلفة ساتناولها عند الحديث عن تجربتي الشعرية .

بقية المذكرات العدد القادم

هوامش :

(١) حول الحركة العربية الحديثة ـ عزت دروزة الجزء الثالث ص ٢٠١ .

ذكريات مدرسية



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

ساقتصر فى هذا الفصل على طائفة من الذكريات تخيرتهامن عهدين ــ عهد كنت فيه تلميذاً وعهد تال كنت فيه مدرسا وساكتفى بالمعالم الكبرى والخطوط الرئيسية التى تغنى عن التفاصيل ، ولست ارمى غاية من هذا التصوير سوى ما يمكن ان يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماض بحاضر . فمثلا يمكن بسهولة ان تتصوروا حال التعليم الابتدائى إذا قلت إن تلميذاً كان معنا فى المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعين فى السنة التالية مدرساً لنا فى السنة الرابعة التى تعد لنيل الشهادة الابتدائية . وابلغ من هذا فى الدلالة انه كان يدرس لنا ما كان يسمى « الاشياء » وهى عبارة عن معارف عامة وكان تدريسها يومئذ باللغة الانجليزية . وارسم خطا آخر تتم به الصورة فاقول إن ناظرنا كان يقول عن نفسه إنه جاهل جاهل ولكنه إدارى إدارى ، وكان حديث عهد برتبة البيكوية فكانت عبارة « يا سعادة البك » تغفر كل ذنب وتمحو كل خطيئة !

ذكريات مدرسية

وليس اقدر من الصغار على التفطن إلى مواطن الضعف فى الكبار ، وليس اعرف بالمعلم من تلاميذه . وحسبه كشفا لستره آن مئات من العيون تفحصه كلما بدا لها ، وان مئات من الالسنة الثرثارة لا تنفك تلغط بما ادركته رؤوس اصحابها الصغيرة . واذكر انى كنت الاعب تلميذا فشتمنى فضربته بسلسلة مفاتيح فقطعت جلد وجهه فذهب يعدو إلى الناظر والدم يسيل من جرحه وقال له وهو يبكى : « يا افندى ابن عبد القادر ضربنى » فاسرها الناظر وبعث يطلبنى وسالنى لماذا فعلت ذلك ؟ فقلت : « ياسعادة البك إنه شتم ابى » وانكر المضروب وقال : « لا والله يا افندى » وتكرر من المضروب نعت الناظر بالافندى وتلقيبي له بسعادة البك ، فضاق صدر الناظر جدا واهوى على المضروب بخيزرانته وهو يقول « افندى فى عينك قليل الحيا » ولا احتاج ان اقول إنى نجوت مما كنت استحقه من العقاب وإن الفضل فى نجاتى إنما كان لكونى لم انس « يا سعادة البك » وان خصمى نسيها .

واوفدنى إليه التلاميذ يوما لارجو منه ان يسمح لنا بزيارة حديقة الحيوانات مجانا فدخلت عليه وسلمت ومهدت بيا سعادة البك ورفعت إليه رجاء الفرقة فدق صدره بكفه وقال : « حوانات حوانات إيه يا ابنى ... اسد فك السلاسل نهش عيل منكم نبقى نقول يا مين ؟ » .

فلم نزر حديقة الحيوانات كما لم يزرها ناظرنا الذى كان يتوهم ان الاسود فيها تربط بالسلاسل .

ودخل علينا مرة ونحن نتلقى درسا فى الحساب فوجد المدرس يملى علينا مسالة خلاصتها ان فلانا اقرض فلانا مبلغا من المال بفائدة كذا فى المائة . فاستوقفه الناظر وقال لنا إن المسالة غلط . وطلب منا ان نبين موضع الغلط فيها . ويظهر ان المعلم كان اعرف منا بالناظر فقد اكتفى بالابتسام ورحنا نجيب بما يخطر لنا والناظر يرفض كل جواب . واخيرا التفت إلى المدرس وقال له : « يا فلان افندى المسالة كذب فى كذب فارجو الا تعلم الاولاد الكذب مرة اخرى » وخرج .

وكان فى كل مدرسة فرقة للعب الكرة ولكن اعضاء هذه الفرقة لم يكونوا جميعا من التلاميذ ، فانى اذكر ان المدرسة جمعت من كل تلميذ منا خمسة قروش لتدفع للوزارة المصروفات المدرسية لرجل ضخم عملاق حليق اللحية والشاربين احمر الوجه ليلعب مع الفرقة فى المباريات مع المدارس الحكومية الاخرى . وكان هذا العملاق المخيف يجىء إلى المدرسة وقت الظهر ويخرج منها بعد الغداء ، وكانت مائدته تزدان بانواع من المخلل يؤتى له بها خاصة . وكان إذا احب ان يبقى فى المدرسة نصف ساعة او ساعة لا يجلس إلا فى غرفة المدرسين وهناك تقدم له القهوة والسجاير فيشكر ذلك بهزة من راسه ، والساق على الساق والسيجارة فى فمه انتظارا لمن ينهض إليه ليشعلها له من المدرسين . وكنا نحن نتزاحم على الباب والنوافذ لنفوز برؤية هذا المنظر .

لعل هذه الخطوط كافية لرسم صورة واضحة لمدرستنا الإبتدائية الحكومية فى ذلك العهد ، والآن انتقل إلى طائفة اخرى من الصور للمدارس الثانوية .

كان التعليم الثانوى انتقالا بادق المعانى فقد صار كل ما فى المدرسة إنجليزيا ـ الناظر والمدرسون والتعليم ـ ما عدا اللغة العربية . وانا إلى هذه اللحظة لا اعرف كيف كنت انجح فى الامتحانات ، واكبر ظنى انهم كانوا يترفقون بنا ويعطفون علينا ويتساهلون معنا ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء . وادع غيرى واقصر على نفسى فانى اعرف بها ، فاقول إنى ما استطعت قط ان افهم علوم الرياضة او ان اقدر فيها على شىء ، ومع ذلك كنت انتقل من سنة إلى اخرى بلا عائق . وكان الاساتذة يختلفون فمنهم الفظ ومنهم الرقيق ، واذكر ان احدهم كان يذكرنى درسه بالكتاب الذى حفظت فيه القرآن الكريم ، فقد كان يملى درس الجغرافية ، فاذا كان الدرس التالى طالبنا به محفوظا عن ظهر قلب ، وكان يقف امامه التلميذان والثلاثة دفعة واحدة وعلى مكتبه الكراسة والتلاميذ يتلون وهو يسمع ، ثم يضع فى كل ركن واحدا من الحافظين ليمتحن زملاءه

وكنت لا استطيع ان احفظ شيئا عن ظهر قلب فكنت احبس بعد كل درس فى الجغرافيا حتى كرهتها وكرهت حياتى كلها بسببها .

وكان لنا مدرس اخر من اظرف خلق الله وارقهم حاشية واعفهم لفظا . فكان إذا ساءه من احدنا امر واراد ان يوبخه قال له : تهج كلمة بليد مثلا او مجنون او غير ذلك كراهة منه لاسناد الوصف إلى التلميذ مباشرة . ولم يكن تدريس اللغة العربية خيرا من تدريسها فى الوقت الحاضر ولكنا كنا اقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان ـ لا ادرى لماذا .

وكان المفتش الاول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من اعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان رجلا طيبا ووقورا مهيبا ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ ، ولا نستغرب نحن شيئا من ذلك بل نراه امرا طبيعيا جدا . واعتقد ان منظر اساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من اهم ما غرس فى نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فانى ارانى إلى هذه الساعة اشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعنى إلا إكبارهم حين التقى بواحد منهم وإن كنت لم استفد منهم شيئا يستحق الذكر . ومن لطائف الشيخ حمزة انه كان يقول ملاحظاته على المعلم على مسمع منا ، ولكنه كان لا يكتب فى تقريره إلى الوزارة إلا خيرا .

وقد اتفق لى بعد ان تخرجت فى مدرسة المعلمين وعينت مدرسا فى المدرسة السعيدية الثانوية ان جاء الشيخ حمزة للتفتيش فاغتنمت هذه الفرصة وقلت : « يا استاذ ، ما هو الاسم العربى الصحيح لهذا الدخان الذى نسميه الدخان تارة والتبغ تارة اخرى » . فقال : « انظرنى يا سيدى حتى انظر فى الكناشة » . واخرج مما يلى صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا ادرى كيف كانت مختبئة غير بادية وقلب فيها ثم انشد هذا البيت :

كانما حنحنوا حصا قوادمه
او ام خشف بذى شث وطباق

ومضى عنى . وفكرت انا فى كلمة الطباق التى جاءنى بها الشيخ . فاستحسنتها ورايت انها على العموم خير من كلمة التبغ

التى نعرب بها اللفظ الانجليزى او الفرنسى « توباك او تاباكو » .

ومن حوادث الشيخ حمزة معى انى كنت اؤدي الامتحان الشفوى فى الشهادة الثانوية وكان هو رئيسا للجان اللغة العربية . فلما جاء دورى اتفق انه كان موجوداً . فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سالنى ماذا احفظ . وكنت فى صباح ذلك اليوم قد قرات خطبة قصيرة للنبي صلى الله عليه وسلم فعلقت بذهنى والهمنى الله ان اقول إنى احفظ خطبة للنبي . ففرح الشيخ جداً وخلع حذاءه وصاح « قل يا شاطر . قل يا شاطر فتح الله عليك » وسترنى الله فلم اخطيء . فاكتفى الشيخ بهذا واعفانى من النحو والصرف والاعراب .

ولكنه فى مرة اخرى كاد يضيع على سنة . وكنت طالبا فى مدرسة المعلمين وكانت لجنة الامتحان فى اللغة العربية برياسته فقال احد إخوانى بعد خروجه من الامتحان : إن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب ان يتلو الفصل الذى يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحوا ولا صرفا فى المدرسة لأن الدراسة كانت مقصورة على الادب . فايقنا بالفشل . وجاء دورى فدخلت وانا واثق من الرسوب وجلست امامه فناولنى كتاب مقدمة ابن خلدون فقرات . ولا ازال اذكر فاتحة الكلام وهى « اعلم ان العدوان على الناس فى اموالهم ذاهب بامالهم فى تحصيلها » الخ . فقال : ضع الكتاب . فوضعته . فسالنى عن العدوان والفعلين عدا واعتدي وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التى يكون عليهـــا « الفعل » « اعتدى » مثل « اعتديا » للماضى المثنى و « اعتديا » للامر . فسالنى لماذا كان الماضي بالفتح والأمر بالكسر فلم اعرف لهذا سببا وقلت إنه لا سبب هناك سوى ان العرب نطقوا بهما هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال : ولكن لهذا سببا . قلت : إن اللغة سبقت النحو والصرف . وكل هذه القواعد موضوعة بعدها . وما دمت انطق كما كان العرب يفعلون فان هـــذا يكفى ولا داعى للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم ابال بغضبه . وحدثت نفسي انه خير لى واكرم ان اسقط بخناقة من ان تكون علة سقوطي الجهل واصررت على رايى وكاد يحدث مالا يحمد ، لولا ان المرحوم الشيخ شاويش - وكان عضواً فى اللجنة - تدارك الأمر . فقد نظر فى ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمـــزة وقال : « العصر وجب يا مولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « اى نعم » وذهب للصلاة ونسينى فكان فى هذا نجاتى . وقد حفظت هذا الجميل للشيخ شاويش . وكانت هذه الحادثة بداية علاقتى به

ولم تكن المواد كثيرة او طويلة فى مدرسة المعلمين . ويكفى ان اقول إنه كانت لنا فى الأسبوع ثمانى ساعات لا نتلقى فيها اى درس . فترك هذا التخفيف وقتا كافيا للمطالعة الخاصة . وكان اساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة ولا يفوتهم مع التشجيع والحث ان يوجهونا وينظموا لنا الأمر . واحسب ان هذا نفعنا جداً .

وقد صرت معلماً بعد ذلك وظللت اشتغل بالتعليم عشر سنين . خمس منها فى الوزارة وخمس فى المدارس الحرة . وفى هذه السنوات العشر لم احتج ان اعاقب تلميذا او اوبخه او اقول له كلمة نابية . ولم يقصر التلاميذ فى محاولة المعاكســـة ولكنى كنت حديث عهد بالتلمذة وبشقاوة التلاميذ . فكنت اعرف كيف اقمع هذه الرغبة الطبيعية فى الشقاوة وكانت طريقتي ان اتجاوز نفسي والتلاميذ . مثال ذلك ان يحتاج التلميذ إلى قلم او نشافة فيطلبها من جاره ويكلمه فى ذلك فلا اعد هذا من الكلام الذى لا يباح . ولا اقيم ضجة من اجله .

وقد حدث يوما وانا مدرس فى المدرسة الخديوية ان دخلت فرقة فالفيت على مكتبى كل ادوات الرياضة مرصوصة على نحو لاشك انه متعمد . وكان تلاميــذى لا يجهلون كرهى للرياضة . وكنت انـــا لا اكتمهم اني اعد نفسى جاهلا بها حمارا فى علومها . وكان غرضهم من رص هذه الأدوات ان يعابثونى عسى ان اثير الضجة التى يشتهونها ولا يفوزون منى بها . ولكنى لم افعل بل اكتفيت بان دعوت الفراش فحمل هذه الأدوات ووضعها فى مكانها ثم بدا الدرس .

واتفق يوما اخر ان دخلت الفصل فاذا رائحة كريهة لا تطاق . وكان الوقت صيفا والجو حارا جدا فضاعف الحر شعورى بالتنغيص من هذه الرائحة الثقيلة . وادركت انها هى المادة التى كنا ونحن تلاميذ نضعها فى الدواة مع الحبر فتكون لها هذه الرائحة المزعجة . فقلت لنفسى إنهم ثلاثون او اربعون وانا واحد . وإذا كانت الرائحة القبيحة تغثى نفسى فانها تغثي نفوسهم معى ايضا . فحالهم ليس خيراً من حالى . والاحساس المتعب الذى اعانيه ليس قاصراً عليّ ولا انا منفرد به . وانهم لاغبياء لانهم اشركوا انفسهم معى وقد ارادوا ان يفردونى بهذه المحنة . والفوز فى هذه الحالة خليق ان يكون لمن هو اقدر على الصبر والاحتمال . فتجاهلت الأمر وصرت اغلق النوافذ واحدة بعد اخرى لأزيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك . وقد كان .

تصبرت وتشددت ودعوت الله فى سرى ان يقوينى على الاحتمال . ومضيت فى الدرس بنشاط وهمة لاشغل نفسى عما اعانى من كـرب هذه الرائحة الملعونة . وكنت ارى فى وجوههم امارات الجهد الذى يكابدونه من التجلد مثلى فاسر واغتبط وازداد نشاطا فى الدرس وإغضاء عمن يرفعون اصابعهم ليستاذنوا فى الكلام فقد كنت عارفا انهم إنما يريدون ان يستاذنوا فى فتح النوافذ عسى ان تخف الرائحة ويلطف وقعها . وظللنا على هذا الحال نصف ساعة كادت ارواحنا فيها تزهق . ورايت ان الطاقة الانسانية لا يسعها اكثر من ذلك . وان التلاميذ خليقون ان يتمردوا إذا اصررت على عنادى المكتوم . واغتنمت فرصة إصبع مرفوعة وسالت صاحبها عما يريد . فقال إنه يريد ان يفتح النافذة لان الحر شديد . قلت افتحها . وفتحت النوافذ كلها . وتنهدنا جميعا واستانفنا الدرس ولكن بفتور لشدة ما قاسينا من رياضة النفس على احتمال مالا يطاق . وانتهى الدرس وخرجت فخرج ورائى ثلاثة او اربعة من التلاميذ ولحقوا بى . وقال لى واحد منهم إنهم ياسفون لما حصل وإن الامر كان مقصوداً به غيرى . وإنهم يطلبون الصفح . فسررت ولكنى تجاهلت وسالتهم عما يعنون . قالوا : الرائحة الكريهة التى كانت فى الفصل . قلت : رائحة ... اى رائحة ؟ إننى مزكوم ولهذا لم اشم شيئا فلا محل لاعتذاركم . ومضيت عنهم . وكان هذا درسا نافعا ولو انى عاقبت احداً لما اثمر

ذكريات مدرسية

العقاب إلا رضاهم عن نفوسهم لانهم استطاعوا ان ينغصوا على ، وان ينجح معى عبثهم الطبيعى فى مثل سنهم .

وفى اخر سنة من اشتغالي بالتدريس توليت امر مدرسة ثانوية فقلت للاساتذة : إنى الغيت العقوبات جميعا فلا حبس ولا عيش حاف ولا شيء مما اعتاد المعلمون ان يعاقبوا به التلاميذ . ونظريتى هى ان المدرس الذى يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لهذه المهنة وخير له ان يشتغل بغيرها ، وان العلاقة بين المعلم وتلميذه ينبغى ان تقوم على المودة والاحترام ، وان يكون اكبر واقوى عامل فيها هو شعور التلميذ بان المدرس والد له يبغى له الخير ويخدمه ويفتح له نفسه ويقوى مداركه وينمى استعداده ، وانه لا يلزمه بدرس ولا يفرض عليه شيئا بل يرغبه فى الدرس ويحبب إليه التحصيل . وعلى هذا فليس لأحد من المعلمين ان ينتظر منى اى معونة على ضبط النظام ، وقد كان . قضينا فى هذه المدرسة سنة كاملة لم يشعر فيها التلاميذ بسلطان او سطوة ، وإنما شعروا انهم ابناء لنا واننا إخوان كبار لهم واصدقاء نافعون .

ولم اكتف بهذا بل الغيت « الجرس » الذى يدق إيذانا بابتداء الدرس او انتهائه لانى لم ار حاجة إليه بعد ان اصبح التلاميذ يحرصون على الحضور والمواظبة من تلقاء انفسهم وبدافع من حبهم للمدرسة ورغبتهم فى الوجود بها مع اخوانهم المدرسين حتى لقد كان الواحد منهم يمرض فيحضر ، وبهذا استغنيت ايضا عن الدفاتر الكثيرة التى تستعمل فى المدارس والتى تحتاج إلى موظفين كثيرين لا داعى لهم .

وقد كنت احب ان اظل فى هذه المدرسة لأرى نتيجة التجربة ، ولكن الحركة الوطنية بدات فى صيف ذلك العام وجرفنا جميعا تيارها الزاخر فهجرت التعليم إلى الصحافة . ولو عدت إليه الآن لكان من المحقق ان اخفق فقد اختلف الحال جدا وانقلبت الاوضاع .

ابراهيم عبد القادر المازنى
١٩٣٨

شكسبير العاشق

بقلم : يوسف روشا

كان جون شكسبير ، والد الشاعر ، فلاحاً . ويقول بعض الرواة إنه كان جزاراً . وليس ببعيد أن يكون الرجل قد اتخذ هاتين الحرفتين فى آن واحد فقد كان جم النشاط سريع الانسجام لا يحجم عن المغامرة فيما يعرض له من الشئون ، فتحسنت حاله بسرعة إذ نراه فى سنة ١٥٥٦ ـ ولم يمض على وفادته على « ستراتفورد » سوى خمس سنوات ـ قد ابتاع دارين انيقتين وانتخب نائبا عن هذه البلدة ، ثم قام بعد هذا بقليل باكبر صفقة فى حياته وذلك بزواجه من « مارى اردن » ابنة المزارع الغنى ، فاستقامت حاله وارتفع فى مدة وجيزة من مزارع بسيط إلى مصاف أعيان البلدة .

ولد وليم شكسبير فى سـنة ١٥٦٤ ولا يزال اليوم الذى ولد فيه موضوع اخذ ورد ، فمنهم من يقول إنه ٢٢ ابريل ، ومنهم من يزعم انه ٢٣ ابريل ، فليس فى هـذا ما يهم ، إنما الذى يعنينا انه ولد فى ١٥٦٤ وكان الصبى الأول والطفل الثالث لجون ومارى شكسبير .

لم يرسل جون ابنه وليم إلى المدرسه إلا عند بلوغه السابعة من عمره . وليس من شك فى ان وليم ، وما عرف عنه من توقد فى الذهن ونفاذ فى البصيرة ، كان قد التهم بسهولة ويسر كل ما تلقاه فى مدرسته ، وليس هذا الذى تلقاه مما يغنى ، ذلك انه لم يكن يتعدى النحو وشيئا قليلا جداً من اليونانية واللاتينية اللتين لم يتقدم فيهما تقدماً ملموساً ، حتى ان « جـونسن » ، وقد كان معاصراً للشاعر ، قال عنه مرة إن معرفة شكسبير باللاتينية قليلة واقل منها معرفته باليونانية .

على ان حال الاب المالية اخذت فى التدهور حتى اضطر اخر الامر إلى إخراج كافة ابنائه من المدرسة .

لا نعرف شيئا عما كان يفعله الشاعر من الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة من عمره ، واغلب الظن انه كان يساعد اباه فى مهنته كجزار ، إلا ان سوء الحظ لازم جون شكسبير ، فاخذ ينحدر رويداً رويداً إلى هاوية الافلاس والفقر المدقع ، فساءت اخلاق وليم وانضم إلى جماعة من الاشرار يسرقون الغزلان من حدائق الاغنياء !

ولكن اقتحام الحدائق واختطاف الغزلان لا يعدان شيئا بجانب ما كان يقوم به وليم شكسبير من غزواته الغرامية ، فقد وجه سهامه . وهو لا يزال فى الثامنة عشرة من عمره إلى فؤاد « آن هاتوى » ابنة فلاح ، فصادها !

كان وليم مشبوب العاطفة ، كما تدل عليه اشعاره وخاصة قصيدته « فينوس وادونيس » . ومن المؤكد انه لم يكن يقصد من مغازلة « آن » سوى العبث وإشباع الشهوة ، ذلك انه لم يكن يحبها ، كما تبين فيما بعد ، ولكن المسالة تطورت وارغم اخر الامر على ان يتزوجها .

كانت « آن » تكبره بثمانى سنوات ، وبعد ستة اشهر من زواجها وضعت له صبية اسماها « سوزان » ولا ريب ان هذا هو السبب الذى من اجله ارغم وليم على الزواج .

على ان هذا الزواج كان نكبة على الشاعر ونعمة على الادب الانكليزي خاصة والادب العالمي عامة .

ذلك انه لو لم يتزوج « ان » هذه لما نزح إلى لندن ولما عرف تلك الفتاة ذات الشعر الناعم والحاجبين الاسودين التي جرعته الصاب والعلقم ، والتي من اجلها اخذ يخرج تلك الروائع الخالدات ، ينفث فيها سمه ، وينفس بها عن كربه .

لقد كان وليم ، كما اسلفنا لا يكف عن رمى شباكه هنا وهناك لاصطياد الكواعب ، وكانت « ان » زوجته شديدة الغيرة ، شكسة الطبع ، فكان الخلاف بينهما يتسع والحالة تزداد سوءاً يوما بعد يوم .

إن غلمته العارمة ورعونته الهوجاء هما اللتان ورطتاه وقيدتاه بهذه الانشوطة فلا مناص له الآن إلا ان يقطع الحبل . لقد كان عليه ان يختار احد امرين ، إما ان يكون مخلصا لطبيعته وفنه ، وإما ان يذعن لعرف المجتمع وواجبه ، فاختار الاول وفر إلى لندن ، ولقد عاد هذا الاختيار على العالم باكبر فائدة .

ولقد حاول الشاعر ان يعتذر عن هذه الزلة بهذا البيت :

« الحب طفل غرير ليس يدري ما الضمير » .

لا نريد ان نقف طويلا لنتبع خطوات شكسبير في لندن مخافة ان يطول بنا الكلام فيلهينا عما نحن بصدده . يقول الرواة إن اول عمل قام به الشاعر عند هبوطه على لندن هو إمساك الجياد عند ابواب المسرح مقابل جُعل ، ثم تدرج قليلا إلى ان اصبح ممثلا ومؤلفا للمسرح . ..

يذهب « فرانك هارس » ، النـــاقد الانكليزي الشهير إلى ان حياة شكسبير في لندن حتى سنة ١٥٩٧ ـ السنة التي تعرف فيها إلى « ماري فتون » ـ كانت سعيدة إلى حد ما على الرغم من هذه السحابة القاتمة المتغلغلة في نفسه . لقد كان ، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره اعظم شاعر ومؤلف للمسرح انجبه التاريخ ، وكانت اواصر الصداقة تربطه مع « الابرل اوف ساوثمتن » واللورد هربرت « بمبروك » ، وهما شابان ارستقراطيان عريقان في المجد وهذان قرباه إلى القصر .

ومن طريف ما يذكر ان الملكة «اليزابيث» شاهدت مرة رواية « الملك هنري الرابع » فاعجبت « بفلستاف » ، تلك الشخصية الجذابة المرحة ، فاوعزت إلى شكسبير رغبتها في ان ترى « فولستاف » عاشقا قد تيمه الحب . فنزولا على رغبتها اخـرج شكسبير في مدة لا تتجاوز الاسبوع مسرحيته « زوجات وندسور المرحات » فكان نصيبها الفشل ، ذلك لان الفن العـــالي لا يخضع للمؤثرات الخارجية ولا يصدر إلا من منبع واحد هو وحي الفنان !

والآن من هذه السيدة « ماري فتون » التي سيطرت على فؤاد الشاعر واضرمت فيه نار الحب ؟ إنها وصــــيفة الملـكة « اليزابيث » ، في التاسعة عشرة من عمرها ومن عائلة عريقة في المجد . لقد وصفها شكسبير بانها امراة لا كالنساء ، فارعة القوام ، شاحبة اللون ، عيناها وحاجباها سوداوان ، غجرية الطبع ، متغطرسة ، متمردة ، خليعة ، من ارومة عريقة في المجد وصاحبة مركز رفيع .

هذه هي المراة التي جن بها الشاعر ، فما هي صفات شكسبير ومؤهلاته حينذاك ؟

لقد كان في الرابعة والثلاثين من عمره ، ضعيف البنية ، محطم الاعصاب ، خجولا ، فقيرا ، شاعرا ، ولكن اغلبية الشعب في ذلك العصر ، عصر البطولة الجسمية ، لم تكن تحفل بالشعر والشعراء ، وكانت تفضل مصارعة الديكة على اية تحفة في الفن والادب .

لذلك لم يجد شكسبير من نفسه الشجاعة لبث هواه اللاعج لحبيبته بنفسه فرجا صديقه « اللورد هربرت » ان يقوم عنه بهذه المهمة فقبل ، ولكن « ماري فتون » تشبثت باللورد الشاب الوسيم وبادلها هو ايضا الحب وخلفا الشاعر يندب الصداقة والوفاء .

على ان شكسبير لم تخمد جذوته بل زاد وجده ضراما على مر الايام ، فما انفك يصب جام غضبه على العاشقين في مسرحياته وقصائده ، يصرح حينا ويلمح احيانا . ففي مسرحيته « جعجعة ولا طِحْن » يذكر الحادثة بصورة جلية على لســـان « كلوديو » ناصحا للعشاق ومحذرا لهم من الوقوع فيما وقع هو فيه إذ يقول : « حقا إن الامير يبثها غرامه ويستهويها لنفسه . إن دعائم الصداقة تكون ثابتة متينة في كل شيء ما عدا امور الحب ، فنصيحتي للمحبين الا يتخذوا وسيطا بينهم وبين من يحبون ، بل ليبثوا غرامهم بانفسهم ، ذلك لان الجمال نوع من السحر لاتلبث الامانة ان تذوب امامه وتتلاشى » .

ولقد تشتد بالشاعر الازمة ويضــــيق « بماري » ذرعه فيرعد ويزبد مهددا إياها بانه سيهجوها اقذع الهجاء واقساه ، ولكن فاته ان امراة « كماري فتون » ، التي كانت تلد نغلا بعد نغل دون ما حياء او خجل ، لا يهمها ما يكتب عنها بعد ما ذاع امرها بين الملا ، واغلب الظن انها كانت تقابل التهديد بشيء غير قليل من الســـخرية والاستخفاف .

إذا اردت ان تعرف راي شكسبير في « ماري فتون » هذه فما عليك إلا ان تقرا مسرحيته « انطونيو وكليوباترة » فمـــا « انطونيو » سوى « شكسبير » ومـــا « كليوباترة » سوى « ماري » وإليك البيان .

« انطونيو » إن مكرها لا يكاد يتصوره عقل إنسان .

« انوبربس » : مهلا سيدي لا تقل هذا . إن عواطفها لمن انبل العواطف وإن حبها لصاف نقي لا تشوبه اية شائبة .

« انطونيو » : لكم وددت انى لم ارها قط .

« انوبربس » : ولكن تكون في تلك الحالة يا سيدي قد فاتتك قطعة من الفن مدهشة ، وتصبح رحلتك بدونها جافة عقيمة .

بهذه الاسطر الوجيزة عبر لنا شكسبير عن رايه في « ماري فتون » . إنها شر لابد منــه .

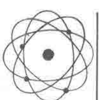
ثم يصيح على لسان « انطونيو » والحسرة تكاد تمزق احشاءه « إلى اين قادتني مصر ؟ » .

إلى الهاوية ولا ريب .

كان ذلك في ١٦٠٨ وكان قد مضى على تعرفه « بماري فتون » إحدى عشرة سنة ، ذاق في اثنائهـا الامرين ، فانطوى على نفسه ، واخذ يخرج تلك المآسي الرائعة ، حتى وهن جسمه ، وانهدمت اعصابه ، ونال منه الاعياء فانسحب إلى « ستراتفورد » ، مسقط راسه ، ليقضي ما تبقى من حياته القصيرة تحت عناية ابنته ورعايتها .

(بغداد) .

يوسف روشا
١٩٤٦



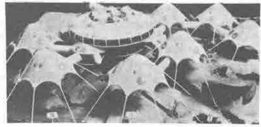
تقديم : لبنى الريدي

خياشيم اصطناعية

تستعد احدى الشركات الامريكية لانتاج خياشيم اصطناعية تتيح للانسان الحياة فى قاع البحار والمحيطات كما يحلو له ، فمهما طالت مدة بقائه هناك فلن يحتاج الى الصعود الى سطح الماء للتنفس .

فلقد استطاع احد الباحثين الامريكيين الحصول على نوع خاص من الأسفنج له خواص مدهشة ، فهو يتكون من خليط من الدم وبعض المركبات الكيمائية الاخرى ، وبفضل جزيئات الهيموجلوبين تستطيع هذه المادة الاسفنجية امتصاص الاكسجين من الوسط المحيط بها سواء كان هواء او ماء كما يحدث خلال جدار الحويصلات الهوائية الرقيقة فى الانســان او خــلال الخياشيم فى الاسماك .

ومن المتوقع ان يتم تصنيع اول نموذج من هذه المادة مع نهاية عام ١٩٨٤ ، ويتكون هــذا النموذج من خــزان مثل المستخدم حاليا فى الغــوص ولكن الاسطوانات تحتوى فى هذه الحالة المادة البلاستيكية المحتوية على الهيموجلوبين والتى ستقوم بامتصاص الاكسجين من مياه المحيط بشكل مستمر ، بحيث يكفى خزان سعته ثلاثة امتار مكعبة لتغذية ١٥٠ شخصا اذا فكروا فى العيش فى مدينة فى قاع البحر ، وفى حالة نجــاح جميع التجارب فسوف يتم تسويق هذا الجهاز خلال عام ١٩٨٥ .



ماكيت للقرية التى ستقام فى قاع المحيط

الألياف الضوئية وخلايا الكبد

تقدم الالياف الضوئية خدمة جديدة فى مجال الطب تضاف الى خدماتها السابقة ، فلقد ابتكر احد الأطباء جهازا يقوم بتحليل حالة الانسجة المختلفة فى جسم الانسان .

ويتكون هذا الجهاز من زوج من الالياف الضوئية متصلة معا من احد اطرافها بحيث تدخل الى الجسم من خلال فتحة متناهية الصغر لتصل الى النسيج المطلوب فحصه ، وعندئذ يحمل فرع من الالياف الضوئية اشعة فوق بنفسجية الى هــذا النسيج فتثير خلاياه ويتولد ضوء فلورى ينقله الفرع الآخر من الالياف الضوئية الى جهاز خارجى لقياس شدة الضوء ، وتتوقف شدة الضوء على مدى كفاءة عمليات الهدم والبناء داخل الخلايا .

واتاحت التجارب الأولى التى اجريت على هذا الجهاز دراسة التلف الذى تحدثه الكحول لخلايا الكبد ، ولاول مرة يتم مثل هذا الفحص الدقيق لجميع خلايا الكبد ، ولقد اوضح هذا الجهاز ان درجة التلف ليست متساوية بالنسبة لجميع هذه الخلايا .

هاتف لاسلكى غير تقليدى

يمكن بواسطة هذا النوع الخاص من الهاتف اللاسلكى استقبال المكالمات الموجهة الى المنزل او المكتب فى السيارة ، إذ يثبت هوائى على سطح البناية الواقع فيها المنزل او المكتب بحيث يقوم باستقبال المكالمات الموجهة الى جهاز الهاتف المنزلى ويرسلها مرة اخرى فى اتجاه جهاز الاستقبال الموجود فى السيارة .

وعند إجراء اتصال هاتفى من السيارة فان الأرقام التى يتم تكوينها تنقل على الفور الى الهاتف المنزلى الذى يقوم بتنفيذ المكالمة وذلك لان جهاز الارسال الموجود فى السيارة متصل بازرار الهاتف .

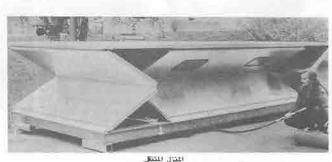
ويستطيع هذا الجهاز العمل فى دائرة قطرها ٨٠ كيلومترا من موقع المنزل او المكتب ، وهو يتميز عن الهاتف اللاسلكى التقليدى بانه اقتصادى فالمشترك لا يدفع رسوما على المكالمات التى يتلقاها كما يحدث بالنسبة للهاتف اللاسلكى التقليدى كما ان الاتصال بين المنزل والسيارة يتم مجانا لانه يمثل توصيله لنفس الرقم .

ويمكن توصيل الهاتف اللاسلكى بجهاز صغير يتيح للمشترك استقبال وارســال المكالمات من خارج السيارة فى دائرة قطرها ٦٠٠ متر ، ولذلك فان ثمن هذا الهاتف غير التقليدى ثمانية اضعاف ثمن الهاتف اللاسلكى العادى .





احمل منزلك فوق ظهرك



المنزل المتنقل

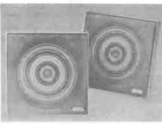
إن هذا البيت المتنقل الذى يمكن حمله الى اى مكان قابل للطى والفرد واقامته لا تستغرق سوى دقائق معدودات ، فهو يقوم بعمل الخيمة ولكنها خيمة من الالومنيوم .

ويبلغ ارتفاع جدرانه سبعة اقدام ونصف وهى معلقة بمفاصل بحيث تطوى الى الداخل ـ كما تبين الصورة ـ وعندئذ يتلامس سطح البناء مع أرضيته ويصبح مسطحا تقريبا بحيث يسهل حمله او تخزينه .

ولاقامة هذا المنزل السويدى الصنع يتم نفخ اكياس الهواء المزود بهـا وذلك باستخدام مضخة هواء عادية ، وعندما تنتفخ الاكياس ترتفع الجدران تدريجيا حتى تصل الى نقطة معينة تقوم المفاصل عندها بتثبيتها فى الوضع الراسى .

وصنعت جدران هذا المنزل المتنقل من الواح الالومنيوم المعزول بحيث يناسب المناخ الحار والبارد على حد سواء ، وهو يصلح لاقامة معسكرات للعاملين فى مناطق العمل النائية فى قلب الصحراء او المخيمات فى حالات الطوارىء .. الخ .

مكبرات الصوت المزدوجة



مكبرات الصوت المزدوجة

توضع مكبرات الصوت الستريو عادة داخل خزائن أشبه بالصندوق لاعطاء النغمات الموسيقية العمق والانعكاس المطلوب،وهى سمات هامة خاصة بالنسبة للانغام الخفيضة العميقة .

ولكن بعض مكبرات الصوت المتطورة تكون اقل سمكا بحيث تبدو وكانها مسطحة ولقد امكن تحقيق ذلك بفضل مجموعات من الدوائر الالكترونية التى تعمل كبديل للرنين الفضائى الذى يوفره الحيز الموجود فى المكبرات العادية .

ويقدم اليابانيون مكبرات صوت جديدة لا سمك لها بحيث يمكن تعليقها على الجدار ، ويرجع صغر حجم هذه المكبرات ورفعها الى تصميم جديد متحد المحور يجعل مخروط مكبر الترددات العالية فى منتصف الغشاء الخاص بمكبر الترددات المنخفضة .

ويحيط بهذا المكبر المزدوج هوائى مرسل غير فعال يعمل فقط على توجيه الصوت فى اتجاه واحد بحيث يمكن تعليق مكبر الصوت على الجدار دون أن يؤثر ذلك فى درجة نقاء الصوت .

جهاز إلكتروني لاكتشاف تسوس الأسنان



سوف يتمكن طبيب الاسنان من اكتشاف التسوس فى مراحله الاولى قبل ان تحدث البكتريا اى تخريب للسن حتى يمكن علاجها دون اللجوء الى حفر الاســنان وحشوها ، ولتحقيق ذلك صمم الباحثون الامريكيون جهاز رصد الكترونى يستطيع اكتشاف اى ضعف مهما كان بسيطا فى طبقة المينا التى تحمى الاسنان .

ويشبه هــــذا الجهاز الاداة التى يستخدمها الطبيب عادة لفحص مينا الاسنان بحثا عن اى مظاهر للتسوس إذ أن الجهاز الجديد يقوم بتوليد تيار كهربى ضعيف عند وضع طرفه على سطح الاسنان فاذا كانت الاسنان سليمة فان طبقة المينا تعمل كطبقة عازلة وتقاوم مرور التيار،اما اذا كانت تعانى من اى درجة من درجات التحلل او الضعف فسوف تسمح للتيار بالمرور وفي هذه الحالة فان قيمة فرق الجهد ستظهر على شاشة صغيرة متصلة بالجهاز .

وتتميز هذه الطريقة عن غيرها بانهـا تستطيع اكتشاف تسوس الأسنان قبل حدوثه فعليا،وذلك فى مرحلة ضعف طبقة المينا،وهى بمثابة المرحلة الاولية التى تؤدى الى حدوث التسوس ، ومن ثم يمكن اتخاذ تدابير وقائية لحماية الاسنان قبل استخدام الفلوريدات او طبقة واقيه تساعد المينا على استعادة صلابتهـا بـدلا من الاضطرار الى اللجوء الى الحفر لازالة منطقة التسوس،ثم حشو الجزء المحفور بعد ذلك .

ويعتبر هذا الجهاز الذى لا يسبب اى الم حلا سعيدا لمن يخشى الذهاب الى طبيب الاسنان خاصة من الأطفال .



المخرج «جون هيستون» أثناء اخراجه احدث افلامه فى المكسيك



الطفلة التى اختارها جون هيستون لتلعب بطولة فيلم «انى» ولتصبح حديث العالم



بقلم رءوف توفيق

عمره ٧٨ عاما.. ومازال يصنع الأفلام

العجوز.. والسينما

بالتأكيد .. إنه لشىء مثير للدهشة والتأمل .. عندما ترى رجلا يقترب من عامه الثامن والسبعين ، يقود كتيبة من الفنانين والفنيين ، ليصنع عالما من الحركة والانفعالات والالوان ويقدم لنا فيلما ..

انه المخرج الامريكى « جون هيستون » ، الذى يعرفه تاريخ السينما ، واحدا من جيل العباقرة فى الفن .. كاتبا وممثلا ومخرجا .. ممتلئا بالحيوية والتمرد .. عرف اقصى درجات النجاح ، وايضا اقصى درجات الفشل .. ولكنه دائما كحصان منطلق .. لا يعترف بتقدم العمر ، فالسكون بالنسبة له هو الموت ! .



.. الاولى لاطفال الملجىء الذين ملأوا الشاشة بالحيوية والمرح والرقص والغناء .. والثانية للفتاة « جاكلين بيسيه » اثناء تصوير فيلم « تحت البركان » .. والثالثة للممثل « البرت فينى » وقد حلق شعره ليجسد الدور فى فيلم « انى »

ومن فرط شخصيته الأسطورية ، انشغل به عدد كبير من الكتاب والنقاد لاصدار الكتب عنه ، حتى انه كان مع كل فيلم يخرجه ، يظهر كتاب عن اسلوبه فى اخراج ذلك الفيلم وكيفية تعامله مع الممثلين !

ولم تنضب القصص والروايات عنه ، لانه دائما متجدد ، مثير للجدل .. يملك قدرا هائلا من السخرية والتحدى والتناقضات .. عمل معه فى افلامه عدد كبير من المع نجوم السينما الامريكية .. وتنوعت افلامه من المغامرات ، إلى الافلام الاجتماعية ، الى الأفلام التاريخية ، وحتى الأفلام الاستعراضية !

فمنذ ثلاثة اعوام ، فاجأ السينما بفيلمه الاستعراضى « انى » التى لعبت بطولته طفلة عمرها عشرة اعوام .. طفلة مجهولة اختارها من بين مئات الاطفال ، لتصبح بعد هذا الفيلم حديث العالم كله ، تلاحقها عدسات المصورين وشبكات التليفزيون فى أوربا وامريكا والشرق الاقصى ..

اما هو ـ المخرج جون هيستون ـ فقد انتهى من ذلك الفيلم .. وبدأ يفكر فى مشروعه التالى ، فهو دائما عنده مشروعات للمستقبل ، غير معترف بسنوات الكهولة التى يخوض فيها !

تحت البركان

ومنذ اسابيع قليلة ، انتهى هذا المخرج العجوز من تصوير احدث افلامه « تحت البركان » .. وتم التصوير فى المكسيك ، ذلك المكان الذى يعشقه ويحمل له العديد من الذكريات الحلوة منذ كان شابا فى العشرينات من عمره ..

ها هو الآن يقترب من الثامنة والسبعين ويعود الى نفس الأرض ، ويختار رواية ماخوذة عن اسطورة مكسيكية للروائى « مالكولم لورى » .

ويقول المخرج « جون هيستون » عن هذه الرواية ، « لست انا الذى لاحقت رواية « تحت البركان » ، بل هى التى لاحقتنى لعدة سنوات .. فقد قرات الرواية وتاثرت بها جدا .. فانا اعرف الكثير عن المكسيك وعن شعبها .. وظلت هذه الرواية تطاردنى كلما فكرت فى فيلم جديد .. وتلقيت عدة سيناريوهات تعالج هذه الرواية ، ولكن لم ينجح احد منها فى اعطائى الانطباع الذى خرجت به من قراءتى للرواية .. واخيرا عثرت على سيناريو كتبه شاب فى الثامنة والعشرين من عمره .. وكانت هذه اول مرة يكتب فيها للسينما .. وقد كتب هذا السيناريو كنوع من التدريب العملى لدراسة السينما فى جامعة « يل » الامريكية .. وامسكت بهذا السيناريو وقررت ان احوله الى فيلم » .

وربما هذا الموقف للمخرج « جون هيوستون » يوضح لنا احد معالم شخصيته الباحثة دائما عن الجديد والغريب ، فهو رغم عمره الفنى الطويل ، واحتكاكه الهائل بعدد من كبار الروائيين وكتاب السيناريو (من بين الذين كتبوا سيناريوهات افلامه : آرثر ميللر ـ ترومان كابوت ـ راى برادبورى ـ رومان جارى) .

رغم هذا الرصيد والخبرة ، فانه يلجا الى شاب حديث التخرج « جيى جالو » ليكتب له اخر افلامه ، وكانه يجدد شبابه الفنى ، ويدفع مزيداً من الحيوية الى افكاره ورؤيته السينمائية .. !




الأب والابن يهنىء احدهما الاخر بجائزة الاوسكار عام ١٩٤٩

لقطة من فيلم كوكب القرود ، حيث ظهر جون هيستون متنكرا فى وجه قرد عجوز



العجوز..والسينما

تلك الفوضى اللذيذة

ورواية « تحت البركان » تغطى احداثها نهار يوم كامل بين المقابر المكسيكية .. وتحكى عن الفشل فى الحب ..

ويلعب بطولة الفيلم « البرت فينى » و « جاكلين بيسيه » التى كان قد اكتشفها وعمرها ١٨ عاما .. وها هى الآن بعد رحلتها فى العديد من الأفلام تقول : « ان بدايتى الحقيقية ستكون مع هـذا الفيلم .. ومع هذا المخرج العملاق .. وبالرغم من ان دورى لا يتعدى دقائق معـدودة من الفيلم » !

اما الممثل « البرت فينى » فهو يعود ليمثل من جديد امام المخرج « جـون هيستون » بعد ان قدمه بنجاح فى فيلم « انى » .. يلعب شخصية المليونير الامريكى الأصلع الذى يعيش فى قصر فاخر فسيح ، يتحرك كل شىء فيه بنظام جاف ، حتى تدخل حياته هـذه الطفلة الصغيرة « انى » مع كلبها الأبيض .. لينقلب كل شىء على عقب .. وتخلق الطفلة جواً من المرح والسعادة والفوضى اللذيذة .. ويرن صوتها الطفولى داخل الجدران الباردة ، فيشع الدفء .. ويكتشف المليونير الامريكى المتحجر الوجه ، انه لم يعد يطيق الحياة بدونها ..

القصة تقليدية .. ولكن المخرج « جون هيستون » استطاع ان يملأ الشاشـة العريضة .. بالحركة والاستعراضـات التى قام الأطفال بالجانب الاكبر منها ..

اقتحام الخوف

وقد كان غريبا ان يسيطر المخرج العجوز على مجموعة من الاطفال ليستخرج منهم كل هذا التدفق والانسجام والجمال ، ولكنه كان كمن يريد ان يعوض فترة طفولته القاسية المحرومة من الحب والحنان ..

فقد حدث الطلاق بين والديه عندما كان فى الثالثة من عمره .. وعاش الطفل مشردا بينهما .. الأب ممثل مسرحى جذبه الفن ليتخلى عن وظيفته كمهندس مسئول عن الطاقة والكهرباء .. ويحاول ان يجد له دوراً على المسرح ممثلا او مغنيا ..

اما الأم فقد كانت مربية .. وصحفية ..

وعن هذه الفترة يحكى « جون هيستون » قائلا :

« سافرت كثيرا مع كل من والدى .. تنقلت بين قضاء الليل داخل اكياس مليئـة بالحشرات مع أبى ، الى الفنادق الفخمة مع والدتى .. » !

وفى سن الثانية عشرة ، اثناء اقامته فى مدرسة خاصة ، اصيب بمرض خطير ، وشخص المرض بانه تضخم فى القلب ، وفشل فى الكلى ، ووضعته امه داخل مصحة خاصة .

ويروى جون هيستون لمجلة « لايف » ، ان هذه الفترة شهدت نقطة تحول فى حياته ، فقد تحول فى المصحة الى طفل خجول خائف..وفى احدى الليالى اراد ان يختبر خوفه .. وحينما استغرق الجميع فى النوم .. ترك فراشه .. وخلع ملابسه وهرع الى مجرى مياه كان يمر فى منطقة المصحة .. وبلا أى تردد قفز فى المياه وترك نفسه للتيار يجرفه الى مسقط مائى حجرى منحدر انحدارا شديدا .. وحينما خرج من الماء وتبين انه مازال حيا .. كرر القفزة الى الماء وفوق المسقط !

يقول هيسـتون عن هذه التجربة « لقد ايقنت بالغريزة ان الخوف هو العدو الذى يجب ان اقهره » !

واكتشفت ادارة المصحة ، ما يفعله الصبى كل ليلة بالقفز فى الماء ، واعادوا فحصه طبياً من جديد ، وقرروا انه لم يعد مريضا ..

ويعلق محرر مجلة « لايف » على هذه الحادثة بقوله : « إن الملامح التى تكشف عنها هذه الواقعة ، تعتبر من الملامح الأساسية والدائمة فى شخصية جـون هيستون .. ان المغامرة – التى قد تصل الى التهور – هى ردود فعل حقيقية فيه .. والحركة واستخدام الحاضر الملموس باكبر قدر من الحيوية .. كانا طريقه الى خلاص الروح .. وبقيا عنده عادة دائمة » !

ساحر السينما

ومن اجمل وامتع الكتب التى صدرت عن حياة هذا المخرج .. ذلك الكتاب الذى اختاره الناقد المصرى المعروف « فوزى سليمان » وترجمه الى العربية بعنـوان « جون هيستون .. ساحر السينما » .. والكتاب من تاليف « ستيورات كامينسكى » الاستاذ المساعد لمادة السينما بجامعـة « ايفا نستون » بولاية « الينوى » الامريكية والذى قدم دراسة شاملة لحياة هذا المخرج وأهم افلامه ، واحتفظت الترجمة العربية (التى صدرت عن مطبوعـات كتابى القاهرية) بجاذبية المادة وسلاستها .. ومما اعطى للترجمة هذه الروح ، انها جاءت من عاشق للسينما ، يعيش اغلب ايامه بين الافلام متنقلا بين المهرجانات العالمية .. يرى ويقرا ويحلل ..

واعترف انني عشت ساعات ممتعة مع هذا الكتاب الذى يقع فى اكثر من ثلاثمائة صفحة .. ليس فقط متتبعا لعالم هذا المخرج العبقرى الغريب الاطـوار .. ولكن نقلنى الكتاب الى الكواليس الخفية لصناعة السينما بكل ما فيها من سحر وفن وحياة .. وتجارة ونقود .. ونجاح وفشل ..



جون هيستون .. كما ظهــر في احد ادواره على الشاشــة

تجربة اول اخراج

ويفسر الكتاب شخصية هذا المخرج ، بانه جمع بين التمثيل - مهنة والده - والكتــــابة - مهنــة والدتـــه - ليجد نجاحه الاكبر فى مهنة تجمع بين الاثنين وهى الاخراج ..

وفى عام ١٩٤١ اصبح جون هيستون مخرجاً سينمائياً معترفاً به من خلال فيلم « الصقر المالطى » الذى اشترك ايضا فى كتابة السيناريو له ، عن رواية للكاتب البوليسى « داشيل هاميت » .. ولعب بطولة الفيلم « همفرى بوجارت » .. وحقق الفيلم نجاحا ساحقا ورشح لجائزة اوسكار احسن فيلم .. وبهذا النجاح الاول بدات شهرة « جون هيستون » كمخرج ، بعد ان خاض لثلاث سنوات سابقة تجربــــــة كتـــــابة السيناريو لافلام مخرجين غيره ..

وعن تجربة اول اخراج يتذكر جـــــون هيستون فيقول : « لقد قمت بعمل رسوم عن كل مشهد فى الفيلم .. اردت ان اكون واثقا من نفسى واننى لن اتخبط بين اليات الفيلم » ..

وكتبت الممثلة مارى أستور فى كتابها « حياة فى فيلم » انها عندما اشتركت فى فيلم « الصقر المالطى » فوجئت بالمخرج جون هيستون يخطط لكل لقطة بدقة .. ويقوم بتدريب الممثلين على المشهد ثم يصوره فى اقل عدد من مرات التصوير .

أما الممثل « همفرى بوجارت » فقد اطلق على « جون هيستون » لقب « الوحش » وعلق بقوله : « لقد احببت العمل مع جون .. إن الوحش يدفعنى للعمل . فعقله يختلف عن العقل التقليدى وغير متوقع على ذاته .. إنه ذكى .. ولا يمكن التنبؤ بما سيفعله .. ولهذا فعندما أعمل معه فاننى لا أفكر فى اننى ممثل » ..

وقد عمل همفرى بوجارت مع جـــــون هيستون بعد ذلك فى ست افلام .. ورشح لعدة مرات لجوائز اوسكار عن احسن ممثل فى هذه الافلام ..ولكنه فى عام ١٩٥٢ فاز بالجائزة عن دوره فى فيلم « الملكة الافريقية » الذى اخرجه هيستون .

هو .. والممثلون

ومن ابرز النجوم الذين عملوا مـــع هيستون .. نجد كلارك جيبل - كاترين هيبورن - مارلين مونرو - بول نيومان - ريتشارد بيرتون - ديبورا كير - افا جاردنر - مونتجمرى كليفت - جون واين - بيتى دافيز - بيرت لانكستر ..

قائمة طويلة من المع نجوم السينما الامريكية .. ينضم إليهم والده الممثل والتر هيستون الذى عمل معه فى عدة افلام ليجلب الحظ لابنه على حد قوله .. بينما علق الابن « جون هيستون » قائلا : « اعتقد اننى الوحيد فى تاريخ السينما الذى قـــام بالاخراج لنفسه ولوالده ولابنته » !

ونجح الاب فى التمثيل ، بل فاز بجائزة اوسكار كاحسن ممثل مساعد فى فيـــلم « كنز سييرا مادرى » الذى اخرجه ابنه وفاز عنه باوسكار احسن مخرج عام ١٩٤٩ .

ولم تنجح الابنة فى التمثيل ، بينما فاقت شهرة جون هيستون كممثل ، شهرته كمخرج ..

وقد ظهر « جون هيستون » كممثل فى فيلم « الكاردينال » للمخرج « اوتو بريمنجر » - عام ٦٢ - وبعدها انطلق فى عالم التمثيل سواء فى افلام اخرجها هو او مخرجون غيره .. وتميز بقامته الطويلة وقدرته على التنكر .. فهو الممثل القادر على تقمص الشخصيات المتميزة ، بملامحه المعبرة ، وصوته العميق .

وهو يقول عن تجربته كممثل : « من المفيد لنفسية المخرج ان يكون بين فترة واخرى على الجانب الاخر من الكاميرا » !

فى الاماكن الطبيعية

ومن اهم صفات « جون هيســــتون » كمخرج انه يترك الحرية للممثل لكى يتصرف كما يريد فى حدود الشخصية التى يلعبها ..وان كان يؤمن بان الممثل لابد وان يتقمص الشخصية تماما ، ويخوض مثلها كل التجارب والصعاب ، حتى يبدو منطقيا امام المتفرجين .

ولهذا اصبح معروفا عنه كمخرج ، ان ما من ممثل اشترك معه فى فيلم الا واصيب بجراح وكدمات وكسور فى ضلوعه .. ! .. فهو يصور افلامه فى الاماكن الطبيعية بين الجبال والغابات والمحيطات .. وتنقـــل بممثليه من افريقيا الى اوربا واسيا وامريكا اللاتينية ..

وتحكى فصول كتاب « ساحر السينما » عن اغرب الحوادث التى تعرض لها الممثلون اثناء تصوير افلامه ، ففى فيلم الملكة الافريقية الذى تم تصويره فى الكونغو واوغندا .. اختار المخرج مكانا بين الأحراش البدائية .. ودفـــع بممثلـــه « همفرى بوجارت » ان يخوض فى مياه بحيرة راكدة ، ليخرج وقد غطته الديدان الماصة وهو يرتجف بشدة .. وقد ادى بوجارت هذا المشهد كما هو مطلوب منه بالضبط .. وكان احد الأسباب التى ساعدت لان يفوز باوسكار احسن ممثل عن دوره هذا ..

وفى نفس الفيلم ، لقي فريق الفنيين فى الفيلم متاعب كثيرة سواء بالمرض او من هجوم النمل ، او من السقوط فى النهر المليء بالديدان والتماسيح .. ورغم طول فترة التصوير وزيادة النفقات وتوالى حالات المرض بين الممثلين والفنيين ، اصر « جون هيستون » على رايه الذى اعلنه « ان الهدف من تصوير الفيلم فى موقع الاحداث .. ان الممثلين اذا عاشوا وسط محيط معين فانهم سوف يتاثرون به .. وسينعكس هذا على ادائهم لادوارهم » .

وكرر المخرج « هيستون » نفس التجربة فى فيلم « موبى ديك » - عام ٥٦ - والذى لعب بطولته جريجورى بيك .. واورسون ويلز .. وتم تصوير الفيلم فى مدينـــة ايرلندية صغيرة تقع على البحر .. واعيد تصميم واجهة المدينة باكملها حتى تبدو مثل ميناء « نيو بدفورد » فى عـــام ١٨٤٠ حيث تقع احداث الفيلم .. وقد ازال المخرج



« جاكلين بيسيه » و « البرت فيني »
في لقطة من فيلم « تحت البركان »



الجو الشعبي المكسيكي الذي يعشقه جون هيستون في اخر لقطات فيلمه الجديد



العجوز.. والسينما

اسلاك التليفون .. وقام بالتصوير على ظهر سفينة قديمة .. وتسببت مخاطر التصوير في البحر في تعطل العمل عدة مرات عندما اصيب الممثل ريتشارد بيسمارت بثلاثة كسور في عظام قدمه اثناء قفزه الى احد قوارب صيد الحيتان .. كما أصيب جريجوري بيك في ركبته بسبب الكوبري المبني لتثبيت ساقه الخشبية .. واصيب ممثل اخر بانزلاق غضروفي والتهاب رئوي بسبب برودة الجو .

ويتذكر « هيستون » هذه التجربة فيقول : « كدنا نفقد السفينة ثلاث مرات .. وبالتاكيد كان في امكاننا ان نصور في الاستوديو ، ولكن ليس من الممكن مقارنة شيء بثورة عاصفة حقيقية في البحر .. » !

وفي فيلم « جذور السماء » عن رواية « رومان جاري » .. عاد المخرج جون هيستون ليصور احداث فيلمه على ارض افريقيا عام ٥٨ .. واختار افريقيا الاستوائية (حتى تبدو الالوان حقيقية على الشاشة .. وتاثير الجو الحار الرطب على الشخصيات) .. وتوالت حوادث المرض بين الممثلين والفنيين .. حتى بلغت في مجموعها تسعمائة حالة بعد انتهاء التصوير !! .. وطبقا لما ذكره منتج الفيلم « زانوك » في كتاب « لا تقل نعم حتى انتهي من الكلام » !

« كان وجه الممثل تريفور هوارد يتحول بصفة دائمة الى حمرة البنجر بسبب الحرارة ، ولذلك كانت تجرى له عمليات (الماكياج) كثيرا حتى يبدو وجهه طبيعيا .. ولاجل خدمة المرض قامت طائرات برحلات منتظمة بين الموقع وباريس » .

هو .. والخيول

اما عن سر ارتباط المخرج « هيستون » بالمكسيك .. فيشرحه كتاب «ساحر السينما» بان « هيستون » في شبابه بدأ يهوى ركوب الخيل .. ولما اكتشف ان هذه الهواية تكلفه كثيرا .. قرر ان يلتحق بالجيش المكسيكي .. ليركب الخيول مجانا .. وبعد عامين من التحاقه كان قد تعلم الاسبانية واصبح فارسا متمرسا .. وزاد حبه للمكسيك ..

وتوالت الخيول في افلامه .. ولعل اشهرها فيلم « غير المتكيفين مع المجتمع» الذي كتب له السيناريو « ارثر ميللر » ولعب بطولته مارلين مونرو وكلارك جيبل ومونتجمري كليفت وايلي والاش » ويتعرض موضوع الفيلم لرجال مهمتهم اصطياد الخيول البرية لبيع لحومها لاطعام الكلاب ..

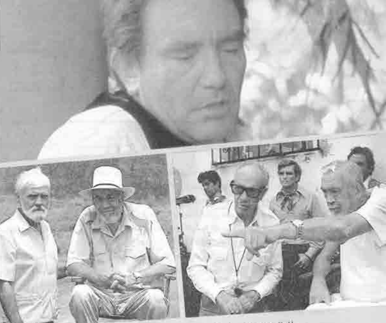
وقد بدأ تصوير هذا الفيلم عام ٦٠ وبميزانية قدرها أربعة ملايين دولار .. وقد تم تصوير الفيلم بالابيض والاسود لاعطاء الاحساس بقتامة الموضوع وجفافه ، وابدى المخرج « هيستون » حماسه الشديد للفيلم بقوله : « انه عن ناس يبيعون عملهم ولكنهم لا يبيعون انفسهم .. انه فيلم عن عالم متغير .. فقد كان هناك معنى لحياتنا قبل الحرب العالمية الثانية .. ولكننا فقدنا المعنى الآن ، واصبح المجتمع يطعم الكلاب لحوم الخيل » !

الماضي الجميل

ورغم طبيعة المخرج « هيستون » المتدفقة بالحيوية ، إلا ان افلامه ترتبط بالماضي اكثر مما ترتبط بالحاضر او المستقبل ، وهناك موضوع يتكرر في اغلب افلامه ، عن مجموعة من البشر في رحلة او مهمة ويواجهون الفشل او الموت ..

وعندما اخرج « هيستون » فيلم « الطاحونة الحمراء » ـ عام ٥٣ ـ عن قصة حياة الرسام الفرنسي لوتريك ، قال الكثير من النقاد ان هناك تشابها واضحا بين حياة هيستون وحياة لوتريك .

وعندما تحمس بشدة لاخراج فيلم عن السنوات الاخيرة من حياة « فرويد » .. ولعب مونتجمري كليفت اخر ادواره على الشاشة في هذا الفيلم .. لم ينجح الفيلم



المخرج جون هيستون يطل من نافذة اثناء اخراجه احـــدث افلامه في المكسيك ، وكأنه يطل على رحلة عمر استمرت ٧٨ عاما

الممثل «البرت فيني» في اخر ادواره امام المخرج «جون هيستون» في فيلم تحت البركان .. ثم لقطتان اثناء تصوير الفيلم في المكسيك

تجاريا .. وعلق هيستون بحزن « ان فرويد كان سابقا لعصره .. ويبدو اني عندي موهبة اخراج افلام إما سابقة أو متاخرة عن عصرها .. وكل منها اسوا من الاخر » !

التناقض وشهية المؤلفين

وفي عام ١٩٦٤ اعطى له المنتج الايطالي « دي لورنتس » فرصة ذهبية باخراج الفيلم الضخم « الانجيل » .. وحقق الفيلم نجاحـــا تجاريا وفنيـا .. ولكن « هيستون » ارتضى بعدها ان يخرج ويمثل ربع فيلم عن جيمس بوند « كازينو رويال » .

منتهى التناقض .. ولكنها الرغبة في ان يظل على قيد الحياة .. ومواصلة العمل .. واعتبار النجاح او الفشل دافعا للاستمرار .. والتنوع !

ولهذا توقف امامه الكثيرون من الكتاب والنقاد يحاولون رصد انجاهاته .. وتنوعت الكتب عنه .. واستوحى بعضهم تحليل شخصيته في اعمال روائية .. فظهرت مثلا رواية بعنوان « صياد ابيض ذو قلب اسود» بعكس مؤلفها « بيتر فيرتل » رؤية لهيستون اثناء اخراجه فيلم « الملكة الافريقية » .

وظهرت رواية بعنوان « القتل المجنون » اثناء اخراجه لفيلم « موبي ديك » .. وعن نفس الفيلم ظهر كتـاب اخر عنه بعنوان « يعيش وكانه لورد » !

الفيلم الممنوع

ولكن اهم مفاجات ذلك المخرج العبقري .. هذا الفيلم التسجيلي الذي اخرجه عام ١٩٤٥ ومنع من العرض بامر من وزارة الدفاع الأمريكية حتى تم الافراج عن الفيلم عام ١٩٨١

وقد اتيحت لي فرصة مشاهدة العرض الأول للفيلم من خلال مهرجان كان ١٩٨١ وكانت الدهشة بالغة من المستوى الفني المتقدم الذي حققه هذا المخرج منذ ستة وثلاثين عاما .. وبدا الفيلم وكانه أحدث انتاج سينمائي ..

فقد استخدم المخرج « هيستون » الكاميرات الدقيقة السرية ليسجل رحلة الجنود الأمريكيين اثناء الحرب العالمية الثانية ، داخل أحد المستشفيات الأمريكية العسكرية .. ليتم اختبارهم وعلاجهم من صدمات الحرب .. منهم من فقد السمع والبصر .. ومنهم من اصابتهم الارتعاشة الدائمة أو عدم القدرة على الحركة .. أو النوم .. واحساسهم الدائم بالفزع .

عنوان الفيلم « ليكن هناك ضوء » .. والضوء الحقيقي الذي يقدمه هذا الفيلم التسجيلي .. هو عودة هؤلاء الجنود الى حالاتهم الطبيعية بعد علاجهم الطويل والشاق ..

وقد كان واضحا ان وزارة الدفاع الأمريكية قد منعت هذا الفيلم طوال تلك السنين ، حتى لا يؤثر الفيلم على نفسية الجنود في الجيش الأمريكي .. الى هذه الدرجة كان الفيلم صادقا وقاسيا .

الذي يهزم الرجال ؟

لقد سالوا مرة المخرج هيستون عن فلسفته في الحياة .. فهز راسه وقال بصوته العميق القوي « انني لا اعرف اني عندي فلسفة معينة ، ولكني لا اقوم ابدا بعمل اي شيء لا يدخل المتعة الى نفسي ، فما الذي يهزم معظم الرجال في الحياة ؟ .. من المحتمل ان يكون السبب هو انهم يصنعون تماثيل مزيفة لانفسهم ، ويحاولون الحصول على اشياء ليست لها قيمة » .

وهكذا يواصل هذا المخرج حياته .. ويقترب من الثامنة والسبعين وهو ما زال يعمل .. ويفكر لمشاريع للمستقبل !!

رءوف توفيق



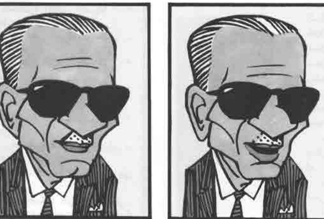


مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووو

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة





قبل ان تتعرف على الاختلافات بين اصل وصورة الدكتور طه حسين وتحصل على جائزة ، نود ان نقول لك ان البحث الذى نال به درجة الدكتوراه من السربون كان عنوانه : ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية .

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لفنان عربى مازالت اغانيه يرددها الكثير من عشاق فنه رغم رحيله عنا منذ سنوات .. مشكلة اللوحة انها لم تتم .. هل يمكنك التعرف على صاحبها ؟

المثل يقول



كل امثالنا الشعبية متقاربة اللفظ ومتماثلة المعنى والاختلاف بينها فى اية دولة عربية يقع ـ فقط ـ فى اللهجة .. ولهذا يمكنك أن تقول لنا عن المثل الشعبى الذى يعبر عنه هذا الرسم الكاريكاتيرى ، لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



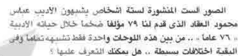












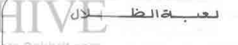
الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الأديب عباس محمود العقاد الذى قدم لنا ٧٩ مؤلفا ضخما خلال حياته الأدبية « ٧٦ عاما » .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟



هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تساهم فى ايجاد تعليق خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. إذا استطعت ارسل لنا التعليق لتحصل على جائزة ..

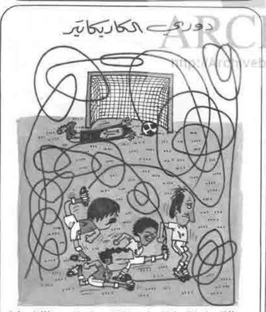


لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى .. حاول لتجد فى انتظارك جائزة ..

دورى الكاريكاتير

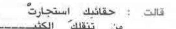


أثناء هذه اللعبة الجماهيرية التى بدأت فى بريطانيا ومنها انتقلت إلى القارة الأوربية وجميع انحاء العالم ، اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

قالت .. وقلت

شعر: هــارون هاشم رشــيد





قالت : حقائبك استجارتْ
من تنقلكَ الكثيـــــرِ
قلت : الريـــاحُ شـــديدةٌ
وانـــا نذرت لهـــا مصيري
قالت : سنين العمـــر تمضي
في الترحـــلِ ، والمسيـــرِ
قلت : اختزنتُ هنـا بصدري
جمرة الأمـلِ الكبيـــرِ
قالت : وموعدنـــا الذي
بعثرتـــه بين السطـــور
قلت : الطـــريقُ اليـــه
محـــفوف بنيران السَّعيـــرِ
قالت : وتمضي ؟ قلـــت :
حتى نبضـــة النفس الأخير
قالت : تعبتُ من الحـــرائق
والصـــواعقِ والنفيـــرِ
قلت : الزلازلُ في عـــروقي
فاسمعي صـــوت الزئيـــر
قالت : وبعـــد ، أمـــا لهذا
الهـــول من يوم مُجيـــر
قلت : اسمعي في الريـــح
صـــوت تقدم الشبل الصغير
هو إن تعبنـــا خلفنـــا
في الدرب كالشَّهْم المغيـــر
يَمْضي لموعدنـــا ، فقـــومي
تابعي الخطـــوات سيري

